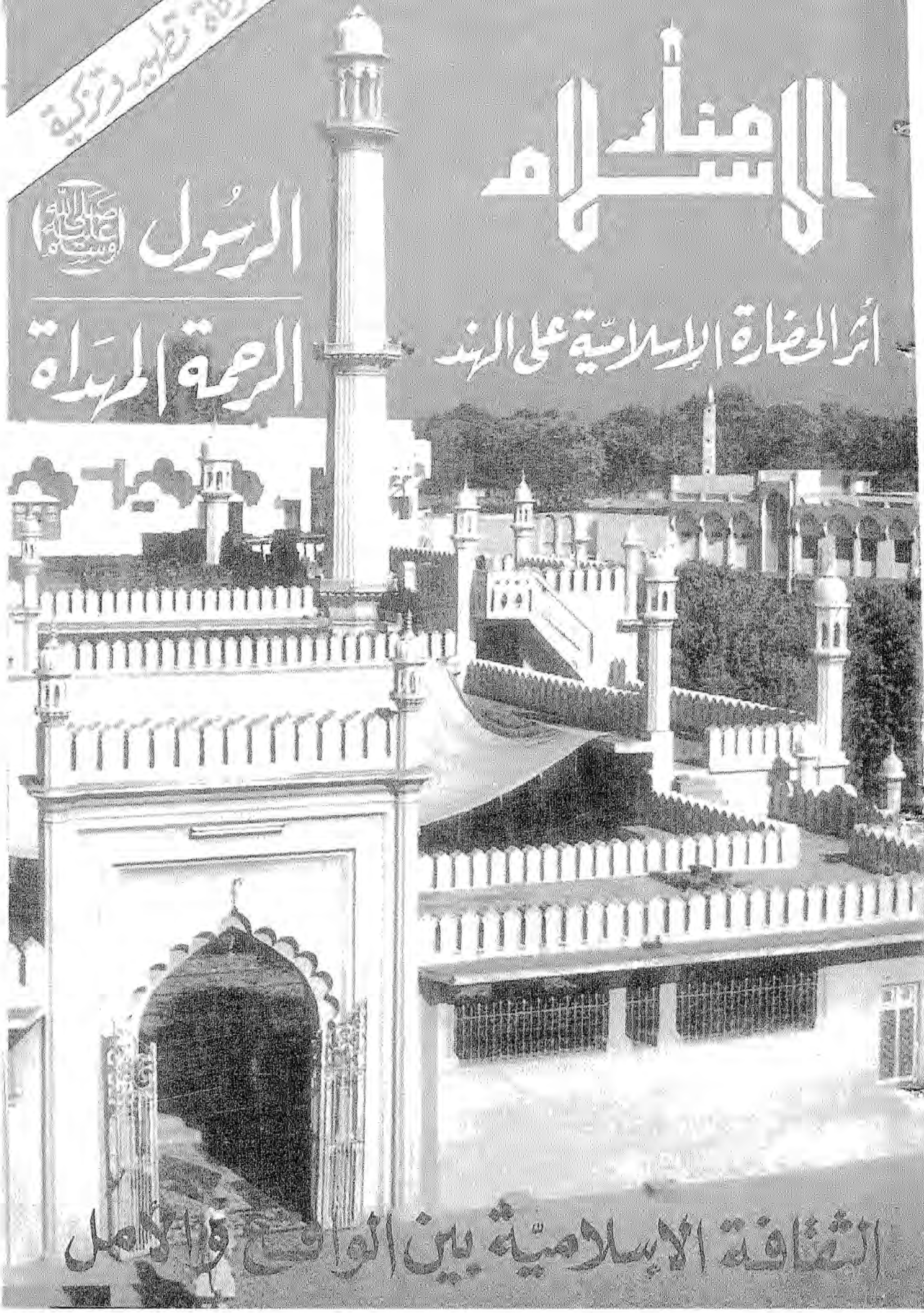
منار الإسلام

رسالة تطهير وتزكية

الرسول صلى الله عليه وسلم الرحمة المهداة

أثر الحضارة الإسلامية على الهند



الثقافة الإسلامية بين الواقع والأمل

المنار الإسلام

إسلامية . ثقافية . شهرية

تصدر في غرة كل شهر عربي
عن وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف
في دولة الإمارات العربية المتحدة

MANAR UL-ISLAM
Monthly Islamic Comprehensive Magazine
Published by Ministry of Islamic Affairs
in U.A.E. - ABU DHABI

مدير التحرير	مصبح محمد السويدي

عنوان المراسلات

أبوظبي	ص.ب	٢٩٢٢
تليفون	بدالة	٢١٢٣٠٠
تليفون	مباشر	٣٣٨٢٨٦
فاكس	الوزارة	٣٣١١١٦
تلكس	الوزارة	٢٢٥٨٩ إسلامي EM

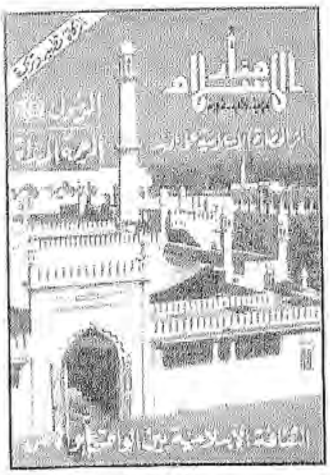
المراسلات
باسم مدير التحرير

قيمة الاشتراك في مجلة منار الاسلام لمدة ١٢ عدداً

- دولة الإمارات العربية المتحدة [٣٥ درهماً]
- الدول العربية [٢٥ دولاراً]
- دول المغرب العربي [٢٥ دولاراً]
- الدول الآسيوية والأفريقية [٢٥ دولاراً]
- الدول الأوروبية وأمريكا واستراليا [٣٥ دولاراً]

ترسل قيمة الاشتراك بشيك مقبول الدفع أو حوالة بريدية باسم مجلة منار الاسلام ص.ب: ٢٩٢٢ أبوظبي

صورة الغلاف



مسجد جامعة ندوة
العلماء بالهند

في هذا العدد

الزكاة تطهير وتزكية

الصدقات عموما والزكاة خاصة فيها تطهير للنفوس المؤمنة وفيها النماء والخير والبركة للمجتمع المسلم وكلمة الزكاة تحمل المعنيين معا والتطهير يكون من المشاعر السلبية العديدة كالشعور بالذنب والحسد والحقد والبغضاء.

الرسول الرحمة المهداة

بعث الله تعالى محمدا ﷺ رحمة للناس جميعا فكان هاديا لهم ومرشدا وأخذ بأيديهم إلى الهدى والنور وما أحوجنا اليوم إلى أن نأخذ من هذا الهدى ونقتدي برسول الله ﷺ في كل أعمالنا وأقوالنا ففي ذلك السعادة لنا جميعا.

الثقافة الاسلامية

في مواجهة التحديات

العدد الرابع
السنة الثانية والعشرون
ربيع الآخر ١٤١٧هـ
١٦ أغسطس ١٩٩٦م

التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم نحن في حاجة إلى نظام ثقافي إسلامي جديد .. في حاجة إلى تواصل ثقافي عربي يمتد إلى جذورنا القوية في التاريخ الإسلامي .. ثقافة تقوم على أسس من الدين والصدق والحرية والعدل.

معاذ بن جبل

معاذ بن جبل أعلم الصحابة بالحلال والحرام. صحابي جليل جاهد مع رسول ﷺ في سبيل الله لإعلاء كلمة الحق، وكان من السابقين الأولين إلى الإسلام كما كان دعامة من مكارم الأخلاق.

المحبة عند الصوفية

دراسة عن ظاهرة الحب عند بعض مفكري الصوفية تلفت النظر وتنبه الأذهان والعقول والقلوب إلى شيء في حياتنا، بعد أن طغت علينا المادة التي لا تقف عند حد.

الوكيل العام للتوزيع

مؤسسة الأهرام للتوزيع
القاهرة - ٧ شارع الجلاء

وكلاء التوزيع

دولة الإمارات العربية المتحدة
مؤسسة الاتحاد - أبوظبي ص.ب: ٧٩١ ت. ٤٦١٦٧٠

المملكة العربية السعودية:
الشركة السعودية للتوزيع - الرياض - ص.ب: ٥٥٢٠٢ ت: ٤٧٧٩٤٤٤
الشركة السعودية للتوزيع - جدة - ص.ب: ١٣١٩٥ ت: ٦٦٩٤٧٠٠
الشركة السعودية للتوزيع - الدمام ت: ٨٢٧٢٥٧٥

قطر : مؤسسة العروبة - ص.ب: ٦٣٣ - ت: ٢٦٢٨٦ الدوحة

البحرين : مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف - المنامة
ص.ب: ٢٢٤ ت: ٢١٥٠١٥

الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات: ص.ب: ٦٥٨٨
ت: ٢٤٢١٤٦٨ - ٢٤١٢٨٢٠

سلطنة عمان: الشركة المتحدة لخدمة وسائل الإعلام - مسقط ت: ٧٠٧٩٣٢ - فاكس: ٧٠٦٥١٢ ص.ب: ٣٢٠٥ - روي

الأردن : وكالة التوزيع الأردنية - عمان - ص.ب: ٢٧٥ ت ٢٠١٩١ - ٢٠١٩٢

اليمن : دار القلم للتوزيع والنشر والإعلان صنعاء - ص.ب: ١١٠٧ ت: ٢٧٨١٢٠

مصر : القاهرة مؤسسة الإهرام - ٧ شارع الجلاء ٧٤٥٦٦٦ - ٧٥٨٣٣٣

السودان : دار التوزيع - الخرطوم - ص.ب: ٣٥٨ - ت: ٧٢٥٢٤

المغرب : الشركة الشريفية للتوزيع - الدار البيضاء ص.ب: ٦٨٢

ثمن العدد

دولة الإمارات العربية المتحدة	(٣ دراهم)	سلطنة عُمان	(٢٠٠ بيسة)
		الأردن	(٣٠٠ فلس)
السعودية	(٥ ريالات)	الجمهورية اليمنية	(٤٠ ريالاً)
قطر	(٣ ريالات)	مصر	(٦٠ قرشاً)
البحرين	(٣٠٠ فلس)	السودان	(٢٥٠ جنيه)
الكويت	(٣٠٠ فلس)	المغرب	(٥ دراهم)

الاشتراكات

داخل دولة الإمارات نقدا ولا تقبل شيكات

ما ينشر بالمجلة يعبر عن رأي كاتبه

بسم الله الرحمن الرحيم

الخروج من المأزق إلا بإجماع الإرادة

لاتـزال أمتنا تتـخبط في متاهـات التفكـك بسبب خلافاتهـا وعـدم تسامحها فيما بينها وإعطاء الفرصة تلو الفرصة لأعدائها للتدخل فى شئونها والاستحواذ على معظم دخولها والتحكم في إرادتها تحت زعم حمايتها من مخاطر تهددها ، وقد تكون هذه المخاطر من صنع أعدائنا أنفسهم ومن تدبيرهم ، وهى فى الواقع حماية لمصالحهم ، وحصار لنا لتأمين تلك المصالح من أية صحوة مفاجئة تضربها .

ولقـد دعونا مرارا إلى ضرورة العمل على وحـدة الصف استجابة لحكيم أمتنا صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان ، الذى أدرك أن مانحن فيه من تخبط وتفكك ، وازدياد المخاطر التى تستهدف أمتنا مرجعه إلى تضخيم خلافات الأشقاء وفقد الثقة بينهم ، مما ضاعف من فرص التدخل الغربي فى عالمنا وأعطى الفرصة لأعدائنا فضاعفوا أيضا من مؤامراتهم الرامية إلى استلاب أرضنا ونهب ثروات أمتنا والسيطرة على مواردها ومقدراتها ، وأنه إزاء هذه المخاطر لاسبيل إلى نجاة أمتنا إلا بتناسى أحقادها وتوحيد صفوفها ، وفتح صفحة جديدة ، تحكمها مواثيق دقيقة تتناول تقنين وضبط علاقاتنا ببعضنا البعض وكيفية تعاملنا فى قضايانا الاجتماعية والاقتصادية والحدودية والسياسية ، بحيث لاتترك ثغرة يمكن أن تتسلل منها الشياطين للدس فيما بيننا أو إشعال الحروب والفتن بين دولنا .. فإن انتصرت الإرادة وتحقق هذا الأمل الذى يرجوه كل عربي ومسلم ، انتقلنا بوحدة صفنا وجمعنا إلى قضايانا المصيرية ، فنواجهها بموقف حازم يضع

ولا إجماع لإرادة الأمّة إلّا بالاتّحاد

مصالح أمتنا ومعتقداتنا فى مقدمة أهدافنا حتى تعود لهذه الأمة كرامتها ومهابتها وتثبت للعالم أن أمة الإسلام هى أمة السلام الحقيقى القائم على الصدق والعدل والشرف ، وأن هذه الأمة فى سعيها إلى السلام لن تجنح للاستسلام ، لأن الاستسلام هو سبيل التخاذل والهزيمة والجبن ، وتاريخ أمتنا ينأى بنا عن هذه الصفات التى يخلو منها قاموس مصطلحاتنا ..

إنها دعوة أطلقها زايد الخير وقد وجدت أكبر صدى فى أوساط شعوب وجماهير أمتنا ، كما كانت أساسا لآخر اجتماع قمة عربية لقيادات أمتنا تحت مظلة جامعة الدول العربية ، وهو الاجتماع الذى وضع على رأس أولوياته رأب التصدع القائم بين الأشقاء العرب والعمل على إزالة الخلافات والتقريب بين مختلف وجهات النظر ، درءا للفتن التى جعلت أمتنا نهبا لمطامع الآخرين وهدفا لمخططاتهم .

إن اجتماع قيادات الأمة على الرغبة الصادقة في إزالة الخلافات وتوحيد الجهود لحماية شعوبنا وأوطاننا هدف نبيل يستحق كل تقدير واحترام ، ولكن الأجمل منه هو متابعة تنفيذ قراراتهم والتصدى لمحاولات الإيقاع بينهم من جهة وبينهم وبين شعوبهم من جهة أخرى ، والله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه .

فهل تعمل قياداتنا المعاصرة على تحقيقها ؟؟؟

مصبح محمد السويدى

الرسول ﷺ الرحمة المهداة

للشيخ : محمد صابر البرديسي

كانت الدنيا والعرب على وجه خاص قبل بعثته ﷺ في ظلام دامس، وجهل فاضح، وضلالة عمياء، وقسوة ظالمة - صرفت الإنسان عن إنسانيته، وفجرت فيه نوازع الشر، وشراسة باغية عاتية حولت الناس إلى وحوش ضارية أفزعت الآمنين وجعلتهم في صراع دائم فأرسل الله رسوله محمدا (ﷺ) رحمة بتلك البشرية التائهة في ضلالها لينتشلها من براثن الجهل، وظلمات الباطل.

جاء سيدنا محمد ﷺ فرفع الأمة من حضيض الهوان والشقاء، إلى أوج السعادة والعزة والرخاء. ودعا إلى التوحيد، وقرر الحرية والمساواة، وشرع الإخاء والحب والتعاون والرحمة، وقضى على الرذائل والمنكرات، ومحا الأوهام الضارة، وهذب الشهوات، ووقف ضد التقاليد البالية، وجمع الناس تحت لواء واحد وشريعة واحدة هي شريعة الإسلام.

لقد أرسله الله بالهدى والرحمة، فشمل برحمته الناس جميعا، واقتدى به أصحابه والمسلمون فأصبحت الرحمة طابعا لهم، وعنوانا لأقوالهم وأفعالهم.

لقد جاء رسول الله (ﷺ) رحمة إلى الناس كافة فأخذ بأيديهم إلى الهدى، جاءهم بمنهج سمح يسعد البشرية كلها، يلبي رغبة الناس، ويوجههم نحو العلا والتقدم، لا يقعد بهم ولا يكبت طاقاتهم، ولا يحرمهم الاستمتاع بطيبات الحياة، لا يعذب الجسد ليسمو بالروح، ولا يهمل الروح ليستمتع الجسد بلا حدود.

وقد لاحت بشائر نبي الرحمة، وظهرت بواكيرها، منذ نعومة أظفاره وقت أن كان رضيعا.

فقد كانت حليمة السعدية فقيرة مسكينة، تقيم هي وزوجها الحارث في خيمة في منطقة قليلة الخير، بحثت في بيوت مكة علها تجد من يدفع إليها طفلا ترضعه، فكان سيدنا محمد ﷺ من نصيبها، وقبلت أن تكون مرضعة له على يتمه، فإن ما يُدفع لها من المال (مهما قل) فإنه يساعد في الغذاء فيدر صدرها لبنا تعطيه لسيدنا محمد ﷺ، ولأخيه عبدالله من الرضاع.

حملته حليمة إلى خيمتها فحملت معه

السعادة والرحمة والخير والبركة، وما أن استقرت به في خيمتها حتى تغيَّر كل شيء حولها فأمطرت السماء، ثم اخضرت الأرض مليئة بالمرعى فعم الخير، وأصبح اللبن في ضروع المواشي كثيرا وغزيرا، وغمرت الحياة الرخية المنطقة كلها حتى لقد قيل (اسرحوا حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب «يعنون حليمة السعدية»).

ظلت الرحمة تحيط به، وتغمر من حوله، لزمته واستمرت معه، وأصبحت جزءا منه يتصرف في أموره من خلالها.

ففي ريعان شبابه حين اختلفت قريش فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه من الكعبة، بعد أن تضافرت جهودهم في تجديد بنائها، وكادوا يحتكمون إلى السيوف، لولا أنهم رجعوا إلى عقولهم، واتفقوا على أن يحكموا أول داخل من الباب عليهم، وتعلقت أبصارهم لترقب الحَكَم الذي تسوقه الأقدار إليهم، فكان محمد أول داخل من ذلك الباب، فهتفوا جميعا (هذا الأمين رضيناه حكما). والرحمة من صفات الإنسانية الفاضلة التي تحيط المجتمع بسياج من الحب، وتجعل أبناءه متعاطفين متحابين متراحمين.

وأخص ما تكون صفة الرحمة فضيلة إنسانية إذا كانت مع الصغار الذين يحتاجون إلى حنان خاص، وكان رسول الله ﷺ يحمل بين جنبيه قلبا كبيرا يسع الناس جميعا، الصغير والكبير، والقريب والبعيد، وكيف لا يكون كذلك وقد وصفه الله بقوله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (سورة الأنبياء آية ١٠٧).

عطف وحنان

كان ﷺ يداعب الصغار ويحنو عليهم، ويضمهم إلى صدره، ويقبلهم بفمه رحمة، وحنانا وشفقة، وكان للبؤساء واليتامى تعزية وسلوى.

عن أسامة بن زيد - رضي الله عنهما - قال كان رسول الله ﷺ يأخذني فيقعدني على فخذه، ويقعد الحسن على فخذه الأخرى ثم يضمنا ثم يقول:

(اللهم ارحمهما فإني أرحمهما).

ومن رحمته بالنساء رحمته بأزواجه، وكان يحافظ على شعورهن، من ذلك أنه حدث خلاف بين السيدة صفية بنت حيي بن أخطب (زوج رسول الله ﷺ) وكانت قبل إسلامها من يهود بني النضير وبين السيدتين عائشة وحفصة زوجتي رسول الله ﷺ فقالتا لها (نحن أكرم على رسول الله منك، فشكت ذلك للحبيب المصطفى (عليه الصلاة والسلام) فقال لها: «ألا قلت لهما: وكيف تكونان خيرا مني، وزوجي محمد، وأبي هارون وعمي موسى؟»).

ويرخص للبنات الصغار أن يلعبن باللُعب التي تدربهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن.

ومن مواقف رسول الله ﷺ مع عائشة في صغرها «هذه الرخصة» عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (كنت ألعب بالبنات عند النبي ﷺ وكان لي صواحب يلعبن معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه فيسر بهن إلى أن يلعبن معي)..

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه قال: مات ميت في آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء يبكين، فقام عمر ينهاهن ويطردهن، فقال رسول الله ﷺ: (دعهن يا عمر فإن العين دامعة، والقلب مصاب، والعهد قريب)..

لنتعلم من هدى الرسول

فما أحوج الناس إلى أن يتعلموا من هدى رسول الله ﷺ ما يرقق قلوبهم، ويبعث فيها الرحمة، ويذهب منها الغلظة والجفوة فقد رحم رسول الله ﷺ هؤلاء النساء فلم يمنعهن من البكاء الاضطراري الذي لا يمكن دفعه إلا بمكروه يلحق بالجسد، ويصيب البدن، وهذا فيه كبير ضرر، على أن النساء لم يزدن على البكاء، فيفعلن ما هو ممقوت من النواح والجزع وصدق الله إذ يقول: ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾ سورة التوبة آية ١٢٨.

هو رسول من أنفسهم، وثيق الصلة بهم جزء منهم، تربطهم به صلة النفس بالنفس، والروح بالروح، وهي أشد صلة وأعمق أثرا، رحيم بأمته يشق عليه مشقتها، ويعمل على راحتها ويبذل في سبيلها النفس والمال، لأنها صلة في الله ولله.

لا يُلقي بأمته إلى التهلكة، ولا يدفع بها إلى المهالك، وإذا لاح للبعض أن في التكليف مشقة، فهي في الواقع رحمة، رحمة من الذل والهوان، ومن الذنب والخطيئة هي الحرص على أن يكون المسلم مثلا أعلى في الخلق الفاضل وأن يكون له شرف الرضا من الله، وأن يظفر بما وعد الله به عباده المتقين من الظفر بالجنة، رحمة شملت الفرد والجماعة، وعمت كل ذي كبد حَرّى، وتجاوزت البوادي والحواضر لتغمر آفاق الدنيا، وتتعداها إلى الدار الآخرة حيث يكون الجزاء الأوفى والجنة هي المأوى.

وفي حديث رواه مسلم عن جرير بن عبدالله – رضي الله عنه – أن قوما من مضر أقبلوا على الرسول ﷺ في صدر يوم من الأيام وقد بدت عليهم أمارات الفقر والفاقه، يضعون على أجسادهم قطعا لا تكاد تسترها حتى لكأنهم عرايا، فتغير لذلك وجه الرسول ﷺ وبدا عليه الغضب الشديد، وعز عليه أن يرى قوما من المسلمين تتملكهم الفاقة إلى هذا الحد. ورؤي رسول الله ﷺ يومئذ مهتما قلقا يدخل ويخرج، ويقوم ويقعد، ثم أمر بلالا أن يؤذن في الناس، فأذن بلال، وحضر الناس،

> رحمة رسول الله ﷺ
> شملت الفرد والجماعة
> وغمرت آفاق الدنيا

وأقيمت الصلاة، ثم خطب فقال: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا﴾ – سورة النساء آية ١ – ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة، أصحاب الجنة هم الفائزون﴾ – سورة الحشر آية ١٨ حتى ٢٠ –.

ألا فليتصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، إلى أن قال: (ولو بشق تمرة)، فجاء رجل من

الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت ثم تتابع الناس حتى تجمع كومان من طعام وثياب، فتهلل وجه النبي ﷺ لما رأى من تلبية ندائه واستجابة دعوته، وقيام الأغنياء بحق الفقراء، ثم قال: (من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده لم ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من يعمل بها بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء).

رسول الله بالمؤمنين رءوف رحيم عز عليه أن يرى هذا المنظر المؤلم ولم يطق صبرا أن يرى العُريَ والضعف والهزال ماثلا أمامه وفي المسلمين أغنياء لديهم الأموال، فأخذته الرحمة ودفعته الشفقة فاهتم بأمر هؤلاء الفقراء، وتغير وجهه، وكأن الأمر مصيبة ونازلة تعم المسلمين فجمع المسلمين ودعاهم إلى الاكتتاب والتبرع فكان هذا أول اكتتاب مالي في الاسلام لمحاربة الفقر والبؤس والعوز.

لم تمت الرحمة بموت محمد بل عاشت في قلوب الناس احساسا وعقيدة ومثلا من نبي الله في خلق الله، وهذه هي الحقيقة التي جعلها الرسول للمسلم مثله الأعلى، ولن يكون مسلما كاملا إلا بها وإلا إذا امتد بمنافعه حول أمته كلها.

أرسلت بنت النبي ﷺ تقول : (إن ابني قد احتضر ثم أقسمت عليه ليأتينها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، ورجال، فرفع إليهم الصبي فأقعده النبي في حجره، ونفسه تقعقع، ففاضت عيناه فقال سعد: يا رسول الله ما هذا؟ قال: «هذه رحمة يجعلها الله في قلوب عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء».

أنا رحمة مهداة

الرحمة صفة محمد ﷺ وصحبه (إنما أنا رحمة مهداة).

ويقول الله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ ومحمد وصحبه أشداء على الكفار، وفيهم أقرب الناس إليهم، آباؤهم وإخوتهم وذوو قرابتهم، ولكنهم قطعوا هذه الصلات وتلك الوشائج جميعا، وهم رحماء فيما بينهم، يتحابون في الله وهم إخوة دين، يقيمون علاقاتهم وعواطفهم ومشاعرهم وسلوكهم وأعمالهم على أساس من المحبة في الله، فإذا اشتدوا فالشدة في سبيل الله، واذا تراحموا فالرحمة لله، تجردوا من الأنانية ومن الهوى (الشدة) والسماحة، والبغض والحب لا يكون إلا لله.

وتتعدى رحمته ﷺ الإنسان فتشمل الحيوان أيضا وهذا سراقة يسأل رسول الله ﷺ عن ضالة الإبل تغشى حياضه، فهل له من أجر إن سقاها؟

فيقول له رسول الله ﷺ: «في كل ذات كبد حَرّىٰ أجر».

ففي سقْي الحيوان وجميع وجوه الاحسان إليه من إطعام وعلاج ثواب وأجر والمراد الإحسان إلى كل ما فيه حرارة الحياة ورطوبتها ويختص ذلك بالحيوان

وفي الحديث «بينما رجل يمشي اشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب ثم خرج، فإذا بكلب يلهث ويأكل الثرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب مثل الذي بلغ بي فنزل في البئر ثانية فملأ خفه ثم أمسكه بأسنانه، ثم رقى فسقى الكلب، فشكره الله فغفر له، قالوا يا رسول الله: «وإن لنا في البهائم أجرا»، قال – عليه الصلاة والسلام – (في كل ذات كبد حَرّى أجر» ﷺ.

المُلك

بقلم الشيخ
خواجه شمس الدين العظيمي

أريد أن أعطيك ذلك السر الذي يجعل الإنسان، أشرف خليفة، في مُلك الله، وإن واظب عليه أصبح عضواً فعالاً في الملك المذكور.

هل فكرت ما هي وظيفة الله؟

الله ، بوصفه خالقاً، ما زال ولا يزال يدبر مصالح خلقه كل لحظة وآن، وإذا استعرضنا الحياة الإنسانية من الميلاد إلى الموت بدا بكل وضوح وجلاء، أن الله يسخر للإنسان كل ما هو بحاجة إليه سواء، كان في بطن أمه، أو في فترة الرضاعة، أو في أيام صباه، أو على عهد شبابه، أو في حالة شيخوخته، وكل ما نرى من نور القمر وضوء الشمس وما تنبته الأرض من بقلها وقثائها إنما هو حلقة في سلسلة طويلة لخدمة الإنسان، ولا تزال هذه السلسلة مستمرة بموجب قانون أو نظام إلهي خاص وضعه الله وقام بتنفيذه، فسبحان الله الخلاق العظيم.

ومن مشاهداتنا العادية نرى أن الإنسان إذا رغب في أن يتقرب إلى أحد تقمص عاداته وأخلاقه. فمثلا إذا أردت مصادقة مصل أصبحت مصلياً، وإذا أحببت مصاحبة مقامر بدأت الاهتمام بالقمار وما والاه، أي إذا أردنا الدنو من الشيطان رغبنا في أوصافه، واذا أردنا الدنو من الرحمن اخترنا صفاته وعاداته، ومن رحمة الله تعالى بعباده توفيقه الدائم للمخلصين من خلقه بالسعادة في الدنيا والآخرة.

> السرّ الذي يجعل الإنسان أشرف خليفة في مُلك الله

فإذا أردت أن تكون حاكماً في الكون بمعرفة الخالق والدنو إليه فيجب أن تكون خدمة خلق الله هي شغلك الشاغل، فمن أحب خلق الله أحب الله بلا شك، والحبيب لا يزال يمطر حبيبه بنواله: ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (سورة الجمعة / آية ٤).

إن التطور الثقافي الذي حققته البشرية فيه فرع هام يهتم بالتخطيط للمستقبل بناء على واقع الحال وبالاستفادة من التاريخ، والعلوم السائدة كلها تؤدي دورها، بشكل أو بآخر، لتحسين حاضر الإنسان والسعي وراء تأمين مستقبله، لذلك قيل: إن علم التاريخ هو أهم العلوم وأشرفها.

ولم يعد خافيا علينا اليوم أن الأرض شهدت في الماضي أمماً هي أرقى منا حضارة ثم أبادهم الله حتى أصبحوا أثراً بعد عين، ولم تبق إلا آثارهم، وليست البحوث المرتبطة بما قبل التاريخ فحسب هي وحدها التي تلم بذكر الأقوام البائدة بل تاريخ البشرية، في ترابطه واستمراره مشحون بمثل هذه الأمثلة التي لا يحصرها العد.

وإذا تتبعنا تلك العوامل الرئيسة التي ساهمت في إبادة أولئك الأقوام اتضح لنا أن الأمة أو القوم إذا توطدت علاقتهم بالدنيا وفترت في جانب الروح غلب عليهم الجشع والشره ومثل هؤلاء الأقوام لا يكون نصب أعينهم سوى اقتناء الدنيا واللهث وراء المال فنجدهم يقعون في مهاوٍ سحيقة من الجشع والشره ولا يجدون من سبيل إلى الخروج كما لا يقيمون وزناً للقيم العليا نحو الشرف والكرم والتقى والنزاهة.

إن من يمتلك القناطير المقنطرة من الثروات بأنواعها ووسائل الحياة الناعمة المرفهة ويعيش وراء ملذاته وشهواته ولا يخطر بباله أن كل هذا آيل إلى الزوال وأنه لن ينفعه إلا ما يقدمه من حسنات في الدار الآخرة، إن هذا الفرد إذا صار نموذجاً وقدوة لمجتمع ما كتب الله على ذلك المجتمع أو تلك الأمة الدمار وأذاقها الله ضنك المعيشة وترادف المصائب.

وحب الدنيا يورث الخوف من الموت والعكوف على الشهوات واللهث وراءها فتكون الغفلة التي تمكن الأعداء من الكيد وتدبير المؤامرات التي تحاك بمصائد من ذهب وفضة فيأتيهم البلاء من حيث يأمنون.

قطوف

العلم دين

- روى الخطيب عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال :
« **يا ابن عمر ، دينك دينك ، إنما هو لحمك ودمك فانظر عمن تأخذ ، خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا . . . .** »
- وروى عن الضحاك أنه قال :
إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه .
- وروى عن مجاشع قوله :
سمعت علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو في مسجد الكوفة يقول :
انظروا عمن تأخذون هذا العلم فإنما هو الدين .
- وروى عن ابن عون قال : قال محمد بن سيرين :
إنما هذا الحديث دين فانظروا عمن تأخذونه

(الكفاية في علم الرواية)

الزكاة

للدكتور محمد كمال الشريف

{قد أفلح المؤمنون، الذين هم في صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون} ..

سورة المؤمنون آية ١-٤

لقد بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إلّه إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلاً .. لكن للصلاة والزكاة أهمية بالغة، إذ لا يكاد الإيمان يذكر في القرآن إلاّ وتذكر معه الصلاة والزكاة .. وقد قاتل الصديق رضي الله عنه أقواماً من الناس منعوا الزكاة.. وعندما أَذِنَ الله للمؤمنين بقتال الكفار، وبشرهم بتمكينهم في الأرض ذكرهم بما يريده منهم عندما يمكنهم فيها، فكان ما يريده منهم بالدرجة الأولى أن يقيموا الصلاة وأن يؤتوا الزكاة، وأن يأمروا بالمعروف وأن ينهوا عن المنكر .. قال تعالى: ﴿الذين إن مكنّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتَوُا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» (الحج آية ٤١).

إن الصلاة والزكاة مقدمتان على ما سواهما من العبادات في الإسلام لما للصلاة من أثر في النهي عن الفحشاء والمنكر إذ تقام لذكر الله، ولما للزكاة من أثر عظيم في النفس والمجتمع، فهي طهر للنفس ونماء للمجتمع .. قال تعالى عن الزكاة وغيرها من الصدقات:

﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، وَصَلِّ عليهم إنّ صلاتك سَكَنٌ لهم والله سميع عليم﴾ (التوبة ١٠٣).

إذن الصدقات عموماً والزكاة خاصة فيها تطهير للنفوس المؤمنة وفيها النماء والزيادة والبركة للمجتمع المسلم. وكلمة زكاة تحمل المعنيين معاً، فالزكاة: الطهارة، والزكاة: البركة والنماء، وزكا الشيء زُكُوّاً وزكاءً وزكاةً: نما وزاد، وزكىٰ الشيء وأزكاه: نَمّاه (انظر إن شئت المعجم الوسيط).

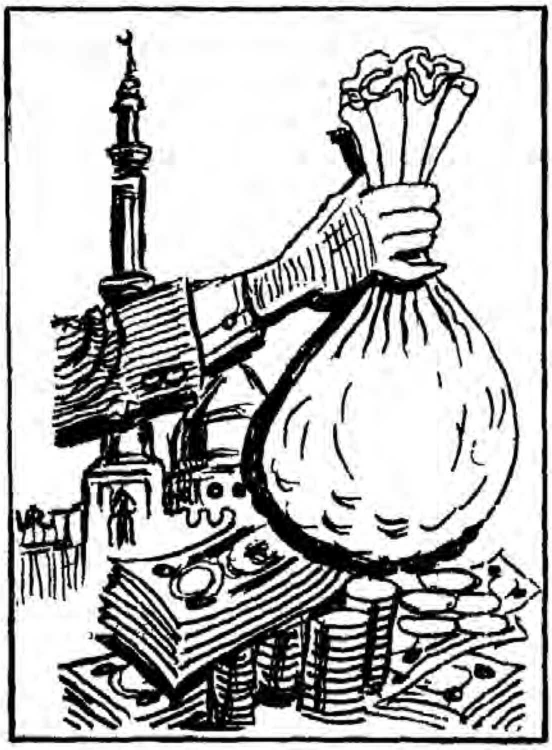
لكن السؤال هنا هو: مم تطهر الزكاة؟ وكيف يكون فيها النماء والزيادة؟

تطهرهم :

تطهر الزكاة والصدقات الأخرى .. نفوس المؤمنين من مشاعر سلبية عديدة، كالشعور بالذنب والحسد والحقد والعداوة والبغضاء والقلق والعزلة والعجز والنبذ والهجران .. فقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يتفاوت فضله على عباده، فيكون منهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم الصحيح المعافى ومنهم المريض السقيم، ومنهم القوي ومنهم

تطهير وتزكية

الضعيف .. ونفوس المؤمنين نفوس تتربى على التقوى وتمتلىء بالضمائر الحية الحيية الرحيمة .. والمؤمن الذي آتاه الله من فضله ما حرم منه غيره، هذا المؤمن ذو الضمير الحي لن ينعم بفضل الله ونفسه مرتاحة وهو يرى غيره محروماً مما يتمتع هو به حتى لو كان ما فضل به هو من قبيل الكماليات، وسيجد غصة كلما تنعم بعطاء الله، ومع أنه ليس هو المسؤول عن حرمان المحرومين، فإنه سيبقى يحس بالذنب إذ هو ينعم بالفضل والزيادة وغيره محروم، وقد لوحظ الشعور الشديد بالذنب عند من نجا من المذابح ومعتقلات الاعتقال في الحروب الشرسة بينما قتل من كان معه من الأسرى، وهذا الناجي يشعر بالذنب لمجرد أنه نجا بينما هلك الآخرون، مع أنه لا ذنب له في هلاكهم، ولم ينجُ على حسابهم، إنما هو قدره وأجله، فكيف سيكون حال المؤمن صاحب الضمير الحي إذا تمتع والآخرون محرومون؟ إنه لا بد سيعاني من إحساس بالذنب مشابه لإحساس الناجين من الكوارث والمذابح التي مات فيها غيرهم .. ونفس المؤمن لن ترتاح حتى يُشرك المحرومين فيما هو فيه من نعمة، ولكن هل يوزع كل مالديه من فضل الله على المحرومين لينضم إليهم ويكونوا في الفقر والحرمان سواءً؟ إن هذا ليس هو الحل، فهو يعاكس الفطرة كما يتعارض مع الحكمة التي من أجلها جعل الله فضله بين الناس متفاوتاً.



حكمة فرض الزكاة

وهنا تبرز الحكمة من فرض الزكاة على المؤمن يخرجها مما زاد على حاجته مدة سنة كاملة، وتبرز الحكمة من تحديد الزكاة تحديداً لا غموض فيه، إنها اثنان ونصف بالمئة، يخرجها المؤمن من ماله الزائد على حاجته، الذي بقي لديه سنة كاملة زائداً على حاجته، ويهنأ بالسبعة والتسعين والنصف بالمائة الباقية لديه، يتنعم بها بما أباحه الله له من الطيبات دون أن يشعر بالإثم أو الذنب، وإن هو تصدق بأي شيء فوقها أحس بالرضا والارتياح الذي يشعر به المؤمن كلما قام بعمل صالح تطوّعي يؤديه من تلقاء

نفسه. ولو أن الزكاة، وهي الحد الأدنى للصدقات، لو أنها لم تحدد برقم، وقام المؤمن بالتصدق بجزء من فضل الله عليه، ولنقل إنه تصدق بخمسة بالمائة، فإنه قد يبقى لديه إحساس أنه مقصر في حق المحرومين وأنه لا حق له في أن يتنعم بالخمسة والتسعين بالمائة الباقية، وحتى لو زادت صدقته إلى عشرة بالمائة فإنه سيبقى لديه القابلية للإحساس بالذنب والتقصير، وحتى لو زاد على العشرة بالمائة أو العشرين بالمائة أو أكثر من ذلك، فإنه سيبقى من المؤمنين أناس ضمائرهم حية تحاسبهم وتمنعهم من أن ينعموا بما بقي لديهم من فضل الله، أما وقد حدد الله مقدار الزكاة، فإن النفس ترتاح بعد أدائها، إذ يعلم المؤمن علم اليقين أن الله الحكيم الخبير قد فرض في أموال الأغنياء ما يسد حاجة الفقراء، فلا يعتبر المؤمن مقدار الزكاة قليلا وهو يعلم أن الله قد فتح باب القبول للصدقات التطوعية وحث عليها ووعد عليها الأضعاف المضاعفة إلى سبعمائة ضعف، فالزكاة هي الحد الأدنى وباب التطوّع مفتوح، لكن الرسول ﷺ لم يأذن للصحابي بأن يتصدق بأكثر من ثلث ماله للفقراء حرصاً على حق الورثة، هذا بعد موت المؤمن، أما في حياته فإن عليه أن يحرص على من كلفه الله أن يعولهم وينفق عليهم، فالأقربون أولى بالمعروف، وكل نفقة ينفقها على زوجه أو أولاده إنما هي صدقة عظيمة الأجر.

وأفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنيّ كما قال النبي ﷺ، أي الصدقة التي تُبقي المتصدق غنياً، لا التي تستهلك ما له وتتركه فقيراً.



عطاء مجسد

والصدقات بما فيها الزكاة، إنما هي عطاء مجسد تتجلى فيه قمة النضج النفسي عند الإنسان، لأن الإنسان الناضج نفسياً هو الإنسان المعطاء، ولما كان عمر أربعين سنة يمثل ذروة النضج، عند الإنسان كان أيضاً كما بينت الدراسات النفسية عمر الانتقال إلى مرحلة العطاء، إذ فيه يبدأ الإنسان بتوجيه أكبر قدر من قدراته للعطاء للآخرين بدءاً بأولاده وانتهاء بجميع أفراد البشرية. والعطاء إنما هو حُبٌّ تَجَسَّد، والحب الناضج إنما هو حب العطاء لا حب الأخذ والانتفاع، ومن يراقب الأطفال وحبهم يلاحظ أنه حب أخذ وانتفاع، فالطفل يحب أمه وأباه ليأخذ منهما، أما البالغ فيحب ليعطي ويضحي من أجل محبوبه، وإن كانت الرومانسية تجعل للحب عند المراهقين والشباب شكلاً مميزاً .. إن الصدقات بما تمثله من معاني الود وبما تجسده من الحب الذي تفيض به نفس الغني الشاكر على إخوته المحرومين، هذه الصدقات تطهر نفوس المحرومين من أية مشاعر حسد وحقد طبقي أو غير طبقي تجاه الأغنياء، كما تطهر نفوس الأغنياء في الوقت نفسه من الشح والبخل والإمساك والتقتير ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ (الحشر ٩). ثم إن الصدقات تطهر نفوس المحرومين من أية مشاعر سخط تجاه الخالق يمكن للحرمان أن يولدها في نفوسهم، وتطهرهم من أية مشاعر عداوة موجهة إلى باقي أفراد المجتمع ناتجة عن الإحباط الذي يمكن للحرمان الزائد على الحد أن يثيره في نفوسهم، وتطهرهم من أي شعور بالنبذ والهجران والقطيعة بينهم وبين المجتمع، ذلك أن الحرمان والفقر مع كثرة المسؤوليات يجعلان الإنسان يحس بأن الله قد كرهه وهجره، وأن المجتمع لم يرحمه ولم يشعر به، فتمتلىء نفسه قلقاً وغيظاً ويضعف شعوره بالانتماء إلى مجتمع لا يهتم به ولا يقف معه في محنته، وهذه المشاعر السلبية يمكن أن تؤدي إلى الكثير من الرذائل، ابتداءً بالفاحشة والمخدرات وانتهاءً بالجريمة أو الثورات الهوجاء المدمرة المدفوعة بالحقد والحسد وحب الانتقام.

طمأنينة النفس ورضاها

وعودة إلى نفس المؤمن المتصدق، فإن للزكاة وغيرها من الصدقات أثراً كبيراً في ملء النفس المؤمنة بالرضا والسعادة، إذ هي تحقيق للذات، وهي تحقيق للخلافة في الأرض، عندما يتمثل المؤمن من خلال الصدقات الكثير من صفات المولى وأهمها العطاء، فالله هو المعطي وهو المانع .. وعندما ينجح المؤمن في أن يعطي الآخرين ويدخل السرور إلى قلوبهم، فإنه يتمتع بالسعادة ويستشعر الرضا عن نفسه (لا العجب بها والتكبر والتعالي)، إنما هو يرى أنه بعمله الصالح قد اقترب من الصورة المثالية للمؤمن التقي المستخلف في الأرض، التي يحلم دائماً في أن يصل إليها. وكلما اقترب واقع النفس البشرية من الصورة المثلى التي تسعى النفس إلى تحقيقها ازدادت النفس طمأنينة وخف قلقها وحزنها ونعمت بالسعادة.

وتزكيهم :

الصدقات وعلى رأسها الزكاة تطهر نفوس المؤمنين، وهي في الوقت نفسه فيها النماء والزيادة والبركة، وهذه مكاسب اقتصادية تعم المجتمع المسلم أغنياءه وفقراءه. ولدور

الزكاة وباقي الصدقات في النمو الاقتصادي في المجتمع جوانب اقتصادية بحتة وجوانب نفسية، والجوانب الاقتصادية البحتة أترك بحثها لأصحاب الاختصاص في الاقتصاد، وإن كنت أشير هنا إشارة عابرة إلى أن الصدقات والزكاة بالذات تزيد من القوة الشرائية في المجتمع، إذ الزكاة توزع حيث المال (إلاّ في أحوال خاصة)، وعندما توزع على فقراء المجتمع الذي أنفقها أغنياؤه، فإنّ الازدهار والرواج في أسواق المجتمع الناتجة عن هذه الأموال من زكاة وصدقات أخرى يعود نفعها على الأغنياء أنفسهم، لأنهم هم أصحاب التجارات والصناعات وغير ذلك .. والزكاة مع تحريم الربا توجد في المجتمع تفاعلات اقتصادية تختلف كثيراً عما هو الحال في المجتمعات الغربية ذات الاقتصاد الحر، مع أن الاقتصاد في الإسلام حر إلى حد كبير.

وأعود إلى الجانب النفسي المؤثر في الاقتصاد الذي من خلاله تكون الصدقات عموماً والزكاة خاصة نماءً وزيادةً وبركة للمجتمع .. ولفهم هذا الجانب نعود لنتذكر الحكمة التي من أجلها فاوت الخالق سبحانه وتعالى في عطائه بين الناس، فكان منهم الفقير ومنهم الغني .. وهذه الحكمة الهامة هي في إيجاد الدافع لدى أفراد المجتمع ليقبلوا العمل في المهن المختلفة الشاقة أو اليسيرة كل بحسب احتياجه وبحسب الفرصة المتاحة له، وهذه الفرص هي من فضل الله الذي يتفاوت من فرد إلى آخر، وعندما توجد الحاجة المالية يوجد الدافع إلى العمل، فالنفس البشرية فيها شهوة الراحة والكسل والتفرغ للهو والتمتع، ولولا الحاجة ربما لم يعمل من الناس إلاّ القلائل الذين سيكون عملهم مدفوعاً بدوافع نفسية أخرى، وكلما استغنى الإنسان مال إلى رفض العمل الشاق أو العمل ذي الأجر الرخيص، وسعى إلى عمل أقل مشقة وأعلى أجراً .. وقد بين المولى هذه الحكمة من تفاوت الناس في عطاء الله عندما قال: ﴿أهُم يَقْسِمونَ رحمةَ ربِّكَ، نحنُ قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ ليتخذ بعضهم بعضاً سُخْرِيّاً ورحمةُ ربِّكَ خيرٌ مما يجمعون﴾ (الزخرف ٣٢). ومن خلال الزكاة والصدقات الأخرى يتحقق التكافل الاجتماعي في المجتمع حيث تتأمن حاجة الفقير الذي عجز عن العمل، أو الذي عمل لكن دخله لا يكفيه، وفي القرن العشرين وجدت صيغ أخرى للتكافل الاجتماعي في المجتمعات الصناعية وبخاصة الغربية، لكنها لا تقوم على الصدقات، بل على الضرائب المفروضة على الجميع، وفرض على أصحاب العمل أن يدفعوا إلى الهيئات المسؤولة عن الضمان الاجتماعي مبلغاً يكاد يعادل الراتب المدفوع للعامل أو الموظف لديهم، وذلك عن كل عامل أو موظف لديهم، وهذا يعني أن العامل الذي يتقاضى سبعة آلاف شهرياً يكلف صاحب العمل حوالي الأربعة عشر ألفاً، ومن هذا المال الإضافي الذي يدفعه صاحب العمل تقوم الحكومة بصرف رواتبٍ لمن خسر عمله ريثما يحصل على عمل جديد. وهذا يؤدي إلى شعور العامل بقدر من الأمان، إذ لصاحب العمل الحرية في فصله من عمله متى شاء.. وفيه قدر من الأمان للمجتمع حيث يستغني المتعطل عن العمل عن الجريمة لتأمين احتياجاته الأساسية.

للبحث صلة

الثقافة الإسلامية بين الواقع والأمل

حوار مع الدكتور / حسن أحمد كبير

أجرى الحوار: عنتر مخيمر

□ في مواجهة التحديات التي يعيشها العالم الإسلامي.. نحن في حاجة إلى نظام ثقافي إسلامي جديد، في حاجة إلى تواصل ثقافي عربي.. وأيضاً ما أكثر مسؤوليات المثقف المسلم.

هذا ما يؤكده – ويوضحه – الدكتور حسن أحمد كبير عميد كلية اللغة العربية في جامعة الأزهر «فرع الزقازيق» في الحوار التالي الذي أجريناه معه:

○ ما تعريفك للثقافة الإسلامية؟.

– تستعمل كلمة الثقافة للدلالة على الرقي الفكري والأدبي والصناعي للأفراد والجماعات.. والتقدم الفكري والثقافي يساعد على الوصول من أقرب السبل إلى التقدم المادي. وللثقافة خصائصها وأهدافها وأنواعها وهي وإن كانت واحدة في جوهرها تتنوع وتتكيف مع ظروف الزمان والمكان وتتعدل وتتقلب بحسب النزاعات الفكرية والاتجاهات المعنوية بين الأمم.

○ وماذا نعني بالثقافة الإسلامية؟.

– الثقافة الإسلامية هي مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة، تحدد للإنسان سلوكاً متميزاً يقوم على مجموعة من القيم والمثل والمفهومات يؤثرها ويستمسك بها ويحرص عليها، وهذه الخصائص والصفات تتوفر لديه من خلال المعارف والتجارب التي مر بها في مختلف البيئات الزمانية والمكانية على أن تكون نابعة من مصادر التشريع الإسلامي ومبادئه وقيمه السامية ولا تتعارض مع المفهومات الإسلامية الصحيحة ولابد أن تصبغ هذه الثقافة بالصبغة الإسلامية وتتشبّع بروح الإسلام بغير تزمت ولا تكلف.

○ في إيجاز.. ما رأيك في الواقع الراهن للثقافة الإسلامية؟.

– هناك قصور في بعض النواحي الخاصة بالثقافة الإسلامية وسببه التهاون الذي

الأزمة الإنسانية الكبرى في حاجة إلى الفكر الإسلامي

يصيب بعض المسلمين بالجري وراء كل وافد أو غربي.. هؤلاء الذين يفضلون التقليد على الأصالة والزخارف على القيم وصاروا عبيداً للآلة التي سادت العالم في العصر الحديث.

○ ما الحل إذن؟

– الثقافة الإسلامية يجب أن تقوم على الترقي الأدبي والخلقي فيتجه الإنسان المسلم إلى ثقافة لها جذورها القوية في التاريخ الإسلامي، ثقافة ترهف مداركه وتوسع آفاقه وتقوم على حب العدل والحرية والصدق والأمانة والتسامح والإرشاد والقناعة والجد والعناية بالإنسان في مختلف البيئات، وواجب الثقافة الإسلامية أن تقوم بدورها في تنقية البيئة الثقافية من كافة الشوائب الوافدة والمحلية وأن تبنى على أساس من العلم الذي يتفق مع أول مبادىء الإسلام وهو الحض على النظر والتفكير ونبذ التقليد والجمود الفكري وطلب العلم من المهد إلى اللحد وفرضية العلم الذي حث عليه الرسول الأمين (ﷺ) وجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة.

والبلاد الإسلامية التي تستمد نظم حياتها من مصادر التشريع الإسلامي يجب أن تضع لنفسها خطة لنظام ثقافي إسلامي له خصائصه وأهدافه وما يتميز به ويقوم على أُسس إسلامية صحيحة.

○ ما الذي تهدف إليه الثقافة الإسلامية؟.

– تهدف الثقافة الإسلامية إلى وضع نظام ثقافي إسلامي موحد يعمل على تنشئة الشباب تنشئة إسلامية تتمتع بالنضج العقلي والأفق المتفتح ونبذ الخلافات المذهبية والفكرية العقيمة التي تؤدي إلى انقسام الصف الإسلامي على نفسه وأن يتجه الجميع نحو التعليم الإسلامي والثقافة الإسلامية، وأن يكون الجو العام للثقافة هو جو العقيدة الإسلامية والمفاهيم الصحيحة.

– وتهدف الثقافة الإسلامية إلى خلق وعي إسلامي عام بين المسلمين، بحيث يكون هذا الوعي مدركاً مبادىء الإسلام وتعاليمه لدى المسلمين.. وعي بقضايا الإسلام المعاصرة، ووعي بوحدته ومصادر قوته وما يحيط به من أخطار.

– وتهدف الثقافة الإسلامية إلى وصل ما بين الدين والحياة وسد حاجات المجتمع الإسلامي عن طريق التعليم الإسلامي والثقافة الإسلامية واختيار أنسب الأساليب لتعليم الدين وإدخاله في النفوس فيراعى في ذلك السن والمستوى العقلي مع العناية بالأصول والمبادىء وتقديم القضايا الهامة، والعودة إلى القرآن والسنة ووصل ما بينهما وبين الآراء الفقهية.

○ في ضوء ما سبق.. ما هي أهم مسؤوليات المثقف المسلم؟.

– على المثقف المسلم الذي يستقي ثقافته من مصادرها الصحيحة ومنابعها الصافية الخالية من كل شائبة أن ينزل إلى معترك الحياة الجديدة بروح جديدة وقوة فتية وأن يتحرر من التقاليد القديمة التي لا تعود على

● مطلـــوب نظـام ثقـافي إسـلامـي يعمـل على تنشـــئة الشـــباب تنشـــئة إســـلاميـــة

المجتمع المسلـم والإنساني بـالخير والفائدة وعليه أن يفهـم حدود مهمته ومسؤوليـاته، وأن يكرس جهوده لتأديتها، وأن يكون أميناً في نقل رسالته وتبليغها وأن يجعل من نفسه انموذجاً حياً يتمشـى مع التقدم العالمي، وأن يساير أحدث الأساليـب والمناهج، وأن يكون مستنيراً في فهمـه للعـالم مـن حـولـه، وأن يحرص على اللغة العربية ويضرب في علومها وبـلاغتها بسهـم وافـر، ويعمـل على تقويـة دعـامتها ونشر تـراثهـا، وأن يـؤمن بـدوره الإنسـاني والعـالمي وأن الأزمـة الإنسـانيـة الكبرى التـي نمـر بها في حـاجـة إلى روح الإسلام وفكره الإنساني وتقـاليده وأساليبه في التقريـب وقدرته على التنسيـق. وأن يزداد علماً بثقافته وعلومه وأن ينفض عنها الغبار ويقدمها للشباب المسلم ويشـرحها ويقارنها بحيث تلائم حاجـات المجتمع في تطوره وأن يراجع الماضي بطريقـة واعية لتصحيح خط السير قبـل النظـر في أي تطـويـر مستقبلي، والمشاركة في التقدم العلمي العالمي من ناحية والـرقي بمجتمعنا من ناحية أخرى.

وعلى المثقف المسلم أن يحترم الـرأي الآخر حتـى ولو كـان مصـدره متـواضعـاً وقبـول التنافـس مع رفـض الاستبداد وأن يفحـص الآراء الأخرى ولا يسلـم بكل مـا يقرؤه أو مـا يدور على ألسنـة العامـة أو ما تخطـه أقلام صغار الكتـاب من أقوال وعادات وتقـاليد لا تستنـد على أسـاس علمـي متين. وأن يـزود نفسـه بـالاطـلاع على عدد كـاف مـن الكتـب والمؤلفات والآراء المتنوعة في الموضوع الواحد حتى يكـون موضوعيـاً في حواره ومنـاقشته ومقنعاً بما يعرض أو يطرح من قضايا.

● الثقـافـة الإسـلاميـة هـدفهـا خلـق وعـي إسـلامـي عـام بيـن المسـلمين

بما وصـل إليـه العلم الحديـث، ويجب بـذل جهـد خاص ودؤوب لجعـل اللغـة العربيـة اللغة الثـانية في جميع بـلاد المسلمين التي لا تتكلـم العـربية.. كما تجب إعـادة النظـر في منهـج التربيـة الـدينيـة في مـدارس الـدول الإسلاميـة وجعلها أرحب أفقـاً وأيسر تناولاً وأكثر اتصالاً بشؤون الدنيا.

وعلى المثقف المسلم أن يوسـع آفاق المعرفة

○ وماذا أيضـاً غير مسـؤوليـة المثقـف المسلم كفرد؟.

– لابد من تـواصل ثقافي عربي.. تـواصل ثقـافي إسـلامـي.. هذا التـواصـل لـه أهميـة خـاصـة، فكما أن وحـدة الثقـافـة مسـألـة أساسيـة في حياة أية أمـة من الأمم فتـوحيد الثقافة بين الشعوب العربية هو الذي يؤدي

.. وهذه مسؤوليات المثقف المسلم

إلى ارتباطها بأوثق الروابط وذلك بتوحيد الأساس الذي تقوم عليه والغرض الذي تتجه إليه على أن يكون هذا الغرض والأساس مما يساير حياة العالم الثقافية بصورة عامة.

○ ما المقصود بتوحيد الثقافة بين الشعوب العربية؟.

– أقصد من توحيد الثقافة العربية أن تستمد هذه الشعوب وحي ثقافتها في الأدب والفن وفي غيرهما من مظاهر الحياة المعنوية من ماضيها وأن يكون لثقافتها طابع خاص يميزها عن غيرها، وبين هذه البلاد العربية من التراث المشترك مايكفل هذا التوحيد والتواصل في الأساس والغرض إلى أبعد مدى وستكون النتيجة هي وحدة الثقافة بين هذه الشعوب التي أصبحت في مسيس الحاجة إلى مثل هذا التوحد والتواصل.

أزمة

تأليف: د. عبد الحميد أبو سليمان

عرض: محمد عبد الشافي القوصي

«أزمة العقل المسلم» موضوع هذا الكتاب القيّم لمؤلفه المفكر الإسلامي الدكتور عبد الحميد أحمد أبو سليمان - مدير الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ورئيس مجلس أمناء المعهد العالمي للفكر الإسلامي... وهو أول رئيس للمعهد العالمي للفكر الإسلامي، والرئيس السابق لجمعية علماء الاجتماعيات المسلمين بالولايات المتحدة وكندا.. وله عدد من الكتب والأبحاث العلمية التي تهتم بالجوانب الإبداعية الإصلاحية الإسلامية للأمة..

وهذا الكتاب يعتبر من أهم ما أنتج العقل المسلم المعاصر خلال السنوات الأخيرة في قضية الأزمة الفكرية للأمة، وإعادة تشكيل العقل المسلم من منظور إسلامي.

فالكتاب يتناول قضية العقل المسلم وما أصابه من عناء، وما لحق بأسلوب أدائه وبمنهجيته من داء، ويعتبر ذلك سبباً أساسياً لانحسار الدور الحضاري للأمة

العقل المسلم

وانهيار بنائها وتدهور مؤسساتها، وهو بهذا يفتح باباً جديداً للحوار بين قادة الفكر والرأي المسلمين في كيفية الخروج من دوّامة الحلول التقليدية أو التغريبية المكررة على مدى القرون المتأخرة من تاريخ المسلمين.

منهج الكتاب

ومنهج الكتاب يقوم على البحث والنظر الشمولي المنضبط، فهو ينظر إلى الأمة الإسلامية منذ وجودها ويتأمل تاريخها باعتبارها وحدة عضوية ذات تأثير حيوي متبادل بين أجزائها وأجيالها، ويتتبع في مسارب الزمان والمكان ظواهر القوة والضعف وأسبابها مفرقاً بين الأسباب والظواهر والمضاعفات وما قد يطرأ بينها من تفاعل قد يحول المضاعفات إلى أسباب متنامية لأمراض أعمق وأشمل.

والكتاب مهم للنتائج الواضحة التي توصل إليها، فالعقل المسلم ليس له من شفاء إلا من خلال جوهره وهو «الإسلامية الشاملة»: «إسلامية المنهج»، «إسلامية المعرفة» والتي تنبع من إسلامية الغايات والمقاصد وتؤدي إلى إسلامية السلوك والتربية وإسلامية الأنظمة..

و«الإسلامية المطلوبة» هي «إسلامية معاصرة» أي فكر ونظر وعمل يقوم على أساس منظور الإسلام ومصادره من الوحي والعقل والكون، ويتعامل مع الواقع المعاصر والتحديات المعاصرة ويخرج عن الحلقات المفرغة من التقليد التاريخي أو التقليد الدخيل الأجنبي اللذين نبّه الكاتب إلى تكرر تجاربهما في تاريخ الأمة وما انتهت إليه من الفشل الذريع.

الهويّة الإسلامية

والكتاب مهم للقارىء المسلم لأن غايته أن يسترد الفرد المسلم هويته ومقدرته على التفكير المبدع، وأن تستعيد الأمة طاقتها ودورها الرائد، وأن تتمكن من إعادتها بناء نهجها العلمي التربوي وأنظمتها الاجتماعية وأن تصحح مسار الحضارة الإنسانية المعاصرة في نفسها وفي العالم من حولها وأن تضع حداً لما تتخبط فيه أمم العالم اليوم من أوهام ومخاطر تهدد الوجود الإنساني والحضارة والعمران بالفناء والدمار.

الأصالة الإسلامية المعاصرة هي الحل

ويؤكد «المؤلف» أن العالم الإسلامي لايزال عبر هذه القرون - مع تجربة التقليد الأجنبي الدخيل - مريضاً ممزقاً متدهوراً في صورته العامة، ولا تزال الهوّة الحضارية بينه وبين بلاد العالم المتقدمة تزداد عُمقاً واتساعاً لغير مصلحته!!.

وسر فشل منطلق التقليد الأجنبي الدخيل ليس أمراً يصعب فهمه أو تبيّن أسبابه الموضوعية لمن أراد الفهم والإدراك...

■ الفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية وآثاره السلبية

فلكل أمة تكوينها في قيمها وعقائدها ومفاهيمها ولها دوافعها ونفسيتها وتاريخها.. فإذا لم يتم التعامل معها بفهم تلك الجوانب ومن خلال تلك المكونات والدوافع فإن من الصعب تحريكها أو تحريك مكامن القوة والكفاح والبناء فيها..

ويرى «المؤلف» أن المطلوب منا هو فهم البعد الفكري والثقافي في الحلول الأجنبية المستوردة حتى لا يضيع منا مزيد من الوقت في التقليد والتبعية والمحاكاة، لكيلا نجلب مزيداً من المعاناة والألم والحسرات لأنفسنا ولأمتنا.

المحاولات الفاشلة

ويرى «المؤلف» أنه ليس من الإنصاف ولا من العدل بحق أمتنا استمرار قياداتنا الفكرية والسياسية القومية والماركسية العلمانية المستغربة باتجاه الطريق المسدود والحلقات المفرغة بعد مئات السنين التي ضاعت في المحاولات الفاشلة!.

لابد للأمة في مفكريها وقيادتها الاجتماعية أن تبحث عن قسمات الحل الأصيل البديل وملامحه من غاياتها ومصادرها وبمقاييسها الصحيحة وأن تسعى إلى استنباتها في حنايا فكر أبناء الأمة وممارساتهم ومؤسساتهم.

الإصلاح والتمكن والريادة

إن الأصالة الإسلامية المعاصرة في نهاية المطاف سوف تؤدي إلى إعادة ترتيب الأولويات وإعادة صياغة المنهج والفكر بحيث تتوفر وسائل التربية الإسلامية السليمة ويُعاد بناء المؤسسات والأنظمة والإجراءات السياسية والاجتماعية بما يحقق التكامل والتسلسل الصحيح في حركة المجتمع نحو إعادة البناء على أساس قيم الإسلام ومقاصده السامية.

إن منطلق الأصالة المعاصرة يضم إلى دفتيه أمرين لابد من جمعهما إذا شئنا الإصلاح والتمكن والريادة الإنسانية الحضارية، فعلى ذلك دلّت دروس التاريخ في كل دفع وتغيير حضاري على مدى القرون والأجيال.

الفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية

ويقول «المؤلف» إنه عندما أنهكت الثورات والحروب الأهلية الطاحنة لأكثر من قرن من الزمان أصحاب الفكر والالتزام الإسلامي الذين فشلوا في استقطاب جماهير الأمة التي سيطرت على عقليتها وتربيتها عقلية ومفاهيم القبلية والشعوبية والطائفية، اضطرت صفوفهم إلى التراجع والانطواء بعيداً عن القيادة السياسية والتخلي عن أسلوب المواجهة والقتال، وأخذت القيادة السياسية الجديدة في محاصرتهم ومحاولات إخضاعهم لمآربها وتضييق الخناق على معاقل الصلابة في مقاومتهم حتى كان نصيب كبار العلماء وعلى رأسهم الأئمة الأربعة الإيذاء والنكال، ليموت الإمام أبو حنيفة في السجن! دون أن يقبل تولّي القضاء لسلطة سياسية غير ملتزمة، وليُضرب الإمام مالك حتى تُشل يده لما جهر به من فتوى بطلان طلاق المكره وما كان

لهذه الفتوى من دلالة سياسية سلبية على خلخلة قبضة السلطة السياسية القائمة، كما نال الإمام أحمد الكثير من العذاب والأذى لمعارضته مخططات السلطة السياسية، وكان نصيب الإمام الشافعي الهرب من حاضرة السلطان في بغداد بعد أن سيق إليها مكبلاً من اليمن لخوف السلطة من فكره ونشاطاته السياسية حتى لجأ إلى مصر طلباً للسلامة والنجاة!!.

التحدي الحضاري الغربي

لقد مثل هذا الفصام بين القيادة الفكرية والقيادة السياسية التربة الخصبة لأمراض الأمة اللاحقة والتي جعلتها اليوم تقف فكرياً ومادياً فاترة الأنفاس عاجزة ومهدّدة في صميم وجودها وكيانها أمام التحدي الحضاري الغربي المعاصر!!.

فقد أدى هذا الفصام النكد أولاً إلى عزل القيادة الفكرية عن المسؤولية الاجتماعية والممارسة العملية!.

وقد أدّى هذا الفصام النكد ثانياً إلى جهل القيادة السياسية وحرمانها من وجود قاعدة فكرية تخدمها وتواكب معها المتغيرات وتمدّها بالفكر والسياسات والبدائل!.

تراثنا: ثروة الأمس وزاد المسير وعبرة المستقبل

إن من الواجب أن نفخر بما حقّق فكر الإسلام للأمة والإنسانية على تفاوت في المجالات رغم كل العقبات، إن كل ما تحقّق في تاريخنا وكياننا لا يمكن فهمه ولا تفسيره إلا بعطاء الإسلام ومنهجه في الفكر والإعمار والإصلاح.. إن علينا أن ندرك أن ما انتهينا إليه هو مسيرة أمم وشعوب وعصور

> على علماء النفس والاجتماع المسلمين النهوض بأساليب الدعوة

وأحقاب حققت آفاقاً من العطاء هو قاعدة كل قدرة وعطاء بلغتها حضارة الإنسان اليوم... فإذا تضافرت آفات وجاهليات تلك العصور والأحقاب في إيقاف المسيرة وحجب العطاء، فإن الجهد المطلوب هو بلوغ رؤية شمولية صافية محدّدة ندرك بها الدروس والعبر حتى يعود نور الإسلام وتصحو الأمة وتواصل مسيرتها وتزهر براعمها ويكتمل عطاؤها وبرّها للإنسان في دين وهداية، وعلم وفلاح، وحضارة خير، وأمن وسلام بإذن الله تعالى.

الإسلامية وعلم التربية

ويتحدث «المؤلف» عن المنهجية الإسلامية في مقدمات العلوم الاجتماعية من المنظور الإسلامي في مجالات المعرفة وكلياتها فيقول: وفي صحوة الفشل الذريع على جهود التغريب والتحديث من منظور غير إسلامي، وما أحدثه ذلك من رد فعل إسلامي في كيان الأمة اتجهت أنظار ا لمسلمين إلى مفهوم الأصالة والتزام الإسلام في حياة الأمة ونظامها الاجتماعي طلباً للخلاص وتمكناً من القوة والقدرة، وكان من أهم مظاهر هذا التوجه،

العمل على إسلامية بعض العلوم الاجتماعية التطبيقية الهامة كالاقتصاد والإعلام، وإنشاء الأقسام ومراكز البحث العلمي لخدمة ذلك الغرض.

ولذلك يجب أن يحظى مجال التربية والدراسات التربوية ومجال التنظيم السياسي باهتمام جهود العاملين المسلمين، وهذا الاهتمام يمكن أن يتمثل في إقامة المؤتمرات والندوات العلمية والبرامج ومراكز الدراسات والأقسام العلمية للبحث والدراسة المتخصصة.

ومن المهم في مقدمات علم التربية الإسلامية أن يدرس الباحثون منهج الرسول (ﷺ)، لا في كليات أقواله وتوجيهاته لأمته فحسب، بل وبفهم صحيح لكل قول من أقواله (ﷺ)، بل على الباحثين أن يدرسوا منهجه العلمي (ﷺ) الذي مارسه في تصرفاته مع الصغار من أبنائه وأبناء المسلمين وما أُثر عنه (ﷺ) من اتباع أسلوب الحب والرحمة والصبر والأناة في تربيتهم والتعامل معهم، بل إنه نهى في كل الأحوال عن ضرب الصغار لما في ذلك من أثر على التكوين النفسي والطاقة النفسية.

إن على علماء التربية المسلمين فهم مهمتهم فهماً جيداً والعمل على بناء نظرية علمية إسلامية للتربية واضحة المعالم والأهداف والأساليب... وعلى علماء النفس والاجتماع الإسلامي تكثيف جهودهم لإفادة المربي المسلم بهذه الجهود حتى تأتي جهوده على الوعي الكامل بطبيعة فطرة النفس الإنسانية ومراحل نموها وكيفية تربيتها و التعامل معها.

الإسلامية وعلم السياسة

ويؤكد «المؤلف» على أن علم السياسة يدور حول الظاهرة السياسية وأولويات الأمة ومؤسساتها العامة والأساليب التي يتم بها اختيار القيادات السياسية وبلورة البرامج والقناعات السياسية العامة الجامعة للأمة، وإرساء أنظمتها وقوانينها وتشريعاتها وإدارة أجهزتها وتوجيه طاقاتها وإمكاناتها.

شروط تحقق معنى الأمة الإسلامية

ويرى – المؤلف – أن تحقيق معنى الأمة وبناء كيانها لا يتم إلا بعد أن تتمكن الأمة من بناء المؤسسات السياسية التي تلائم واقعها وقيمها وأن يمكّن أبناؤها من المساهمة في بنائها وممارسة الأعمال والأدوار المطلوبة لتحقيق غاياتها.

ويقول: إن المؤسسات والقيادات السياسية الإيجابية القادرة الرشيدة المستقرة، هي تلك التي تمثل فكر أمة لها تصوّر إيجابي، وغايات ومقاصد كبرى موحدة، ونوع من البناء النفسي الذي يمكّن للمعاني الإيجابية وللإبداع الريادي الحضاري، ويقيم الحياة العامة على العضوية الاجتماعية الكريمة لكل أبناء الأمة

في إطار الحدود العريضة الإيجابية للحريات والحقوق الإنسانية.

ويستطرد المؤلف قائلاً: إن فهم معنى الحياة السياسية وأساليبها الصحيحة، وفهم معنى التربية والتنشئة النفسية والفكرية والعقيدة وأساليبها الصحيحة، هما المفتاحان الأساسيان لاسترداد عافية الأمة، واسترداد هويتها وقدرتها وتفجير طاقتها الحضارية البناءة.

إن الفكر الإسلامي الذي تفتّحت وبدت إرهاصاته في رجال عظام كالإمام الماوردي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والفيلسوف المفكر الفارابي، والسياسي الفيلسوف ابن خلدون، يجب أن ينبعث ويتطوّر ويستكمل أبعاده العلمية ودراساته المنهجية، لتوفير الوسائل التي تمكن الأمة من القيام بدورها الحضاري.

الإسلامية والعلوم التقنية

ويشير «المؤلف» إلى أن الإسلامية تعني في الجوهر سلامة التوجه وسلامة الغاية وسلامة الفلسفة التي تتوخّاها أبحاث تلك العلوم واهتماماتها وتطبيقاتها وإبداعاتها فيصبح العلم الإسلامي علماً إصلاحياً إعمارياً توحيدياً أخلاقياً راشداً.

إن إسلامية العلوم الفيزيائية والتقنية هي قضية فلسفة العلم وعلاقته بالحياة والمجتمع، وانطلاق الإنسان الإصلاحي للحياة والوجود، من منظور إيماني توحيدي أخلاقي شمولي يصلح ما أفسده العمى الروحي، والانبهار المادي، والقصور المنهجي، الذي تعاني منه الحضارات المادية على مختلف صورها في الشرق والغرب.

الإسلام والمستقبل

ويؤكد «المؤلف» على أن الاصلاح الإسلامي هو خدمة للأمة وللإنسانية على حد سواء، ولذلك يجب أن توجه جهود العاملين والقياديين الإسلاميين إلى العمل على نهضة الأمة.

وإن على مفكري الأمة وقياداتها أن يوضحوا لجمهور المربين من رجالها، معنى البناء النفسي، وأهميته، ودوره في كيان الأمة والعناصر المطلوبة لتكوينه.

وعلى مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها النظر في أصول الفكر الإسلامي ومنهجيته، وتجلية قضاياها لكي تعطي رؤية وفكراً وعلوماً إسلامية، ليست فقط في مجالات الوحي والنصوص واللغة، ولكن أيضاً في مجالات الحياة والاجتماع الإنساني كافة.

وعلى مفكري الأمة الإسلامية، مسئولية تقديم الرؤية الحضارية المعاصره، وإصلاح منهجية الفكر الإسلامي، وتحقيق الأصالة الشمولية العلمية في هذا الفكر، وتقديم التصورات والبدائل الإسلامية في مجال التنظيم الاجتماعي والتربية الاجتماعية، حيث تحصل الأمة على دليل للعمل والبناء.

ويطالب المفكر الإسلامي د. عبد الحميد أبو سليمان مفكري الأمة وعلمائها ومثقفيها، أن يركزوا عزمهم وأنظارهم أولاً على إصلاح الفكر، وتجلية الرؤية، أمام أبناء الأمة ورجالاتها وقادتها، وعند ذلك بإذن الله سوف تتولى صفوف الأمة وجموعها في لمح خاطف، وطاقة هادرة، نشر الشراع، ورفع البناء، والانطلاق نحو آفاق التقدم والارتقاء.

المحبة عند علماء التصوف

للشيخ الدكتور
سبع متولي أحمد أيوب

أمام ظاهرة المحبة وقف كثير من المفكرين وتحدثوا عنها، مما يدل على رفعة شأن تلك الظاهرة الانسانية وعن مدى تأثيرها في القلوب جعلتهم يقولون ان الحب هو مبدأ الوجود وسر الحياة ولولاه ما وجد شيء ولا عرف الإنسان شيئاً من أسرار هذا العالم، فما تعريف تلك المحبة؟.

قال صاحب القاموس المحيط: (الحُب) الوداد كالحباب، والمحبة والحباب بالضم أحبه وهو محبوب على غير قياس.

وفي لسان العرب: أحب الزرع واللب، إذا دخل فيه الأكل وينشأ فيه الحب واللب والحبة السوداء والحبة الخضراء والحبة من الشيء: القطعة منه ويقال للبرد: حب الغمام وفي صفته (ﷺ): ويفتر عن مثل حب الغمام يعني البرد، شبه به ثغرة في بياضه وصفائه وبرده.

ونستخلص من تعريفات اللغويين السابقة: أنهم يطلقون اسم الحُب مأخوذاً من الحُب وهي الجرة المملوءة بالماء لأنها إذا امتلأت بالماء لا تتسع لأن يحمل فيها شيء آخر وكذلك القلب إذا امتلأ بالمحبة لم يسع فيه غير محبوبة وتارة يأخذون المحبة من قولهم: أحب البعير، إذا برك لمرض أصابه، فلا يستطيع النهوض وكذلك قلب المحب إذا هام بصاحبه، وتعلق به لزم ذكره، ولم يستطع أن يتخلص من حبه، ومرة يسمونه باسم محله وهو حبة القلب، إذ هو المكان الذي ينشأ فيه الحب وهو سويداء القلب.

ويقال: «إن المحبة بالمعنى اللغوي مأخوذة من (الحبة) بكسر الحاء – وهي بذور تقع على الأرض في الصحراء تختفي في التراب وتسقط عليها الأمطار وتسطع عليها الشمس، ويمر عليها البرد والحر ولا تتغير تلك البذور بتغير الأزمنة وعندما يحين وقتها تنمو وتزدهر وتثمر.

هكذا الحب حين يسكن في قلب فإنه لا يتغير بالحضور والغيبة والبلاء والمحنة والراحة واللذة والفراق والوصال ويقال أيضاً إن (الحب) هو تلك الخشبات الأربع التي توضع عليها جرة الماء فيسمون الحب

حباً بهذا المعنى لأن الحب يتحمل عز الحبيب وذله وتعبه وراحته وبلاءه ولا يقل عليه وذلك لأن عمله يكون كعمل تلك الخشبات ويكون تركيبه وحلقته لتحمل مشقة الحبيب ومرة يسمونه بصفاء المودة وأخذ من حبب الأسنان وهو صفاؤها وكذلك صفاء القلب ونقاؤه.

وقيل: من الحب بكسر الحاء وهو القرطة سمي به لملازمة القرط للأذن فلا يزال سمعه مغموراً بمناجاته وما يرد عليه من أسرار أحاديثه في سره هذا عند اللغويين.

حقيقة المحبة

أما حقيقة المحبة عند علماء التصوف، فإن القشيري يقول: ولا تحد المحبة بحد ولا توصف، بأوضح، ولا أقرب إلى أنفسهم من المحبة.

ويقول الفيروز ابادي: ولا تحد المحبة بحد أوضح منها والحدود لا تزيدها إلا خفاء فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

ولكن القشيري بعد قوله السابق، حاول أن يستشف لها تعريفاً من اللغة فذكر وقيل: الحباب: ما يعلو الماء عند المطر الشديد، فعلى هذا (المحبة) غليان القلب وثورانه عند العطش والاهتياج إلى لقاء المحبوب.

ثم راح يذكر أقوال المشايخ في المحبة ونحن نورد بعض التعريفات التي ذكرها المشايخ حيث قال بعضهم:

١) المحبة: الميل الدائم بالقلب الهائم: فيميل قلب العبد إلى الله تعالى ويتعلق به ويؤثر ما لله ويشغف به عن سواه ولا يجد في ذلك مشقة ولا كلفة.

٢) وقال: إيثار المحبوب: على جميع المصحوب.

أي تفضيل الله ومحبته والاستغراق في ذلك وترك جميع الحظوظ ولذائذ النفس فادل علامات المحبة الإيثار للمحبوب على ذخائر القلوب ولذلك قال تعالى في وصفه المحبين ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ثم قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ - «الحشر».

٣) وقيل: موافقة الحبيب في المشهد والمغيب: أي يُصْبح موافقاً لأوامر الله ويسير معها حيث تكون يأتمر بأمره وينتهي بنهيه يجود بنفسه وماله في سبيله ويقطع وقته استغراقاً في عبادته ابتغاء مرضاته ويرضى بحلوه ومره.

الموافقة: معناها: الطاعة له فيما أمر والانتهاء عما زجر والرضا بما حكم وقدر.

فعلامة المحب: موافقة المحبوب والتجاري مع طرقاته في كل الأمور والتقرب إليه بكل حيلة والهرب من كل ما لا يعينه على مذهبه.

٤) وقيل: محو المحب بصفاته وإثبات المحبوب بذاته، وهنا تخلية وتحلية كما يقولون: تخلية عن صفات الرذائل كالكبر والغل والحقد والحسد والنفاق والبخل والشح أما التحلي فواجب على المحب أن يتصف بالصفات الإلهية، فالله عز وجل يتصف بالرحمة والكرم والجود وأنه لطيف وحليم إلى آخر صفاته المقدسة فالمحب يجب عليه أن يكون رحيماً وكريماً وجواداً جباراً على أعداء الله تعالى قوياً في إيمانه وفي عبادته خاضعاً لعظمة الله وسلطانه وكأن المحبة في هذا التعريف دعوة إلى الأخلاق الحميدة.

٥) وقال أبو يزيد البسطامي: المحبة -

المحبة هي إيثار المحبوب على جميع المصحوب

استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك.

معناه: شعور المحب بأنه ومهما أعطى وأنفق فلن يوفي المحبوب حقه ولذلك فنحن نجد المحب يبذل آخر ما عنده وهي روحه يبذلها رخيصة في سبيل الله تعالى ابتغاء مرضاته وهو يشعر بالتواضع.

٦) وسئل الجنيد عن المحبة: فقال: دخول صفات المحبوب على البدل من حيث صفات المحب وهذا قريب من التعريف الرابع.

٧) وقال الشبلي: سميت المحبة محبة لأنها تمحو من القلب ما سوى المحبوب أي استغراق القلب في محبة الله عز وجل بحيث لا يشعر ولا يدري ولا يحس شيئاً في كيانه إلا محبة الله عز وجل وهي تجرد القلب من كل شيء ولا يبقى فيه إلا محبة الله.

٨) والحارث المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكليتك ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك ثم موافقتك له سراً وجهراً ثم علمك بتقصيرك في حبه، هذا يتفق مع التعريف الأول ميل القلب ومع التعريف الثاني إيثار المحبوب والتعريف الثالث موافقة الحبيب.

٩) وقال أبو يعقوب السوسي: لا تصح المحبة إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب.

وهذا استغراق في الله وفناء فيه عز وجل والمحب لا يدري شيئاً ولا يرى إلا المحبوب ويشترط لصحة المحبة فناء العلم بأنه يحب: ومعناه الاستغراق بالكلية في الله عز وجل فلا شعور ولا إحساس ولا وعي بشيء سوى الله عز وجل.

١٠) وقال أبو بكر الكتاني: جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً فقالوا له هات ما عندك يا عراقي فأطرق رأسه ودمعت عيناه ثم قال: عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقوقه ناظر إليه بقلبه أحرق قلبه أنوار هويته وصفا شربه من كأس وده وانكشف له الجبار من أستار غيبه فإن تكلم فبالله وإن نطق فعن الله وإن تحرك فبأمر الله وإن سكت فمع الله فهو بالله ولله ومع الله فبكى الشيوخ وقالوا: ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين هذا هو السهل الممتنع وهو جامع لكل صفات الحب وما ينبغي أن يكون عليه المحب فالمحب لله قد جعل ذكر الله تعالى بقلبه ولسانه فرضاً على نفسه فهو يتفرغ من الغفلة ويستغفر منها وكذلك جوارحه إنما هي وقف لخدمة من أحبه.

فهو: غير ساه ولا لاه وإنما همه: أن يرضي من أحبه فهو يبذل المجهود في موافقته في أداء فرائضه واجتناب نواهيه فهو متزين له بكل طاقته حذرا من أن يأتي عليه أمر يسقطه من عين من أحبه.

ونحن نختار ونرجح التعريف الثاني: القائل: إيثار المحبوب على جميع المصحوب لأن الإيثار تضحية ولا يوجد أكبر من خروج المحب عن جميع حظوظ نفسه وهواه والتشبث بهوى الله عز وجل وقد وصف الله

المحبين بالإيثار فقال تعالى: ﴿يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم﴾.

ولو كان هناك وصف أفضل من الإيثار، لوصفهم به عز وجل.

محبة الله للعبد

ولكن ما معنى محبة الله تعالى للعبد ومحبة العبد لله عز وجل؟. يقول الهويجري: اعلم أن محبة الحق تعالى للعبد هي إرادة الخير له ورحمته به، والمحبة اسم من أسماء الإرادة مثل الرضا والسخط والرأفة وما شابه ذلك وكل هذه الأسماء لا تليق إلا لإرادة الحق تعالى وهذه الإرادة صفة قديمة له يريد بها أفعاله ففي حكم المبالغة و إظهار الفعل بعض هذه الصفات أخص من بعض.

وفي الجملة فإن محبة الله للعبد هي انه ينعم عليه كثيراً ويثيبه في الدنيا والآخرة ويؤمنه من محل العقوبة ويعصمه من المعصية ويكرمه بالأحوال الرفيعة والمقامات السنية ويقطع سره عن الالتفات إلى الغير ويوصل إليه العناية الأزلية حتى يتجرد من الكل ويتفرد لطلب رضائه وحين يخص الحق تعالى العبد بهذه المعاني فإنهم يسمونه تخصيص إرادة الحياة.

أما محبة العبد لله فهي صفة تظهر في قلب المؤمن المطيع بمعنى التعظيم والإكبار ليطلب رضاء المحبوب ويصير قلقا في الرغبة في قربه ولا سكن إلى أحد دونه ويعتاد ذكره ويتبرأ مما سوى ذكره وتحرم عليه السكينة وينظر من السكون وينقطع من جميع الموبقات والمستأنسات ويعرض عن الأهواء ويقبل على سلطان المحبة ويطيع حكمه، ويعرف الحق تعالى، ويتقدس بنعوت الكمال.

مراتب المحبة

والمحبة على ثلاث مراتب

المرتبة الأولى:

وهي تنشأ من ذكر النعيم والإحساس بفضل المنعم وهذه على حد قول الرسول (ﷺ): «أحبوا الله لما يغذوكم به من النعم وأحبوني لحب الله».

ويقول صاحب اللمع: الحال الأول من المحبة محبة عامةو يتولد ذلك من إحسان الله تعالى إليهم وعطفه عليهم.

وقد روى عن النبي (ﷺ) أنه قال: «جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها الحديث.

ويجب ألا يتوقف المحب في سيره عند هذا الحد بل لابد أن يكون مبدأ للمراحل التالية للحب الإلـهي المتكامل لأنه – كما يقول أبو سعيد الخراز – لو كانت – أي المحبة – على قدر النعم لنقصت المحبة إذا نقصت النعم في وقت الشدائد ووقع الابتلاء لأن المحب لله تعالى يحب الله تعالى عند النعم وعند فقدها وعلى كل حال – حباً صحيحاً منعه أو أعطاه أو

محبة الله للعبد معناها إرادة الخير له ورحمته به

ابتـلاه أو عافـاه – فالمحبـة لازمة لقلبـه على حالة واحدة في العقد ثم هي إلى الزيادة أقرب.

أما المرتبة الثانية:

وهي مرتبـة الصادقين والمتحققين وتنشأ عندهم من نظر القلب إلى صفات الله عز وجل فحيثما لاحـت لهم أنـوار الجلال وسطـوة العظمـة ومدى إحـاطـة علـم الله عـز وجـل بالأشيـاء وشمول قدرتـه تولـدت في قلوبهم محبة الله تبارك وتعالى.

يقول صـاحب اللمع: الحالـة الثانيـة من المحبة وهي تتولد مـن نظر القلب إلى غناء الله جل جلاله وعظمته وعلمـه وقدرته وهو حب الصادقين والمحققين.

وشرطها التجوز عـن الحظوظ والحاجات وسـائر الصفـات ولا يبقـى في القلـب إلا المحبوب.

سئل إبـراهيم الخواص عن المحبـة فقال: محـو الارادات واحتراق جميع الصفات.

أما الحالة الثالثة من المحبة:

فهي محبـة الصديقين والعارفين تـولدت من نظرهـم ومعرفتهم بتقديـم حب الله تعالى بلا علـة فكذلـك أحبوه بـلا علة وصفـة هذه المحبة ما سئل ذو النون المصري فقيل لـه: ما المحبة الصافية التي لا كدرة فيها؟. قال: حب الله الصافي، الـذي لا كدرة فيه سقـوط المحبة عـن القلـب والجوارح حتـى لا تكـون فيهـا المحبة وتكـون الأشياء بالله ولله فذلـك المحب لله.

دعـــاء ..

اللهم إنى أسألك
الأمن يوم الوعيد
والجنة يوم الخلود
مـع المقـربيـن
الشهـود والركـع
السجـود الموفين
بالعهود إنك رحيم
ودود وإنك تفعل
ما تريد ..

وداع .. وشكر

بعد ٢٢ عاما متواصلة من العمـل الجاد المخلص لخدمة الدعوة الإسلامية، عن طريق الكلمة الصادقة على صفحات مجلة «منار الإسلام».

.. يغادرنا إلى القاهرة فضيلة الشيخ مـوسى صالح شرف، بعد انتهاء مهام عملـه الوظيفي في الوزارة . والـذي استمر طـوال هذه السنـوات الثريـة يعمل بصدق واخلاص في مجالات عديدة ولاسيما في مجال الصحـافة الإسلامية وفي مجلة «منـار الإسلام» بالـذات.. ولا نقول لـه وداعاً وإنما نرجـو أن يتواصل اللقاء معه على صفحات المجلة من القاهرة، كما نسأل الله تعالى أن يجزيه خيرا ويوفقه في حياته الجديدة بدولته الشقيقة مصر وله منا كل شكر وتقدير.

أدعية مأثورة

● ﴿رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ، إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً﴾ – الفرقان / ٦٥».

اللهم يا قاضي الأمور ويا شافي لصدور أسألك أن تجيرني من عذاب السعير ومن فتنة القبور ومن دعوة الثبور.

● رب أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر ومن فتنة لدنيا وعذاب القبر.

● اللهم إنا نستعينك ونستهديك ونستغفرك ونتوب ليك ونثني عليك الخير كله شكرك ولا نكفرك ونخلع ونترك ن يفجرك اللهم إياك نعبد ولك صلي ونسجد وإليك نسعى نرجو رحمتك ونخشى عذابك ن عذابك الجد بالكفار ملحق.

● اللهم إني أسألك إيماناً ائما وأسألك قلباً خاشعاً وأسألك علماً نافعا وأسألك يقيناً صادقا وأسألك ديناً قيما وأسألك لعافية من كل بلية وأسألك تمام لعافية وأسألك دوام العافية وأسألك الشكر على العافية وأسألك الغنى عن الناس.

● اللهم اغفر لي ذنوبي وأدخلني في حفظ عنايتك وعد لي بخير منك يا أرحم الراحمين.

● يا رب يا رزاق يا واهب الأرزاق بارك لي في مالي بارك لي في عيالي بارك لي في صحتي بارك لي في لقمتي في مشربي في مكسبي من الحلال الطيب يا رب كيف أنعي لرزقي هم وأنت ربي لم تنس فم يا رازق الدود في الحجر يا رازق الطير والبشر أسألك عفواً وعافية فتلك دنيا فانية غرورة ولاهية أخرجني منها يا إلهي لا علي ولا لي يا رب كن لي عليها واهدني واغفر ذنوبي وعافني وأصلح لي في ديني ومن عذابك نجني يوم القيامة وأعطني كتابي بيميني يا رب.

● اللهم إني أسألك من خير السُّوقِ وخير ما فيها وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم إني أعوذ بك أن أصيب فيها يميناً فاجرا أو صفقة خاسرة.

● ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير.

الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة.

قصة مثل:

أبصر من زرقاء اليمامة

□□ زرقاء بني نمير ، امرأة كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في اللبن ، وتنظر الراكب على مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها الجيوش إذا غزتهم ، فلا ياتيهم جيش إلّا وقد استعدوا له ، حتى احتال لها بعض من غزاهم ، فامر أصحابه فقطعوا شجراً وامسكوه امامهم بايديهم ، ونظرت الزرقاء ، فقالت : إني ارى الشجر قد اقبل إليكم ؛ قالوا لها : قد خَرِفْت ، ورقَّ عقلك ، وذهب بصرك ؛ فكذبوها ، وصبحتهم الخيل واغارت عليهم ، وقتلت الزرقاء . □□

معاذ بن جبل

أعلم الصحابة بالحلال والحرام

بقلم الأستاذ : عبد الرحيم علي النباهين

في تاريخنا الإسلامي الزاهر نماذج رائعة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين أدوا رسالتهم على أكمل وجه، فكانوا نماذج يقتدى بها في وقت تفتقد فيه القدوة الصالحة والكلمة الجريئة، والمجابهة الصريحة في سبيل إعلاء كلمة الله.

فعندما ننظر إلى الصحابي الجليل «معاذ ابن جبل» نجد أنه من ذلك الطراز الفريد الذي يجب أن نستلهم سيرته في حياتنا المعاصرة، فقد كان هذا الرجل عالما بارعا كما قال رسولنا الكريم ﷺ: «أعلم أمتي بالحلال والحرام معاذ بن جبل».

كان معاذ بن جبل رجلا طوالا أبيض، حسن الثغر، عظيم العينين، مجموع الحاجبين، جعدا قططا، كان عمره لما أسلم ثماني عشرة سنة، آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالله بن مسعود. شهد بدرا مع الرسول عليه الصلاة والسلام وهو ابن عشرين أو إحدى وعشرين سنة، وشهد أيضاً أحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ.

كان معاذ بن جبل من الذين جمعوا القرآن فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «خذو القرآن من أربعة: من إبن مسعود، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وسالم مولى أبي حذيفة.

وكان أيضاً رجلا من الأنصار، فكان يجلس بين السبعين الذين بايعوا الرسول بيعة العقبة الثانية، بلغ من الفقه والعلم المدى الذي جعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يقول: «لو استخلفت معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه، فسألني ربي: لماذا استخلفته؟ لقلت: سمعت نبيك يقول إن العلماء إذا حضروا ربهم عز وجل، كان معاذ بين أيديهم».

روي عن معاذ بن جبل أنه قال: لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن معلما قال لي بم تقضي إن عرض لك قضاء؟ قلت: أقضي بما في كتاب الله، قال فإن لم يكن في كتاب الله، قلت: أقضي بما قضى به رسول الله ﷺ، قال: فإن لم يكن فيما قضى به رسول الله، قلت أجتهد رأيي ولا آلو. قال معاذ فضرب الرسول عليه الصلاة

والسلام صدري وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يرضى رسول الله.

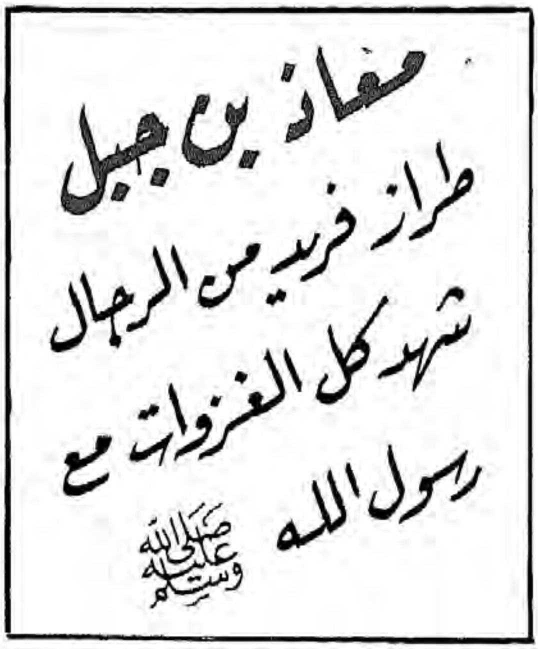
وقال معاذ بن جبل: «كان آخر ما أوصاني به رسول الله ﷺ حين وضعت رجلي في الغرز أن أحسن خلقك مع الناس».

وقد روى عن أبي إدريس الخولاني أنه قال: «دخلت مسجد دمشق، فإذا فتى براق الثنايا وإذا ناس معه إذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه، فسألت عنه فقالوا: هذا معاذ بن جبل. فلما كان من الغد هجّرت فوجدته قد سبقني بالتهجير فوجدته يصلي، قال: فانتظرته حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه وقلت له: والله إني لأحبك لله، فقال: الله؟ فقلت: الله، فقال: الله؟ فقلت: الله. قال فأخذ بحبوة ردائي فجذبني إليه وقال: أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: وجبت رحمتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتباذلين في والمتزاورين في.

قال رجل لمعاذ بن جبل علمني، قال وهل أنت مطيعي؟ قال: إني على طاعتك لحريص، قال: صم وأفطر، وصل ونم، واكتسب ولا تأثم، ولا تموتن إلا وأنت مسلم، وإياك ودعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب.

وقد روي أن معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه كان إذا تهجد من الليل قال: اللهم قد نامت العيون، وغارت النجوم، وأنت حي قيوم، اللهم طلبي للجنة بطيء، وهربي من النار ضعيف. اللهم اجعل لي عندك هدى ترده إلي يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد.

كان معاذ بن جبل يقول لابنه: يا بني إذا صليت صلاة، فصل صلاة مودع لا تظن أنك تعود إليها أبدا، واعلم يا بني أن المؤمن يموت بين حسنتين، حسنة قدمها وحسنة أخرها.



كان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يقول: ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا: يا أبا عبد الرحمن ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع، لأن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز: ﴿ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون﴾ (سورة العنكبوت: ٤٥).

وكان يقول أيضا: «لأن أذكر الله تعالى من بكرة حتى الليل أحب إلي من أن أحمل على جياد الخيل في سبيل الله من بكرة حتى الليل».

الصلوات الخمس

وروي عن أبي بحرية أنه قال: دخلت مسجد حمص فسمعت معاذ بن جبل يقول: من سره أن يأتي الله عز وجل آمنا فليأت هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن، فإنهن

من سنن الهدى، ومما سنه نبيكم ﷺ، ولا يقل إن لي مصلى في بيتي فأصلي فيه، فإنكم إن فعلتم ذلك تركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم ﷺ لضللتم.

قال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: أخذ الرسول ﷺ بيدي يوما ثم قال: «يا معاذ والله إني لأحبك» فقال معاذ بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا والله أحبك. فقال: «أوصيك يا معاذ لا تدعن في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك».

وروي عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه أنه قال: لما أراد النبي ﷺ أن يبعث معاذاً إلى اليمن، ركب معاذ رضي الله تعالى عنه ورسول الله ﷺ يمشي إلى جانبه يوصيه. فقال: «يا معاذ أوصيك وصية الأخ الشقيق، أوصيك بتقوى الله، وعيادة المريض، والإسراع في حوائج الأرامل والضعفاء، وجالس الفقراء والمساكين، وأنصف الناس من نفسك، وقل الحق ولا تأخذك في الله لومة لائم».

لقي الرسول ﷺ معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه ذات صباح فسأله: «كيف أصبحت يا معاذ»؟ قال أصبحت مؤمنا بالله تعالى. قال: «إن لكل قول مصداقا، ولكل حق حقيقة، فما مصداق ما تقول؟» قال: يا نبي الله ما أصبحت صباحا قط إلا وظننت أني لا أمسي، وما أمسيت مساء قط إلا وظننت أني لا أصبح ولا خطوت خطوة إلا وظننت أني لا أتبعها بأخرى، وكأني أنظر إلى كل أمة جاثية تدعى إلى كتابها معها نبيها وأوثانها التي كانت تعبد من دون الله، وكأني أنظر إلى عقوبة أهل النار، وثواب أهل الجنة. قال الرسول عليه الصلاة والسلام: «عرفت فالزم».

وكان معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه يرى العلم معرفة وعملا، فيقول: «تعلموا ما شئتم أن تتعلموا فلن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا».

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: «تعلموا العلم فإن تعلمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد وتعليمه لمن لا يتعلمه صدقة، وبذله لإهله قربة. لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس في الوحشة، والصاحب في الغربة، والمحدث في الخلوة، والدليل على السراء والضراء، والسلاح على الأعداء، والدين عند الأجلاء، يرفع الله تعالى به أقواما ويجعلهم في الخير قادة وأئمة، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهي إلى رأيهم، ترغب الملائكة في خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم. يستغفر لهم كل رطب ويابس حتى الحيتان في البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه، لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا في الدنيا والآخرة. التفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء.

أحذر هذه الثلاث

وقال معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه: ثلاث من فعلهن فقد تعرض للمقت، الضحك من غير عجب، والنوم من غير سهر، والأكل من غير جوع.

وقال أنس بن مالك: أتاني معاذ بن جبل من عند رسول الله ﷺ فقال: إن رسول الله ﷺ أخبره «أنه من شهد أنه لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة»، فذهبت إلى الرسول

عليه الصلاة والسلام فقلت يا رسول الله حدثني معاذ أنك قلت: «إنه من شهد أنه لا إله إلا الله مخلصا بها قلبه دخل الجنة» فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: صدق معاذ .. صدق معاذ .. صدق معاذ.

لن ينفعكم الله بالعلم حتى تعملوا

معاذ بن جبل

وروي أنه لما وقع الوجع عام عمواس قال أصحاب معاذ: هذا رجس قد وقع، فقال معاذ: أتجعلون رحمة رحم الله بها عباده كعذاب عذب الله به قوما سخط عليهم؟ إنما هي رحمة خصكم الله بها «اللهم أدخل على معاذ وأهل بيته من هذه الرحمة»، من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبل فتن ستكون، من قبل أن يكفر المرء بعد إسلامه، أو يقتل نفسا بغير حلها، أو يظاهر أهل البغي، أو يقول لا أدري على ما أنا إن مت أو عشت أعلى حق أو على باطل. وقد استجاب الله عز وجل لدعوة معاذ رضي الله تعالى عنه وأدخل على أهل بيته من تلك الرحمة فماتت له امرأتان، ثم مات ابنه عبد الرحمن، ثم أصيب معاذ بذلك الطاعون، فكان يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم أغمني غمك، فوعزتك إنك لتعلم أني أحبك، ثم يغشى عليه. فإذا أفاق قال مثل ذلك.

وفي تلك اللحظات قال «معاذ بن جبل» كلمات عظيمة عن مؤمن عظيم. فقد كان يقول مناجيا ربه الرحيم: «اللهم إني كنت أخافك، لكني اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا لجري الأنهار، ولا لغرس الأشجار. ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات، ونيل المزيد من العلم والإيمان والطاعة». وبسط يمينه كأنه يصافح الموت وراح في غيبوبته يقول: «مرحبا بالموت .. حبيب جاء على فاقة».

الهوامش:

١- أبو نعيم (أحمد بن عبدالله الأصبهاني): حلية الأولياء وصفات الأصفياء - مطبعة السعادة بمصر ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤ - المجلد الأول.

٢- ابن الأثير (عز الدين أبو الحسن علي بن محمد الجزري): أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق وتعليق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور - دار الشعب (د.ت) الجزء الخامس.

٣- ابن سعد، محمد بن منيع، الطبقات الكبرى، دار التحرير للطبع والنشر (د.ت)، الجزء الثالث.

٤- خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م الجزء الأول.

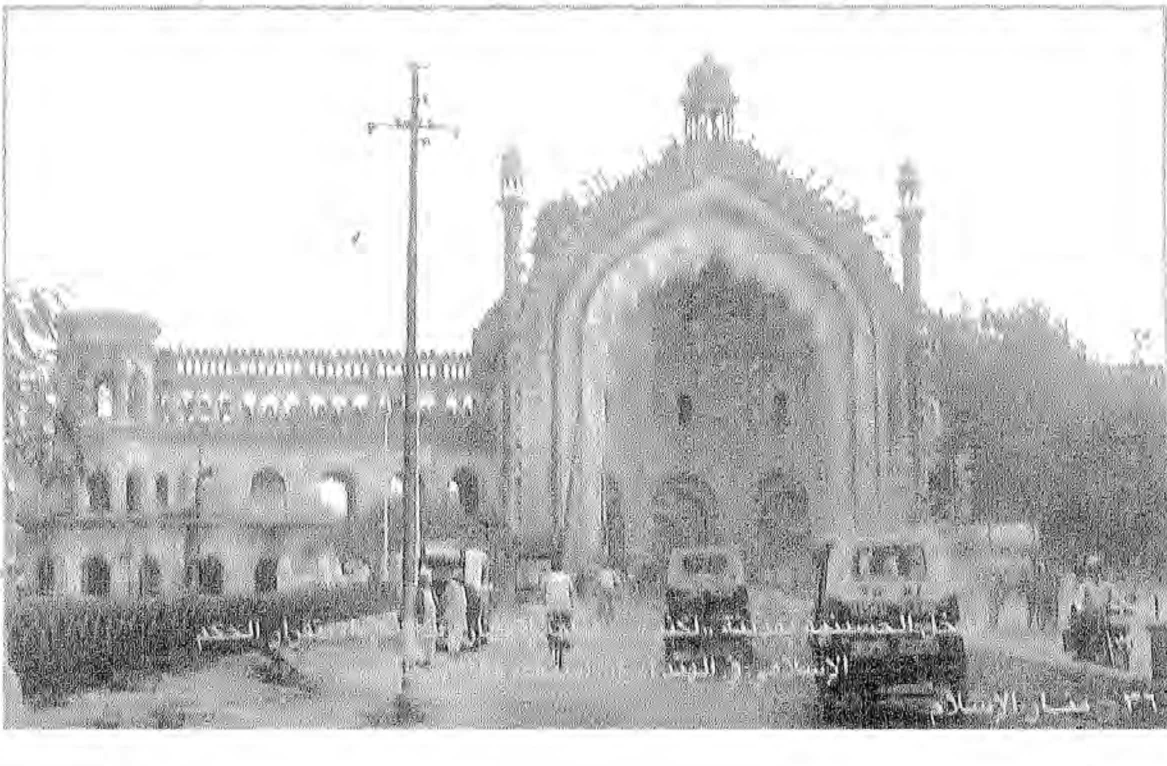
ماذا يقول التاريخ عن :

أثر الحضارة الإسلامية

بقلم: عبد الفتاح سعيد

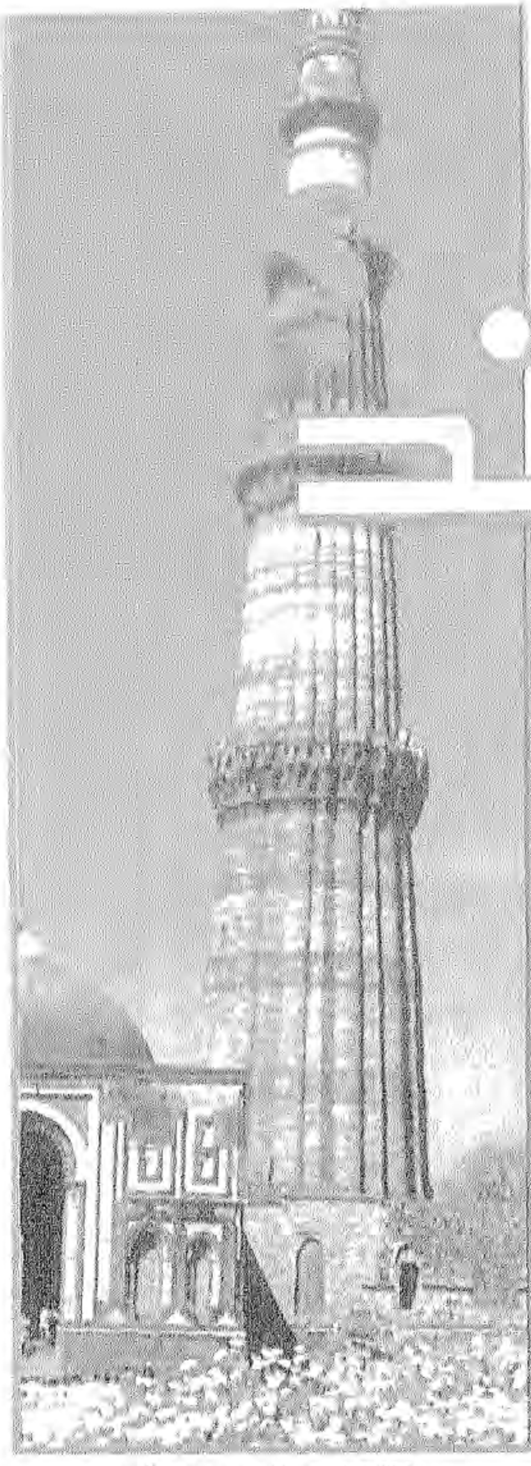
عزيزي القارىء، كما عودناك دائماً، نقدم لك في هذا العدد جولة من تلك الجولات الإستطلاعية الجامعة، التي نحلق خلالها معاً بين جالية من أكبر الجاليات الإسلامية التي تعيش في دولة غير إسلامية على مستوى عالمنا المعاصر.

وجولتنا هذه كانت في ثاني أكبر دول العالم، من حيث الكثافة البشرية، ومن أكثر دول العالم تعدداً وتبايناً في اللغات والأديان والمعتقدات، وهي لا تزال تضم بين أرجائها مجتمعات تمثل مختلف مراحل التخلف والتقدم في عالم البشر.. إنها جمهورية الهند، التي سبق أن قام فيها حكم إسلامي لأكثر من تسعة قرون، انتشلها من هاوية التخلف إلى حضارة الإسلام العملاقة إجتماعيا ومادياً وإصلاحياً، إلى أن زحفت إليها المطامع الاستعمارية إبان ضعف اعترى الحكم الإسلامي لشبه القارة الهندية، فكانت نهاية حكم المسلمين وبداية التآمر على ثروات الهند وشعبها ومستقبلها.



[illegible] الحكم [illegible] الإسلامي في الهند

على الهند



مئذنة قطب مينار. من أقدم آثار المعالم الإسلامية في مدينة دلهي

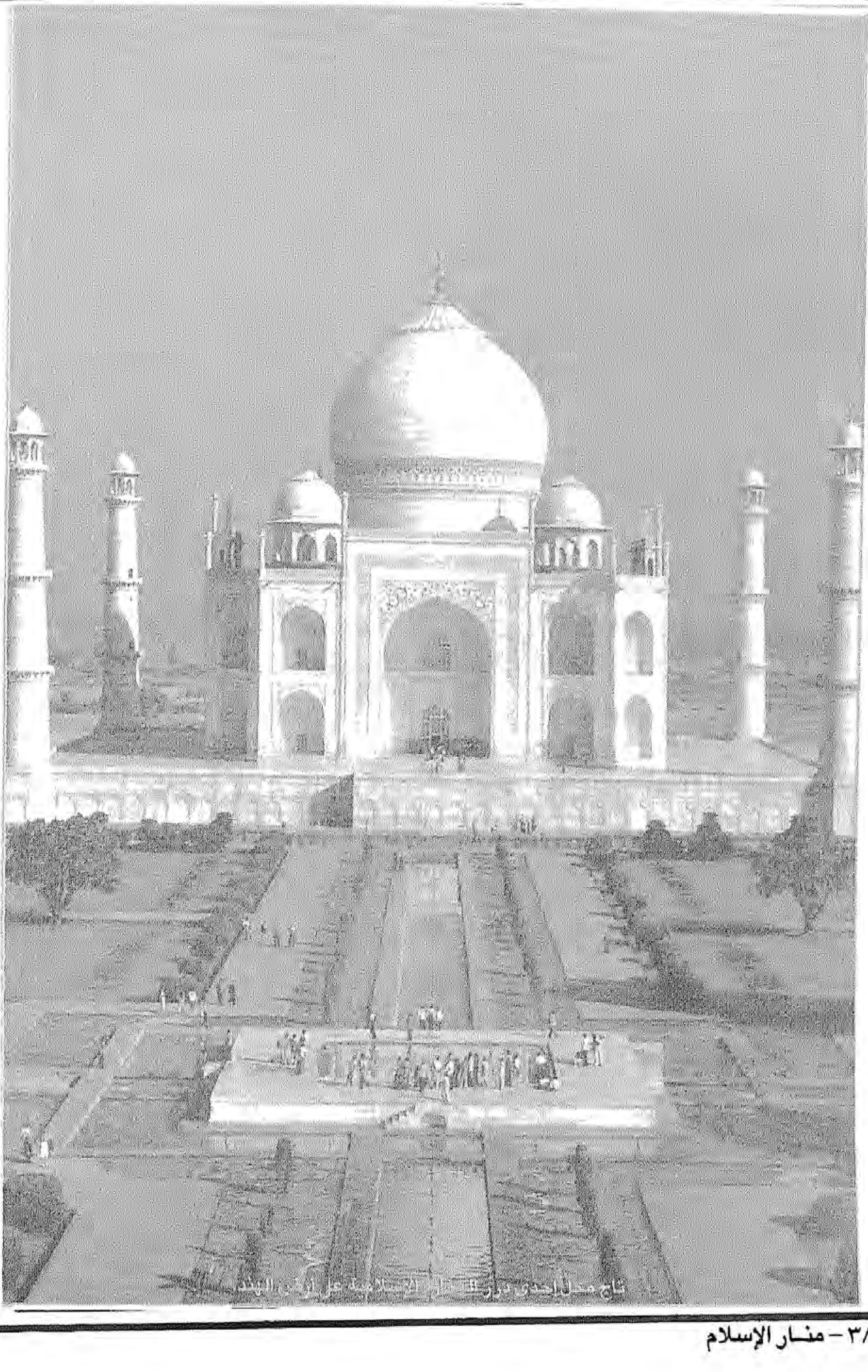
وقبل أن نصل إلى بداية جولتنا في تلك البلاد الشاسعة، نشير إلى بعض حقائق التاريخ الإسلامي للهند، ونلقي نظرة على بعض الأقوال التي كانت شوكة في حلوق أعداء الفكر الإسلامي من المتشددين والمتطرفين الذين لا يزالون يتربصون للقضاء على الإسلام والمسلمين في كل مكان.

ماذا قال نهرو عن الهند الإسلامية؟ المسلمون حرروا الهنود من العبودية والطبقية

كان جواهر لال نهرو، أول رئيس للوزراء في جمهورية الهند بعد استقلالها، رفيق درب لكبار المناضلين المسلمين الذين أشعلوا الثورة الوطنية ضد الاستعمار البريطاني في الهند، وخلال تقلده للسلطة لم يستطع أن ينكر فضل المسلمين على الهند، فكان من بين أقواله في هذا الصدد قوله:

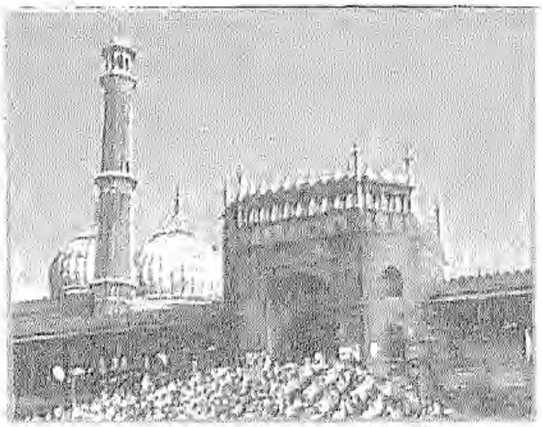
«إن دخول الإسلام له أهمية كبيرة في تاريخ الهند، إنه فضح الفساد الذي كان قد انتشر في المجتمع الهندوكي، إنه قد أظهر انقسام الطبقات واللمس المنبوذ وحب الإعتزال عن العالم الذي كانت تعيش فيه الهند، إن نظرية الأخوة الإسلامية والمساواة التي كان المسلمون يؤمنون بها ويعيشون فيها، أثرت في أذهان الهندوس تأثيراً عميقاً، وكان أكثر خضوعاً لهذا التأثير البؤساء الذين حرم عليهم المجتمع الهندي المساواة، والتمتع بالحقوق الإنسانية».

وفي كتاب جواهر لال نهرو نفسه «اكتشاف الهند Discovery of India» حينما



تاج محل إحدى درر العمارة الإسلامية على أرض الهند

كان رئيساً لوزراء الهند يقول: «من خلال التاريخ الذي ألفه بابر، نرى فقر الحضارة الذي كان مسيطراً على الهند الشمالية، ومرجع ذلك التدهور الذي كان نتيجة هجوم تيمور، وبسبب أن كثيراً من العلماء والفنانين والصنّاع نزحوا من شمال الهند إلى جنوبها، ومن أسباب هذا الانحطاط أن منابع الإبداع والابتكار في أهل الهند قد نضبت، «يقول بابر: إن البلاد ليست فقيرة في وجود الصنّاع الحاذقين، ولكن اختراعات أهل الهند



الجامع الكبير في مدينة دلهي
من أكبر وأشهر المساجد في شبه القارة الهندية

تخلو من الذكاء والفطانة» إن سقوط الحضارة الهندية في شمال الهند واضح لا خفاء فيه، إن العقائد المرسومة والمجتمع المتزمّت قد منع عنّا الإصلاح الاجتماعي والتقدم».

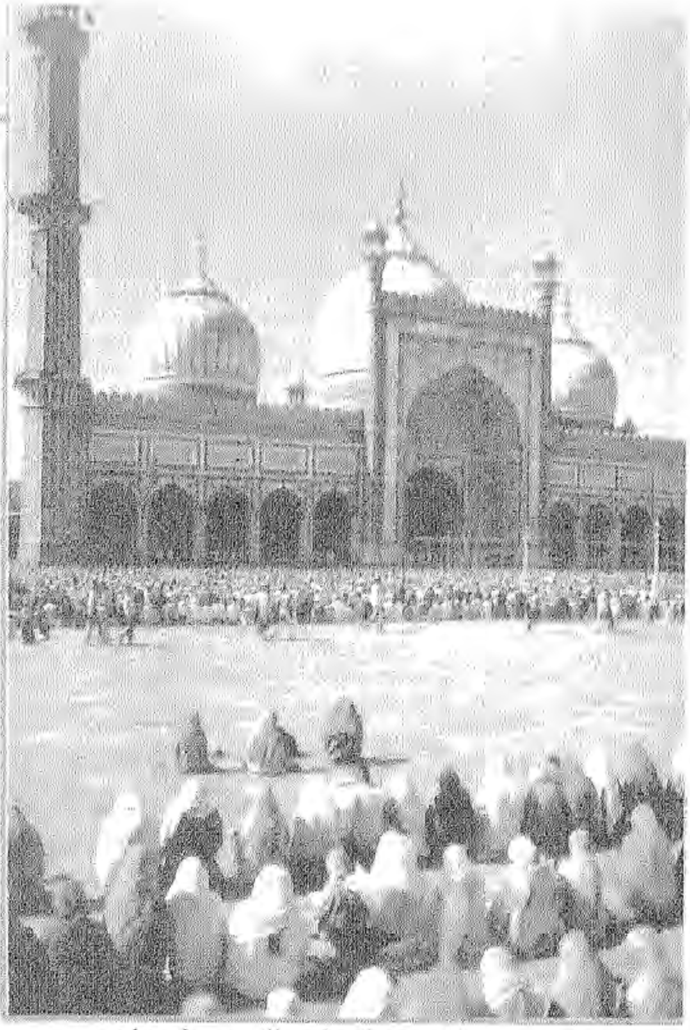
وفي موضع آخر من نفس الكتاب، يستطرد نهرو قائلا: «إن دخول الإسلام والشعوب المختلفة إلى الهند، التي حملت معها أفكاراً طريفة وأساليب مختلفة للحياة، قد أثر في عقيدتها وأثر في هيئتها الاجتماعية، إن الفتح الأجنبي (على علاّته) وما فيه من مساوىء، لا يخلو من فائدة، ذلك لأنه يوسع أفق الشعب الفكري، ويضطره إلى الخروج من الحصار الفكري الذي أقامه حوله، وبذلك يفهم أفراده أن الدنيا أوسع وأكثر اختلافاً وتنوعاً مما كانوا يتصورون ويعتقدون، وهكذا أثر الفتح الأفغاني في الهند، وظهرت تطورات كثيرة في حياتها، وكانت هذه التطورات أكثر وأعمق بعد دخول المغول في الهند، لأنهم كانوا أكثر ثقافة وأرقى من الأفغان، وقد نشروا في الهند الأناقة التي كانت من خصائص إيران».

المسلمون أغنوا ثقافتنا..

ولم يكن جواهر لال نهرو الزعيم الهندوسي الوحيد الذي لم يستطع أن يخفي شهادة حق لأثر الحضارة الإسلامية على الهند المعاصرة، وعلى الهندوسية ذاتها، فهناك العديد من المفكرين والكتّاب والمثقفين الهنادك لم يخفوا هذه الحقائق، ولعل من أبرزهم الزعيم الهندوسي (باتابهاي سيتارامايا – Pattabhai Sita Ramayya) الذي كان زعيماً ورئيساً للمؤتمر الوطني في الهند، وكان قد ألقى خطبة وطنية جامعة في مدينة جيبور (عاصمة ولاية راجستان) قال فيها: «إن المسلمين أغنوا ثقافتنا، إنهم قووا إدارتنا، وقرّبوا أجزاء البلاد البعيدة بعضها إلى بعض، لقد كان تأثيرهم عميقاً في آداب البلاد وحياتها الاجتماعية».

حينما تخرج الحقيقة من فم [illegible]

وإن وحدة الشعب الهندي بجميع طوائفه تقتضي توعية المعادين للمسلمين بحقائق التاريخ، حتى يستجيبوا لمنطق الحق والعدل من أجل سلام إنساني يحقن الدماء ويحقق الاستقرار في هذا البلد الشاسع الذي



المسجد الجامع الكبير بنيودلهي
من أقدم وأوسع المساجد في العالم

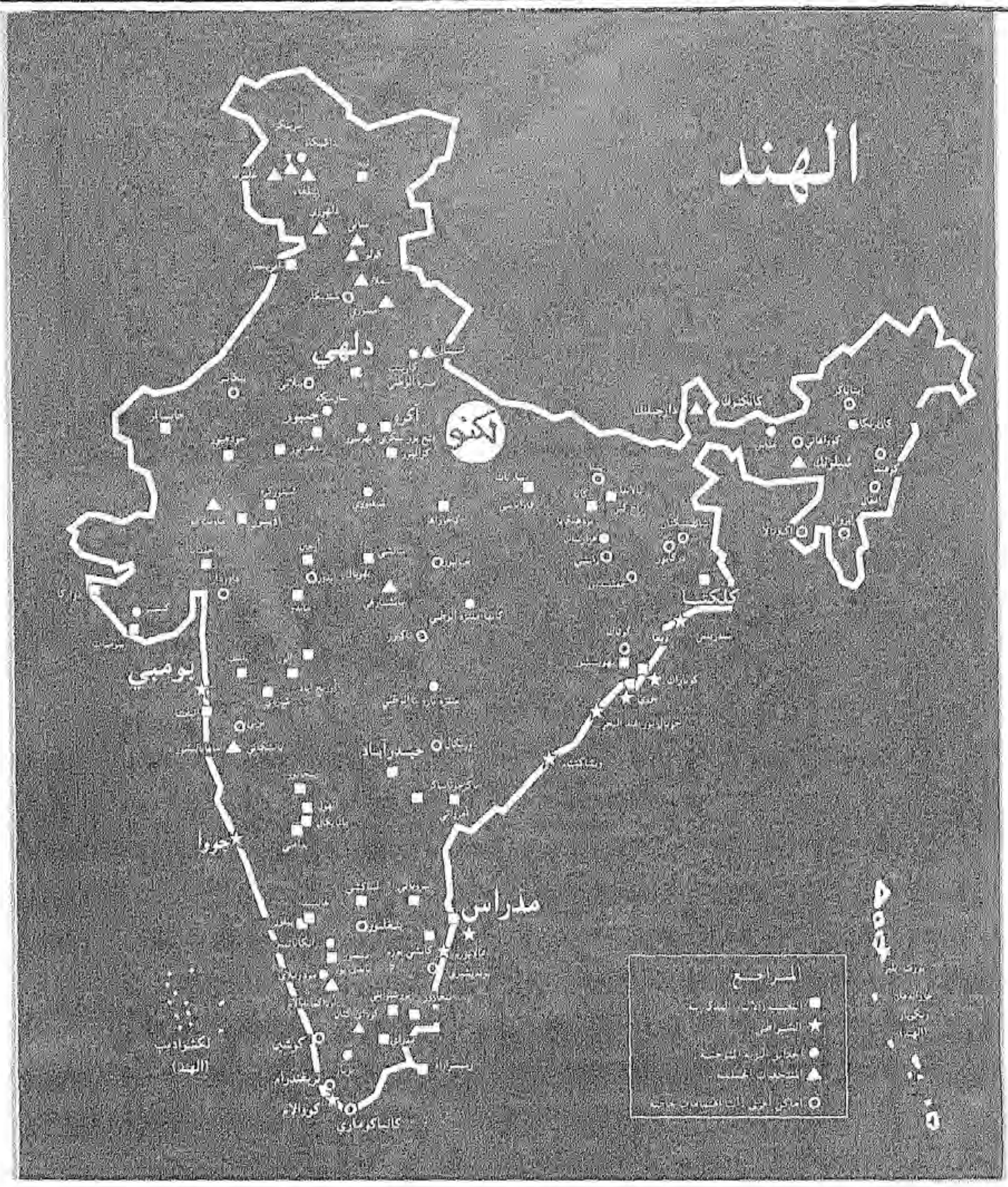
تربطنا به علاقات تضرب جذورها في أعمق وأبعد أزمنة التاريخ البشري.. فهذا مؤرخ معروف بعدائه الشديد للإسلام والمسلمين، وهو الدكتور هنتر، يشير إلى أثر الإسلام والمسلمين في الهند في كتابه (W.W. Hunter Our Indian Muslims) فيقول: «إن المسلمين قد أنشأوا مستعمرات في جنوب الهند، الأراضي التي أحبُّوها وعمَّروها، وإذا قيِّض لسائح أن يتجول في هذه المنطقة استرعى انتباهه البرك التي يسقى بها الزرع، والمساجد والرباطات والأحواض والزوايا التي أنشؤوها في غابات موحشة لم يكن بها عمران».

ويضيف هنتر: «..وقد ظل المسلمون ينشرون دينهم نادراً بالسيف(!!) وغالباً بتأثير عاطفتين قويتين، إن الهنادك لم يسمحوا للشعوب القديمة التي كانت تسكن عند منبع نهر الكنج بالدخول في مجتمعهم، أما المسلمون فقد قدموا جميع الحقوق الإنسانية لطبقة البراهمة والمنبوذين سواء بسواء.. إن هؤلاء الدعاة المتحمسين أعلنوا في كل مكان أن كل واحد يجب عليه أن يخضع لله الواحد العلي، وأن البشر كلهم سواء عنده، لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، وأن الله قد خلقهم كذرات التراب».

هذه الشهادات وغيرها وردت في عدة كتب، من أهمها كتاب (المسلمون في الهند) الذي كتبه سماحة الشيخ أبو الحسن الندوى خلال سني الثمانينات وقد جمع فيه الكثير من أقوال المؤرخين والكتّاب والمفكرين، الذين لم تستطع أقلامهم أن تخفي معالم الحضارة الإسلامية التي انتشلت الهند من حضيض التخلف والتي تفرض نفسها على تاريخ الهند المعاصر رغم أنف الحاقدين والمنكرين.

هبات الإسلام للشعب الهندوسي

كان هذا عنوان مقال باللغة الانجليزية كتبه مؤرخ الهند الشهير (جادوناته سركار) نشرته مجلة (الهند الواعية) في مدينة كلكتا يقول فيه: ان هبات الإسلام للشعب الهندي عشر، منها المساواة الإنسانية بين سائر البشر وفكرة عبادة الله التي أثرت على الهندوس رغم تعدد آلهتهم مما جعل قادة الفكر والدين من المعاصرين الهنادك يدعون إلى عبادة الله، وصرح معظمهم بأن الله واحد، ومنها صلة الهند بالعالم الخارجي، والوحدة السياسية ووحدة اللباس والحضارة، خصوصاً في الطبقات الراقية، وإيجاد لغة رسمية إدارية وأسلوب من النثر الفني الذي



ســاهــم في تهذيبــه وتــرقيتــه المسلمــون والهنــادك.. كــذلــك تقــدم بعــض اللغــات الإقليمية في ظـل الحكومـة المركزيـة لوجـود السلام والرفاهية في البلاد.. وتجديد التجارة

عـن طريـق البحار بعـد توقـف دام طويـلاً، وكـذلك كـان المسلمون هـم أول من أنشـؤوا بحرية للهند.

هذا ما كتبه واحد من أشهر مؤرخي الهند، ثــم نختتــم هــذه الحقــائق والشهــادات التــاريخية عـن أثر الحضـارة الإسلاميـة في

الهنـد بكلمة لأحـد الكتّـاب المعـاصرين مـن الهنـادك، وهـو: (N.C. Mehta I.e.s) الـذي يقول في كتابه (الحضارة الهندية والإسلام - Indian Civilisation and Islam) ما نصـه:

«لقد حمل الإسلام إلى الهند مشعلاً من نور انجلت به الظلمات التي كانت تغشى الحياة الإنسانية، في عصر مالت فيه المدنيات القديمة إلى الانحطاط والتدني، وأصبحت الغايات الفاضلة معتقدات فكرية، لقد كانت فتوحات الإسلام في عالم الأفكار أوسع وأعظم منها في حقل السياسة، شأنها في الأقطار الأخرى، لقد كان من سوء الحظ أن ظل تاريخ الإسلام في هذا القطر مرتبطاً بالحكومة فبقيت حقيقة الإسلام في حجاب، وبقيت هباته وأياديه الجميلة مختفية عن الأنظار».

هذا ما يجب أن يقرأه شباب الهندوس المعاصرون، ولعل المرأة الهندوسية من أكثر الفئات استفادة من الإسلام، الذي أعطاها حقوقها وألغى قيود استعبادها وأنقذها من الموت حرقاً، بعد أن كان يتحتم عليها إذا ما مات زوجها أن تحرق نفسها حية عند إحراق



جثمانه، لأن الحياة من بعده كانت محرمة عليها.

مائة عام من عمر ندوة العلماء

ومن أبوظبي إلى نيودلهي، كانت بداية هذه الجولة، وبرحلة جوية داخلية أقلعنا من مطار دلهي إلى مدينة لكنو، إحدى كبريات مدن ولاية أوتاربراديش التي تعد من أكبر ولايات الهند.. وقد ذكر العلامة السيد عبد الحي الحسني (رحمه الله) في كتابه (الهند في العهد الإسلامي) وصفاً موجزاً لهذه المدينة، قال فيه: «لكنو بلدة كبيرة على نهر جومتي، وفيها أبنية رفيعة للأمراء وبيوت لمآتم الشيعة، انتقل إليها آصف الدولة من مدينة فيض أباد، فصارت مقاماً للأمراء، ولها شهرة ونفوذ في أعمال الخزف والوشي، ونشأ بها الأجلاء كالشيخ محمد أعظم، والشيخ محمد مينا، والشيخ عبد القادر، والشيخ نظام الدين وولده بحر العلوم، وخلق كثير من العلماء...».

ولعل من أهم وأبرز المدارس الإسلامية في مدينة لكنو، ذلكم الصرح العلمي الذي يحمل اسم جمعية (ندوة العلماء)، والذي مضى على إنشائه أكثر من مائة عام، قدم فيها للهند وللعالم الإسلامي عدة ألوف من العلماء والمفكرين والأئمة والمدرسين، الذين أسهموا في الحفاظ على التراث الإسلامي في الهند، خلال فترة من أصعب وأشق الفترات في تاريخ الوجود الإسلامي بالهند، رغم أنه مؤسسة أهلية تعليمية مجانية (داخلية) بلا حكومة تنفق عليها ولا ميزانيات سنوية ضخمة، وهي بالقياس إلى ما تقدمه من خدمات دعوية وتعليمية واجتماعية

مائة عام على ندوة العلماء بالهند.. بصماتها غائرة في خدمة الوعي الإسلامي



إمام باره .. أي بيت الامام أو الحسينية تحولت إلى مزارات سياحية

لجماهير المسلمين، لا تقل في جهودها عن أي وزارة للشئون الإسلامية (بلا وزراء ولا حقائب ولا ميزانيات).

متى وكيف تأسست جمعية ندوة العلماء

مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري (في العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي) كان المسلمون في الهند يعانون من مغيب شمس دولتهم، وتشتت المسلمين وتفرقهم، وجهل الناس بحقائق دينهم ومفاهيمه وقيمه ومقاصد الشريعة الإسلامية السمحة، ونتيجة لهذه الأوضاع المتردية اختلف العلماء وتفرقوا وتفشى الجهل بين المسلمين، فرأت مجموعة من العماء وعلى رأسهم العلامة الشيخ محمد علي المونجيري أن أية محاولة لجمع صفوف المسلمين وتوحيد كلمتهم في مواجهة الأخطار، التي باتت تهدد وجودهم بعد زوال دولتهم في الهند لن تنجح في ظل خلافات العلماء وتفرقهم، فَجَمْعُ العلماء وتوحيد صفوفهم هو المفتاح السحري لتحقيق التقارب والتناغم بين

مختلــف الفئـات على اختــلاف مـذاهبهــم ومدارسهم، وكان هذا هـو منطلق الفكرة التي انتهت بإنشاء جمعية ندوة العلماء.

إصلاح وتوحيد مناهج المدارس

هكذا تـم الإعلان عن مـولد جمعيــة ندوة العلماء، التــي ضمـت عـدداً مـن خيرة علماء المسلمين الحكماء، الذيـن اجتمعوا في مـدينة كانبور (بولاية أوتاربراديش) عام ١٣١١هـ (١٨٩٣م) برئاسة الشيـخ الجليل محمد علي المونجيري، وقـرروا بعد الـدراسة والبحـث والمنـاقشـة، أن يجعلـوا هـدفهـم العنـايـة بالتعليـم الديني والعمل على إصـلاح شئون المسلمين اجتماعيـاً وروحيـاً وسلوكيـاً، مـع العمـل على جمع صفوف المسلمين وخـاصـة العلماء.. ووجـه الأعضـاء المؤسسـون لهذه الجمعية، نداء إلى علماء الهند، دعوهم فيه إلى جمع صفوفهـم وتوحيـد كلمتهم والتصـدي لكل مـا من شأنه إشـاعة الخلافات والفـرقة بينهم، ثم العمل على إصلاح وتـوحيد مناهج المدارس الدينية القديمة، وإصلاح نظمها بما يتـلاءم مـع احتيـاجـات الأمـة الإسـلاميـة ويواكـب المتغيرات التي تحيط بها ويسـاعد على حفظ تراثها الدينـي وحمايته من العبث والتشويه، وكان للمجهـود الكبير الذي بذله أول أمين عــام لهذه الجمعيــة (الشيـــخ المونجيري – رحمه الله) أكبر الأثر في تـرسيخ دعـائم هذه الجمعيـة، والتفاف العلماء مـن حولها.

مدرسة دار العلوم
أول لبنة في جامعة ندوة العلماء

كان توحيـد المناهج الإسلاميــة الدراسية في المدارس الأهلية في تلـك الآونة، مـن أهم مـا يشغــل تفكير العلماء لاختـلاف منـــاهـــج القائمين عليهـا ومدارسهم الفكـرية، وكـذلك لعزلتهم وبعدهم عن مراكز إشعاع الحضارة الإسلامية آنذاك، والتي كـانت تتمثل في أزهر مصر ومدارس بغداد ودمشق.. وبـذل الرعيل الأول من علماء جمعية نـدوة العلماء جهوداً كبيرة بعد إنشاء جمعيتهم، لتحقيـق هدفهم في توحيـد صفوف العلماء وتنظيـم تدريـس القـرآن الكـريـم وعلـوم الشــريعة واللغـة العربيـة وآدابها.. وخلال جهـادهم لتحقيـق هذه الغـايـة اكتشفـوا أنه مـن الضروري أن





طلبة «ندوة العلماء» يقضون وقت فراغهم في مكتبات الندوة

تكون للندوة مدرسة، تكون نموذجاً للمدارس الإسلامية في منهجها ونظامها، ثم جاءت مبادرة كريمة من شيخ هندي جليل هو الشيخ أظهر علي الكاكوروي (رفيق البقيع - رحمه الله) بميلاد أول مدرسة لندوة العلماء خلال عام ١٣١٦هـ، في مدينة لكنو، التي كانت في ذاك الوقت عاصمة لولايات الهند المتحدة، وكانت مزدهرة بقصور أمراء الشيعة المسلمين ومؤسساتهم الدينية، التي أصبحت الآن من أشهر المعالم السياحية في هذه المدينة.

مركز إشعاع عمره مائة عام

نحن الآن في عام ١٤١٧هـ، أي أن جامعة ندوة العلماء قد أكملت مائة عام هجري منذ أول مدرسة بنيت لها، ولأنه (ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل) فإن هذه المدرسة التي التف حولها عدد كبير من المسلمين، قاومت الكثير من الأنواء والأعاصير، وصمدت للزوابع والتقلبات السياسية وغير السياسية التي كانت تتربص بالإسلام والمسلمين في شبه القارة الهندية على مدى قرن كامل، وقد اختير للتدريس فيها خيرة علماء عصرهم وأكثرهم إخلاصاً وتقوى وقدرة على العطاء، وبعداً عن إثارة الخلافات المذهبية والفكرية، من أجل تخريج علماء يجندون أنفسهم لتوحيد صفوف المسلمين والتقريب بين مذاهبهم، فكان أول من تولى منصب الأمين العام للندوة بعد تأسيسها العالم الشيخ محمد علي المونجيري (المتوفى عام ١٣٤٦هـ - رحمه الله) بينما كان أول من تولى إدارة الشؤون التعليمية المؤلف الكبير والباحث الإسلامي الهندي الشهير الشيخ شبلى النعماني (المتوفى سنة ١٣٣٢هـ) رحمه الله، الذي ظلت بصماته العلمية والأدبية حية في دار العلوم حتى الآن.

وعلى مدى قرن كامل، وبجهود المخلصين

من الرجال وسخاء الخيِّرين من المحسنين في مختلف أنحاء الهند، ثم خارجها (فيما بعد) ظلت ندوة العلماء تؤدي رسالتها التعليمية في هدوء وصمت، وتخرج العلماء والأئمة والمدرسين والقضاة، الذين واصل بعضهم طريقه في طلب العلم من خلال منح دراسية في الجامعات العربية والإسلامية والهندية أيضاً، لا لنقص في تحصيلهم العلمي ولكن طلباً لشهادات (رخص) تفتح لهم أبواب العمل، حتى أصبحوا يعملون في كثير من الجامعات العربية والإسلامية والهندية، وأصبحنا كثيراً ما نسمع عن البروفيسور فلان الندوى أو العلاّمة فلان الندوي أو الكاتب فلان الندوي.. فكل اسم من تلك الأسماء ينتهي بـ(الندوي)، إنما يعني أن صاحبه تلقى تعليمه الإسلامي في ندوة العلماء، مثل العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوى.

الشؤون التعليمية بندوة العلماء
[illegible]

وإدارة الشؤون التعليمية للندوة، كانت من أهم الإدارات التي اهتمت بها الندوة،، وقد تولى هذه الإدارة منذ إنشائها حتى الآن خمسة من علماء الندوة، كان أولهم كما ذكرت آنفاً، العلامة شبل النعماني، ثم العلامة الكبير سليمان الندوي (رحمه الله) ثم المفكر الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن الندوي.. وحينما تفرغ سماحته للأمانة العامة وغيرها من الأعباء الجسام، ترك إدارة الشئون التعليمية للشيخ عبد السلام القدوائي الندوي (رحمه الله).. والآن آلت هذه الإدارة لفضيلة الدكتور عبد الله عباس الندوي، الأستاذ السابق بجامعة أم القرى بمكة المكرمة.

وبقدر استطاعة المخلصين من القائمين على أمر ندوة العلماء ومن أبنائها وخريجيها



بعض الطلبة خلال جلسة تحفيظ القرآن الكريم بمسجد «ندوة العلماء»



مسجد ندوة العلماء بعد آخر توسعة له، لمواكبة أعداد الطلبة المتزايدة.

انتشرت المدارس والكليات التابعة لندوة العلماء، والتي تطبق مناهجها التعليمية داخل الهند وخارجها كما سيأتي فيما بعد على لسان عميد الجامعة ومديرها.

أبو الحسن الندوي يطلق شعاراً «من أجل الإنسانية»
مناشدة زعماء الهندوس العمل من أجل الإنسانية لإنقاذ الهند

وقبل أن نستأنف جولتنا حول جامعة ندوة العلماء في ذكراها المائوية، التي حالت ظروف الندوة دون الاحتفال بها، نلتقي بسماحة العلاّمة الشيخ أبو الحسن الندوي، أمين عام هيئة جمعية ندوة العلماء ورئيس هيئة الأحوال الشخصية لعموم مسلمي الهند، الذين يربو عددهم على ٢٤٠ مليوناً.

الشيخ الندوي، الذي تجاوز الثمانين من عمره الذي قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين داعياً ومدرساً ومحاضراً وكاتباً ومؤلفاً، وقائداً لمسيرة مسلمي أهل السنّة والجماعة بالهند، لا يزال رغم وطأة السنين وهموم المسلمين وأوجاع الشيخوخة، دائم الحركة والتنقل من مكان إلى آخر، ناصحاً ومعلماً وداعياً المسلمين إلى الوحدة وغير المسلمين إلى مناصرة مسيرة التعايش السلمي بين مختلف الجماعات والطوائف، في بلد يعصف به التطرف والتشدد الذي يدعو إلى محاربة كافة الأديان والمعتقدات التي تتعارض مع الهندوسية.

لقد استقبلنا سماحة الشيخ الندوي في مجلسه المتواضع بندوة العلماء حيث يفترش الأرض هو وضيوفه وطلابه كل مساء، وبعد أن أشاد بحكمة صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة، وما يقدمه من دعم



سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي
خلال لقائه مع «منار الإسلام».

للإنسانية في كل مكان أجرينا معه اللقاء التالي:

○ نريد من سماحتكم أن تعطونا صورة عن أوضاع مسلمي الهند في ضوء ما يشهده العالم من متغيرات، لننقلها إلى قرائنا في العالم الإسلامي.

– قال سماحته: أوضاع المسلمين في الهند أوضاع متقلبة وشاذة، وقلّما يعاني شعب من الشعوب مثل معاناتهم، وذلك بسبب الأوضاع السياسية المتناقضة والمصالح الفردية التي تطغى على مصالح البلاد بأسرها، والمطامع الجماعية للمتشددين والمتعصبين، وما قرره بعض زعماء الأغلبية من إبادة المسلمين عقائدياً وثقافياً وحضارياً واجتماعياً كذلك، وكان من أبرز الدلائل على ذلك، التدخل في قانون الأحوال الشخصية، وهم يعلمون أن هذا القانون حيوي جداً بالنسبة للمسلمين.. ولو سمح المسلمون بالتدخل في قانونهم (قانون الأحوال الشخصية) فإنهم يفتحون باباً واسعاً لتدخلات كثيرة، تدخلات متنوعة وخطيرة جداً.

قانون الأحوال الشخصية

○ قرأنا في كثير من صحفكم (في الهند) أن المسلمين على مستوى جميع ولايات الهند تظاهروا وأعلنوا رفضهم لأي تدخل في قانون الأحوال الشخصية باعتباره جزءاً من الحرية الشخصية التي كفلتها لهم القوانين منذ الحكم البريطاني للهند، وهو كذلك أحد سمات الحكم الديمقراطي لسياسة الهند المعلنة، فماذا نتج عن احتجاجات المسلمين هذه؟.

– الحمد لله أن وفق الله المسلمين للتصدي لهذه المؤامرة، جزاهم الله خيراً وتقبل مساعيهم.. لقد كان وعياً منهم جاء في وقته ومكانه، فحينما قررت المحكمة العليا إعطاء المطلّقة نفقة شهرية وسنوية دائمة، توقف المسلمون المختلفون مع زوجاتهم لأسباب مبررة أو غير مبررة، صحيحة أو غير صحيحة، توقفوا عن تطليقهن، فأصبحن في أوضاع شاذة غير مستقرة، فلا هن في حِلّ يستطعن الزواج وتأمين مستقبلهن، ولا هن متزوجات لوصول علاقاتهن الزوجية إلى طريق مسدود، وأزواجهن لا يستطعن تطليقهن لعدم القدرة على دفع تبعات الطلاق، أو هذه الضريبة الشهرية والسنوية.

وقد وفق الله تبارك وتعالى، الشيخ منة الله

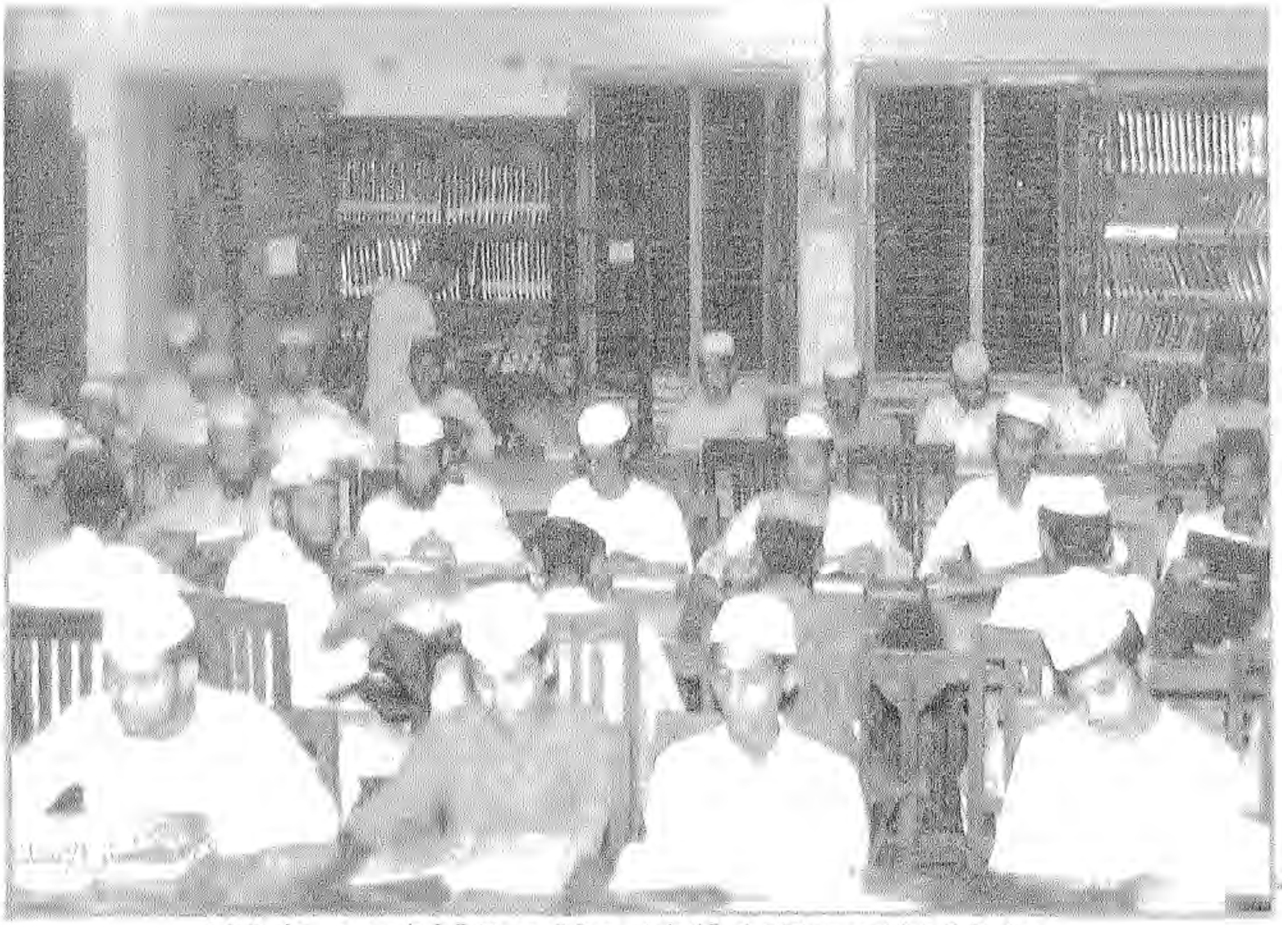
الرحماني، الذي كان أميناً عاماً لهيئة الأحوال الشخصية (وكنت رئيساً لها حينذاك)، وقمنا بزيارة رئيس الوزراء وقتئذ راجيف غاندي، وشرحنا له موقف المسلمين من هذا القانون أو هذا التشريع، وقلنا له إن هذا تدخل في الدين، وأن هذه البلاد كما تعلمون قامت على الديمقراطية والعلمانية واللاعنف، هذه المبادىء الثلاثة التي كانت أساس كفاحنا ضد الاستعمار البريطاني للهند، وهو الكفاح الذي تكلل بالنجاح لأن أهل البلاد على اختلاف مللهم ونحلهم واتجاهاتهم اطمأنوا إلى أنه إذا نالت الهند حريتها بجلاء الإنجليز فإنهم سيكونون أحراراً فيما يتصل بدينهم وما يتصل بحضارتهم وثقافتهم، فإذا خالفت البلاد هذه المبادىء وتدخلت في الشؤون الدينية للأقليات فإن المسلمين والأقليات الأخرى يفقدون ثقتهم بهذه الحركة واحترامهم لها، ويتسرب الشك إليهم خشية فقد دينهم وتشريعاتهم وحرمانهم من العمل به بحرية.

كان راجيف غاندي متعاطفاً مع المبادىء الديمقراطية، واقتنع برأينا فطلب عقد جلسة للبرلمان وأوعز إلى أعضاء المؤتمر الوطني الهندي برغبته في إلغاء حكم المحكمة، وبالفعل أصدر البرلمان قانوناً جديداً يؤيد حق المسلمين بتطبيق أحكام شريعتهم في حقوق المطلّقة بعد طلاقها فلا نفقة لها إلا في حدود ما أقر به الشرع الإسلامي، وبذلك أصبح حكم المحكمة باطلاً.

قوانين طبقية

○ ولكن من الذي أثار هذا الموضوع من جديد، بعد راجيف غاندي؟.

– حدث بعد ذلك أن طالبت بعض الجهات



بعض الطلبة في إحدى مكتبات ندوة العلماء، حيث توجد مكتبة في كل مجمع سكني للطلاب



مباني معهد القرآن الكريم، التي أنشئت حديثاً على أرض الندوة بمدينة لكنو..

السياسية والتشريعية بتوحيد قوانين الأحوال الشخصية في الهند كلها بالنسبة لجميع الأديان والطوائف، وهذا يعني العودة من جديد إلى مسألة الحريات الدينية، لأنه سيفرض عليهم قوانين وأعرافا مختلفة شائعة في جميع أنحاء الهند.. ففي جنوب الهند مثلاً أعراف خاصة وتقاليد خاصة فيما يتصل بالأحوال الشخصية والزواج والطلاق، وهذا يعني أن المسلمين سيصبحون فريسة للتلاعب بهم، وسيخضعون ليس لقانون فقط وإنما لأعراف وتقاليد وعادات مختلفة ومتناقضة، وأضاف سماحته قائلاً: إن القوانين الموحَّدة التي يراد تطبيقها هي قوانين طبقة البراهمة، وهي قوانين لا تخالف الأقليات الأخرى، ولكن المسلمين لا يقبلونها لأنها تمس معتقداتهم، أما الآخرون الذين يعيشون في ظل الهندوسية فإنهم لا يبالون.

لقد اعترضنا ضد هذا القانون، وعقدنا اجتماعات سنوية لمؤتمر الأحوال الشخصية لمسلمي الهند، واجتماعات خاصة على كافة المستويات، انتهت بحمد الله بإلغاء قرار المحكمة العليا، وعقدنا اجتماعات مع رئيس الجمهورية وحوارات مع رئيس الوزراء، الذي أعلن أنه لا يؤمن بهذا الحكم الذي أصدرته بعض المحاكم (لصالح المسلمين) وأن قانون الأحوال الشخصية الموحّد سينفذ بصرف النظر عن الديانات والعادات والتقاليد وغير ذلك..

المسلمون صامدون

○ وكيف و اجهتم موقف رئيس الوزراء؟ (كان هذا قبل التغيير الوزاري الأخير).

– لا زلنا نحاول إقناع المثقفين والواعين والديمقراطيين في الهند بأن هذه الخطوات تشوش أفكار أقليات كثيرة، من أكبرها

وأعظمها الأقلية الإسلامية في الهند، التي كان لها النصيب الأكبر في تحرير البلاد.. إن المسلمين صامدون بإرادة وعزم، وسيواجهون كل العقبات والمشاكل التي تحاول النيل من حريتهم الدينية والفكرية، وسنعمل بكل قوتنا على إقناع الصحافة وجميع وسائل الإعلام والحكام بحقوق الأقليات وخاصة الأقلية المسلمة التي تعد مقياساً لعمل الحكومة الهندية بالديمقراطية.. إن الأقلية المسلمة، مصممة على المحافظة على دينها وشريعتها وقانونها وثقافتها أيضاً، بتعليم أبنائها، أبناء الجيل الجديد.

وكرر سماحته: هناك إصرار وتصميم من المتشددين والمتعصبين بتحويل الهند إلى ديانة واحدة وحضارة واحدة وشعور واحد وهذا يتعارض مع جميع قوانين ومبادىء الحرية والديمقراطية.

٢٥٠ مليون مسلم

○ سؤال حول عدد المسلمين بالهند، فجميع المؤشرات تدل على أن عدد المسلمين بالهند قد يصل إلى أكثر من ٢٥٠ مليون نسمة، بينما تحاول بعض الجهات تقليل عددهم وعدم إعلان رقمهم الحقيقي، فما هو رأي سماحتكم في هذه المسألة؟.

– بالنسبة لعدد المسلمين فإننا نعلم من بعض المصادر المطلعة أن عددهم أكثر من مائتي مليون بكثير.

الهند في خطر، ولهذا ننادي بالالتفاف حول رسالة الإنسانية

وفي نهاية لقائنا مع سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي، قال إن لديه إضافة، وهي أنه يوجد في شبه القارة الهندية فراغ كبير من وجود قيادة مخلصة صالحة واعية، تؤمن بالديمقراطية والحرية الإنسانية، التي تقوم على احترام معتقدات الآخرين وفكرهم وثقافاتهم، فالبلاد أصبحت في خطر .. حروب داخلية وإضرابات وخصومات وحروب طائفية كذلك (كان هذا الحديث قبل أيام من الانتخابات الأخيرة، التي جاءت نتائجها مخيبة لآمال الوحدويين الهنود من أنصار الديمقراطية والإصلاح)، ويستمر سماحة الشيخ أبو الحسن قائلاً: لهذا وفقني الله مع بعض زملائي فشكلنا هيئة (إصلاحية) تسعى برسالة الإنسانية، ونحن نجري اتصالات واسعة بالعناصر المثقفة الواعية الخيرة من أبناء الهند على اختلاف معتقداتهم، وخاصة من الهندوس المعتدلين


المبنى الرئيسي لجامعة الندوة بمدينة لكنو

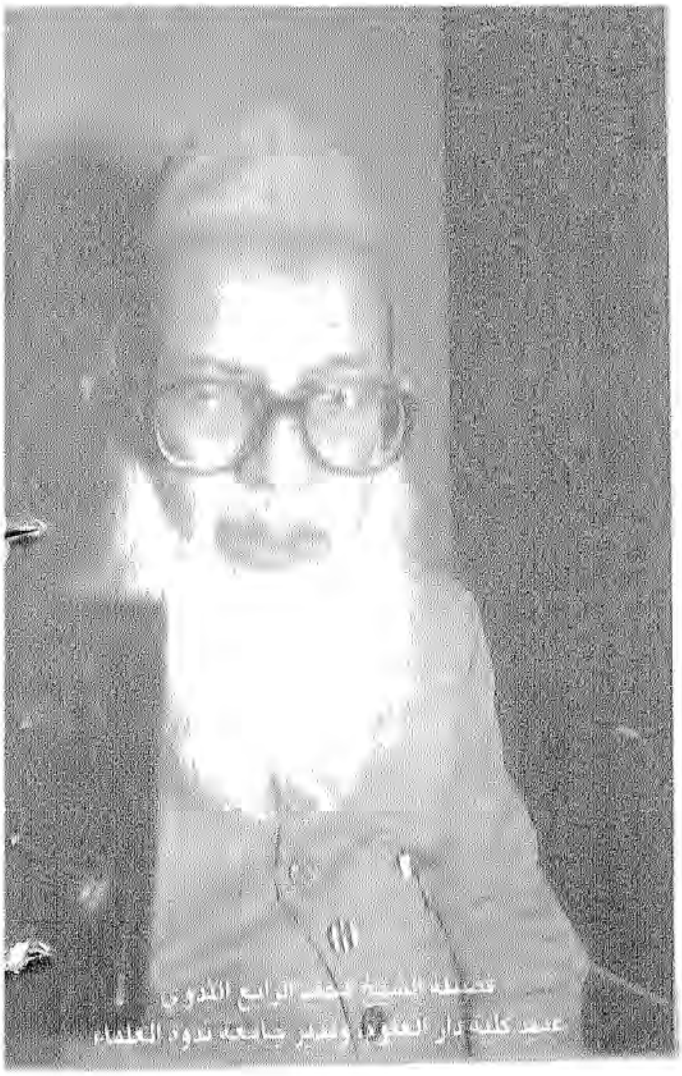
■ كيف صمدت ندوة العلماء في وجه الأنواء عبر قرن كامل من عمر الزمان؟

(غير الدمويين)، ونعقد الندوات والمؤتمرات التي ندعو إليها بعض زعماء الهندوس المشهود لهم بالثقافة والوعي السياسي الصحيح، الذين يؤمنون بأنه لا استقرار ولا أمان ولا وحدة بين أبناء الهند إلا بالعمل معاً من أجل سلام الإنسانية.. ونحن في هذه الندوات نخطب في الناس جميعاً للالتفاف حول هذه القيم، نقول لهم إن البلاد كلها في خطر إذا لم تكن هناك قيادة صالحة واعية تعمل لخير البلاد وتجنيبها الصراعات الدموية الطائفية والحروب الداخلية.. ونحمد الله أن هذه الحركة نجحت في كسب عناصر كثيرة من مختلف أبناء الشعب الهندي، حتى أن بعض زعماء الهندوس وكبار الشخصيات منهم يعقدون مؤتمرات ويدعوننا إليها، كما أن أحد ولاة آسام السابقين بلغ من تعاطفه معنا أن عقد ندوة في احتفال كبير في العاصمة دلهي ودعانا إليها.. لهذا فإنه على الرغم من الظروف التي تحيط بنا هنا في الهند، لا نملك إلا أن نتفاءل وأن ندعو الله أن تنتصر دعوتنا للعمل من أجل الرسالة الإنسانية حتى يعم الهند السلام ويأمن الناس فيها على حريتهم ومعتقداتهم وحياتهم.

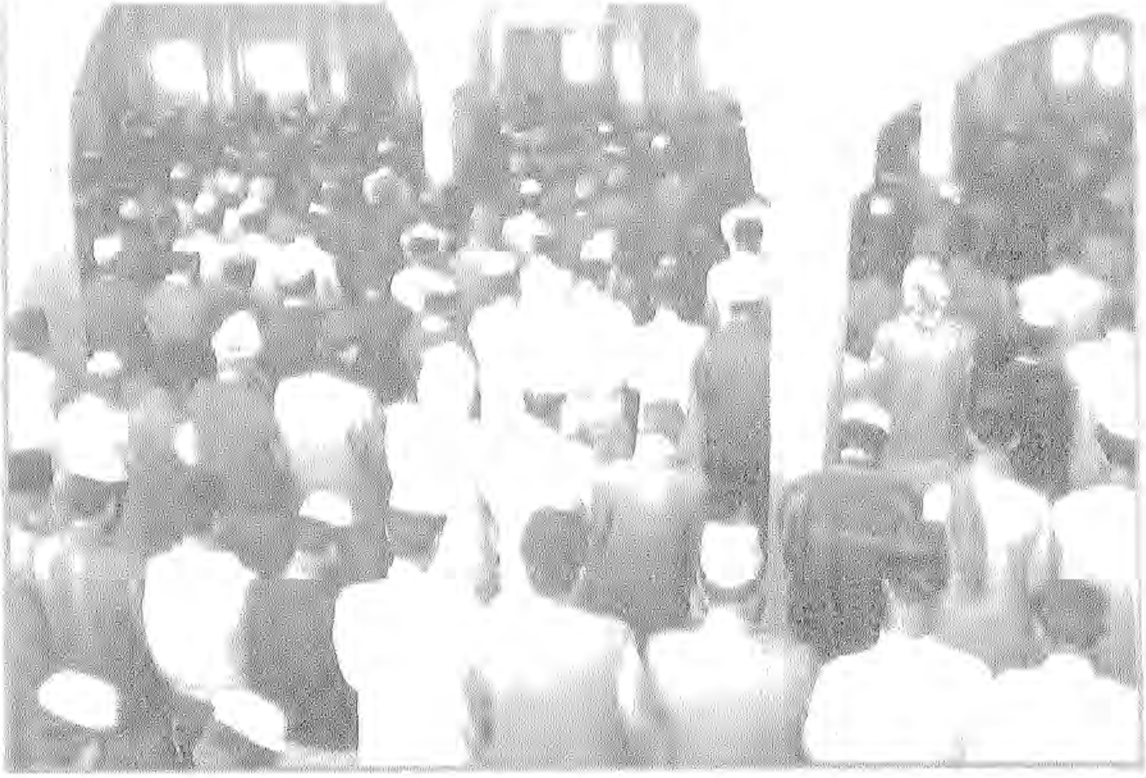
الدراسة في ندوة العلماء

وفي لقاء خاص مع مدير عام ندوة العلماء وعميد كلية اللغة العربية الشيخ محمد الرابع الندوي، ألقينا نظرة فاحصة على هذه القلعة العلمية بدأناها بترجمة موجزة عن محدثنا.

لقد قطع الشيخ محمد الرابع الندوي مشواراً طويلاً في هذه المؤسسة، فهو من



فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي
عميد كلية دار العلوم ومدير جامعة ندوة العلماء



المسجد وقد امتلأ بالمصلين من الطلبة .. داخل الندوة

مواليد عام ١٩٢٩م، من أسرة شريفة عرفت بالعلم والفضيلة وقد تلقى تعليمه في ندوة العلماء ثم عمل فيها مدرساً منذ عام ١٩٥٠.. وعلى مدى أكثر من أربعة عقود ونصف من عمر الزمن، تدرج في مناصب الندوة العلمية والإدارية والدعوية حتى اختير عميداً لكلية اللغة العربية ثم عين مديراً عاماً لندوة العلماء منذ حوالي سنتين، وقد ألف خلال مسيرته العلمية حوالي عشرة كتب، معظمها في الأدب العربي والإسلامي والدعوة إلى الله، بالإضافة إلى عشرات المقالات العلمية التي نشرت وتنشر له في المجلات والصحف العربية، والأوردية في الهند وخارجها.

ويقول الشيخ محمد الرابع الندوي رداً على سؤال لنا حول المناهج الدراسية لندوة العلماء: إن السياسة التعليمية للندوة تعتمد أساساً على الجمع بين عنصرين، وهما: المحافظة والتجديد في إطار الاعتدال والوسطية بين القديم الصالح والجديد النافع، بين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلوم النافعة القابلة للتغيير والتطوير. أما عن المراحل التعليمية فإنها تبدأ بالمرحلة الابتدائية «أ» ومدتها ثلاث سنوات، ثم الابتدائية «ب» ومدتها ست سنوات، تأتي بعدها الدراسة المتوسطة والثانوية ومدتهما خمس سنوات، كما أن هناك دراسة متخصصة لخريجي الكليات والمدارس الحكومية، منها سنة واحدة تؤهل الطالب للالتحاق بمرحلة التعليم العالي بدار العلوم ندوة العلماء. أما مرحلة التعليم العالي، التي تعادل درجة الليسانس في الجامعات العصرية فإن مدتها أربع سنوات.

○ وماذا عن الدراسات التخصصية؟.

– الدراسات التخصصية بعد مرحلة التعليم العالي تنقسم إلى خمسة أقسام، بعضها يعادل درجة الماجستير، وبعضها يعادل درجة الدكتوراه، وهي تبدأ بالتخصص في العلوم الإسلامية ومدتها سنتان في مادة واحدة من ثلاث مواد:

■ جولة في ثلاث ولايات ببلاد العجائب والغرائب..

التفسير، أو الحديث، أو الفقه.. (من كلية الشريعة وأصول الدين).

والتخصص الثاني في آداب اللغة العربية وعلومها (من كلية اللغة العربية) ومدة الدراسة فيها سنتان، وهي أيضاً تعادل شهادة الماجستير.

الإسلامي، لتخريج رجال الوعظ والإرشاد من الدعاة والأئمة المؤهلين لنشر الدعوة ودحض المفتريات والأكاذيب التي يأتي بها الغزو الفكري، والدراسة في هذا المعهد أيضاً تعادل درجة الماجستير.

أما آخر التخصصات، وهو أعلى درجة



إحدى المدارس التابعة لندوة العلماء بالقرب من «مليح آباد».

أما التخصص الثالث فإنه خاص بالدراسة في المعهد العالي للقضاء والإفتاء ومدته سنتان لتخريج قضاة ومتخصصين في الإفتاء بدرجة الماجستير.

وهناك أيضاً المعهد العالي للدعوة والفكر

علمية تعادل الدكتوراه في مناهج الندوة، فهي ما تسمى هنا (التكميل) أو (الإجازة) ومدة الدراسة فيها سنتان بعد الماجستير في أي مادة يختارها الدارس الذي يحصل في نهايتها على الإجازة ويلقب بـ(المجاز).



بعض المساكن الخاصة بالطلبة الغرباء داخل حرم جامعة ندوة العلماء.

تلك هي باختصار المراحل التعليمية عندنا وشهاداتها.

حفظ القرآن الكريم

○ هل نطمع في أن تضيف إلى ما ذكرت عجالة عن المناهج الدراسية التي تفضلت بذكر مراحلها التعليمية؟.

– بالنسبة للمرحلتين الابتدائيتين يتضمن المنهج حفظ القرآن الكريم واللغة الأوردية ثم اللغة العربية والتجويد ومبادىء اللغة الهندية واللغة الإنجليزية والحساب والجغرافيا والتاريخ والزراعة والعلوم الاجتماعية، أما مناهج الدراسة في التعليم المتوسط والثانوي فيضاف إليها قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وبلاغة، وآدابها من شعر ونثر وغيرهما، والسيرة النبوية والتاريخ الإسلامي والفقه وعلومه والحديث وعلومه وتجويد القرآن الكريم وترجمة معانيه، إضافة إلى الجغرافيا والحساب واللغة الإنجليزية واللغة الفارسية والمعارف المدنية.

ويضيف الشيخ محمد الرابع: لا تنس أننا هنا نهب حياتنا ووقتنا لخدمة العلم، فالدراسة بنظام اليوم الكامل، وفي كل بناية من بنايات سكن الطلبة مكتبة عامة للتزود منها بما يلزمهم من أمهات الكتب الدينية واللغوية وغيرها في مختلف العلوم والفنون، فالطالب هنا يعيش في محراب العلم والقرآن الكريم وعلومه مما يساعده على الاستيعاب

■ وزارة بلا حكومة ولا وزراء ولا حقائب..
وعطاء بلا ميزانية وبلا حدود

والتحصيل ويزوده بالقدرة على أداء رسالته بعد التخرج.

○ هذا بالنسبة لمناهج التعليم العامة، فماذا بالنسبة لمناهج التعليم العالي (الجامعي) وكذلك التخصصي.



طالب تايلاندي .. ترك دراسته
في جامعات تايلاند من أجل التعليم الإسلامي في الندوة

- منهج التعليم العالي (الجامعي) يشمل ٢٦ مادة تتضمن التوسع في علوم القرآن الكريم والحديث والفقه والسيرة والتاريخ الإسلامي واللغة العربية وقواعدها وآدابها وعلم الاجتماع واللغة الإنجليزية وأمهات الكتب الإسلامية في مختلف العلوم وخاصة الحديث الشريف وعلوم الدين ثم مبادىء الفلسفة.. أما أقسام التخصص بعد الجامعة فهي كما سبق أن أوضحت إما في التفسير أو الحديث أو الفقه، وبالنسبة للتخصص الثاني فإنه يتضمن اللغة العربية وآدابها مع النقد والبلاغة ويأتي بعد ذلك تخصص المعهد العالي للقضاء والإفتاء، الذي يتضمن منهجه دراسة الفقه المقارن والقضاء في الإسلام وقواعد الإفتاء، تحت إشراف علماء متخصصين.. وأخيراً نأتي إلى المعهد العالي للدعوة والفكر الإسلامي، الذي يهتم بدراسة مفاهيم الفكر الإسلامي وأساليب الدعوة ووسائلها، والأخطار الفكرية ضد الإسلام، والحركات المعادية له والعمل الدعوي الذي يوحد صفوف المسلمين ويتصدى لعوامل التشرذم والتحزب والفرقة.

البعثات والمنح الدراسية والأنشطة الأكاديمية

○ بصفتكم مديراً لندوة العلماء، ما هي المؤسسات التي تضمها الندوة في الوقت الحاضر بعد التوسعات التي تمت خلال العقدين الأخيرين منذ منتصف السبعينات؟.

- قبل الإجابة عن هذا السؤال، أحب أن أضيف معلومة إلى ما سبق أن أوضحنا بشأن التعليم، وهي خاصة بالمنح الدراسية والبعثات، ذلك أن الندوة تتكفل لمعظم

طـلابها بالمسكـن والمأكـل والملبس (حسـب إمكاناتها). كذلك تقوم الندوة بإرسال بعض خـريجيها إلى جـامعــات خـارج الهند، وقـد تخرج عدد كبير منهم مـن مختلف الجامعات العـربية والإسلامية، ولا زال هناك عدد آخر

وردا على سؤالـك حول مؤسســات الندوة فإنها كثيرة ومتنوعة، منها أكاديميات علمية وأدبيـة أسسهــا أبنـاء هـذه النــدوة (مـن خريجيها) مثل دار المصنفين (بـأعظم جره)، وهي مجمــع إسلامي علمـي، بلغت مؤلفـاته



سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي في إحدى محاضراته للطلبة وإلى جواره فضيلة الشيخ محمد الرابع الندوي.

يـواصـل دراستـه في جامعــات السعـوديـة ومصر والمغرب وسـوريا وليبيــا، وكذلــك في بريطانيا والولايات المتحدة.

وبالإضــافة إلى مـا تقدم هنــالك عـدد من الطلبة الـوافدين مـن خارج الهنـد، من دول مثل تـايلاند والفلبين ومـاليزيا وغيرهـا من دول شـــرق آسيــا وأفـريقيــا، يـواصلـون دراستهم المجانية الداخلية بدار العلوم ندوة العلماء.

حـوالي مائة كتـاب.. وقد أســس هذا المجمــع الشيـخ شبلى النعماني بمساعـدة تلميذيــه: العــلامة السيـد سليمان الندوي، والأستــاذ مسعود علي الندوي (رحمهم الله).

المجمع الإسلامي العلمي

وهنــاك أيضاً المجمــع الإســلامي العلمــي بلكنــو، الــذي يترأسه سماحـة الشيــخ أبـو الحسن النــدوي منذ تــأسيسه، وهــو خـاص



بعض الطالبات في احدى المدارس التابعة لندوة العلماء.

بالدراسات الإسلامية والبحوث والنشر، وأكثر أعضائه من أبناء الندوة وبعض مسؤوليها.. أما أكاديمية البحوث الشرعية فإنها تتكون من كبار علماء الهند المسلمين لدراسة المسائل الفقهية ومعالجة المشاكل الحديثة في ضوء الشريعة الإسلامية.. كما أن هنالك دار الإفتاء واسمها ينبىء عن رسالتها.

وبالإضافة إلى ما سبق توجد أكثر من مائة مدرسة وكلية ومؤسسة تعليمية في مختلف أنحاء الهند أسسها ندويون، بعضها يتبع الندوة مباشرة وبعضها ينسَب إليها ويلتزم بتدريس مناهجها.

ومن مؤسسات الندوة مصلحة التعمير والترقي وهي تضم قسما للنشر والتأليف وقسماً لإخراج الكتب والمطبوعات وتتبعها مطبعة تجارية تهتم أيضاً بالكتب المدرسية ومناهج التعليم، كذلك تتبعها مكتبة تجارية، ومن إصداراتها صحيفة «تعمير حياة» باللغة الأوردية وهي نصف شهرية، هذا بالإضافة إلى مجلة البعث الإسلامي وصحيفة الرائد اللتين تصدرهما الندوة باللغة العربية.

مائة ألف كتاب ومخطوط

وآخر ما نذكره في نهاية لقائنا بالشيخ محمد الرابع الندوي عن ندوة العلماء ومؤسساتها، تلك المكتبة العامة، التي تحمل

اسم «مكتبة شبلى النعماني» والتي تضم أكثر من مائة ألف كتاب ومخطوطة تمثل ثروة علمية إسلامية، تزود الطلبة والباحثين بمختلف ألوان العلم والمعرفة.

ونترك ندوة العلماء، أحد صروح العلم أو احدى قلاع التراث الإسلامي بالهند، التي تنتشر في ولاياتها عشرات، بل مئات المدارس والكليات والجامعات الأهلية الإسلامية، التي تبقى جذوة القيم الإسلامية وضاءة بين أرجاء شبه القارة المضطربة.

تاجر فقهه الله فكتب تفسيراً باللغة الأوردية!!

وفي مدينة لكنو، جمعتنا مصادفة طيبة برجل لم تكن له أية صلة بالعلم، فقد كانت كل اهتماماته ونشاطاته محصورة في دائرة عمله التجاري، لكنْ.. شاءت إرادة الله له الخير ففقهه الله في دينه ليفرغ نفسه للدعوة إلى الله، وأنشأ مسجداً اتخذ فيه مجلساً لقراءة وتفسير القرآن الكريم.

هذا الرجل هو الداعية الشيخ عبد الكريم باريكو، وهو من مواليد عام ١٩٢٨، يقول: إنه بدأ في إلقاء دروسه القرآنية بانتظام منذ حوالي خمسين عاماً في بلدته بمدينة ناجفور بولاية مهرا شترا بين دلهي وبومباى، وقد أتم تفسير القرآن الكريم في مجلسه ست مرات وفي المرة السابعة قام سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي بافتتاحه في ٢٨/٥/١٩٩٥، وقد قام بطبع وتوزيع تفسيره للقرآن الكريم باللغة الأوردية، وقال لي أنه سيقوم قريباً بطبع تفسيرين آخرين له باللغتين الهندية والمراتهية، بالإضافة إلى ما يصدره من نشرات توجيهية للمسلمين في المناسبات الدينية.. وللشيخ عبد الكريم أربعة أبناء وخمس بنات، نسأل الله أن يحفظهم له وأن يبارك له في ذريته.



فضيلة الشيخ عبد الكريم باريكو.. صاحب أحدث تفسير للقرآن الكريم باللغة الأوردية، وناشط كبير في الدعوة الإسلامية بالهند.

كتاب جديد عن الأعشاب في القرآن يؤلفه باحث هندي بالإنجليزية

كان من بين اللقاءات (غير المبرمجة)، التي أجريتها في مدينة لكنو بشمال الهند، لقاء مع باحث هندي يعمل بالمعهد الوطني لأبحاث النباتات، وكان يقوم بزيارة عمل لسماحة الشيخ أبو الحسن الندوي ليوجه إليه الدعوة لافتتاح حفل إصدار كتاب باللغة

الانجليزية باسم (Plants Of The Quran) الأعشاب في القرآن الكريم، الذي ألفه الباحث، وقد أجرينا معه هذا اللقاء.

○ الدكتور محمد اقتدار حسين فاروقي، من مواليد عام ١٩٧٣ بمدينة بارانكي القريبة من مدينة لكنو، وهو حاصل على الماجستير في الكيمياء والدكتوراه في التخصص نفسه، وهو يعمل في المعهد الوطني لأبحاث النباتات (حكومي) في وظيفة نائب المدير بمدينة لكنو..



الدكتور محمد فاروقي مؤلف كتاب النباتات في القرآن الكريم

ويقول الدكتور فاروقي: إن له أحد عشر مؤلفاً في النباتات والخواص الكيميائية لها، كما نشر له أكثر من ١٥٠ مقالاً وبحثاً في الكيمياء.

○ سألنا المؤلف: ما الذي دفعك لتأليف هذا الكتاب؟.

- أجاب قائلاً: أثناء عملي قمت بدراسة نباتات بابل، وإذا بي اكتشف أن معظمها مذكور في القرآن الكريم، ورأيت أن من حق المسلم أن يعرف ما يوجد في القرآن الكريم من هذه النباتات وكان هدفي خدمة العلوم والمعارف الإنسانية، وتصحيح بعض المفاهيم الخاطئة عن هذه النباتات، فمثلاً حينما ذكر الله سبحانه وتعالى الكافور في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا﴾، وهذا يعني أن للكافور مذاقاً طيباً، ووقع المسلمون في خطأ كبير حينما ظنوا أن شجرة الكافور التي تعرف الآن بهذا الإسم، هي نفسها التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، لأنها لا طعم لها ولا رائحة، وبالبحث تبين أنه حينما نزل القرآن الكريم لم يكن هناك شيء اسمه الكافور بالصورة المعروفة الآن، وإنما كان في ماليزيا وأندونيسيا نبات يشبه بعض العطور المعروفة الآن في الهند باسم «زهرة الحنة»، إذاً.. كان الكافور الذي قصده القرآن الكريم، هو ذاك الكافور الجاوى الذي يعصر في أزهار الحنة، ويتميز بطعم ورائحة جيدين، وكان سيدنا سليمان (عليه السلام) معجباً كثيراً بأزهار الحنّة، وقد ذكر هذا في (التوراة)، فترجمة الكافور وتفسيره في القرآن الكريم على أنه شجرة الكافور المعروفة بهذا الاسم حالياً وهي عديمة الطعم والرائحة تفسير خاطىء، أما تفسيره كما ذكرنا فإنه يناسب المعنى الذي هدف إليه القرآن الكريم.

وقد جاء في صحيح البخاري أن «كافور وقافور» هو بالعربية شيء واحد. كما تأكد أنه عند نزول القرآن الكريم لم يكن الكافور الحالي موجوداً أو معروفاً بين الناس وإنما

ظهر حينما انتشر الإسلام في بلاد فارس، وهناك وجد المسلمون ما يشبه الملح وكان مأخوذاً من جذع شجرة، ووضعوه في الطعام على أنه ملح، وكان ينزل على الشجر كالصمغ، ولما اكتشفوا أنه ليس ملحاً عكف الأطباء المسلمون على تحليله واستخراج خواصه ثم سموه بالاسم الفارسي له (كاربور) ومع تداول الاسم بين العرب تحول من كاربور إلى كافور هذا ما يقوله الدكتور فاروقي عن بعض أبحاثه التي تناولها في كتابه هذا (Plants Of The Quran).

جامعة المؤمنات الإسلامية بشمال الهند.. محاولة لتربية الأم الصالحة والمسلمة المثقفة..

ولا نزال في مدينة لكنو، صحبة الشيخ محمد رضوان الندوي، المدرس بجامعة ندوة العلماء، وخريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وهو من أسرة مسلمة، من رواد صناعة التطريز والوشي، ومنذ إتمام تعليمه وهو يحلم بتنفيذ مشروع تعليمي يرتقي بالمرأة المسلمة، ويعدها للتصدي للغزو الفكري الذي يستهدف انتزاع المرأة من حياة العفة والفضيلة إلى الإباحية والسفور والانحلال، وقد هداه تفكيره إلى إنشاء جامعة المؤمنات الإسلامية، وشجعه والده على المضي في هذا المشروع الجليل، وتعاونت الأسرة كلها، فقام ببيع بعض العقارات والأراضي التي كانت مملوكة للأسرة واشترى مساحة كبيرة من الأرض في منطقة زراعية بإحدى ضواحي مدينة لكنو حيث أرسى قواعد هذه الجامعة.



اقمشة وملابس مطرزة يجري اعدادها لبعض الدول العربية والخليجية.

لم يكن إنجاز مثل هذا المشروع سهلاً، ولكن التشجيع الذي لقيه الشيخ محمد رضوان الندوي من سماحة الشيخ أبو الحسن الندوي ومن أسرة وعلماء الندوة، كان له أكبر الأثر في دفع مسيرة البناء، وامتدت يد الخير المعطاءة من داخل الهند وخارجها، فنشطت عجلة البناء، واكتمل البناء الرئيسي الذي ضم فصول الدراسة والإدارة.. ثم تبعته مباني سكن الطالبات، ومن إحدى الدول الخليجية جاء وفد لمعاينة هذا المشروع التربوي الإسلامي، وكان ثمرة



مع مؤسس جامعة المؤمنات الشيخ محمد رضوان الندوي ووالده

الزيارة بناء مسجد الجامعة على حساب أحد المحسنين الخيرين من أبناء دولة الكويت، ويجري الآن العمل على قدم وساق في بناء مجموعة من مباني المرافق والخدمات، تضم مطبخاً كبيراً وقاعة للطعام تتسع لخمسمائة طالبة وغُرفا للمدرسات والمشرفات.

صلاح الأمة يبدأ من الأسرة الأم المثقفة المؤمنة هي صانعة الرجال العظماء

○ وفي لقائنا بالشيخ محمد رضوان الندوى سألناه عن الدافع الذي حفزه للتفكير في إنشاء هذه الجامعة فقال:

– إن العالم يواجه هجمة إلحادية إباحية شرسة، تستهدف القضاء على القيم والمثل والتقاليد السلوكية الإنسانية، وقيم الديانات السماوية التي أخرجت البشرية من ظلام الجهل وعبادة الفرد إلى نور العلم وعبادة الله الواحد، وخلال العقود الزمنية القليلة التي عاصرناها، انحدرت المجتمعات البشرية إلى أسوأ درجات الانحطاط والتفسخ، واستدرجت المرأة، التي تقوم عليها حصانة الأسرة، إلى السفور والتبرج ومخالطة المفسدين باسم الحرية والمدنية والتطور، ودفع الكثير من أبناء المجتمع ثمن هذا التحول، الذي جرَّ البشرية إلى الخراب والدمار، وقد لاحظنا أن هذه الهجمة تكثِّف نشاطها الآن ضد نساء المسلمين لتقويض دعائم الأسرة المسلمة.

ولما كانت العقيدة الإسلامية تكرِّم المرأة وتعطيها من الحقوق ما لم تحصل عليه من أية ملة أو نحلة أخرى، انطلاقاً من قول الرسول (ﷺ): «إنما النساء شقائق الرجال»، فإنها لم تفرق بين الرجل والمرأة في حق التعليم وغيره من الحقوق والمسؤوليات، وقد رأيت أن خير ما نسهم به في التصدي للغزو الفكري ومحاولات تضليل النساء، هو تكثيف الجهود الرامية إلى تعليم المرأة المسلمة وتثقيفها ثقافة دينية.. تزيدها إيماناً وقوة وإصراراً على التصدي لموجات السفور والتبرج والانحلال وتمكنها من تربية أبنائها



طالبات جامعة المؤمنات خلال انصرافهن بعد يوم دراسي



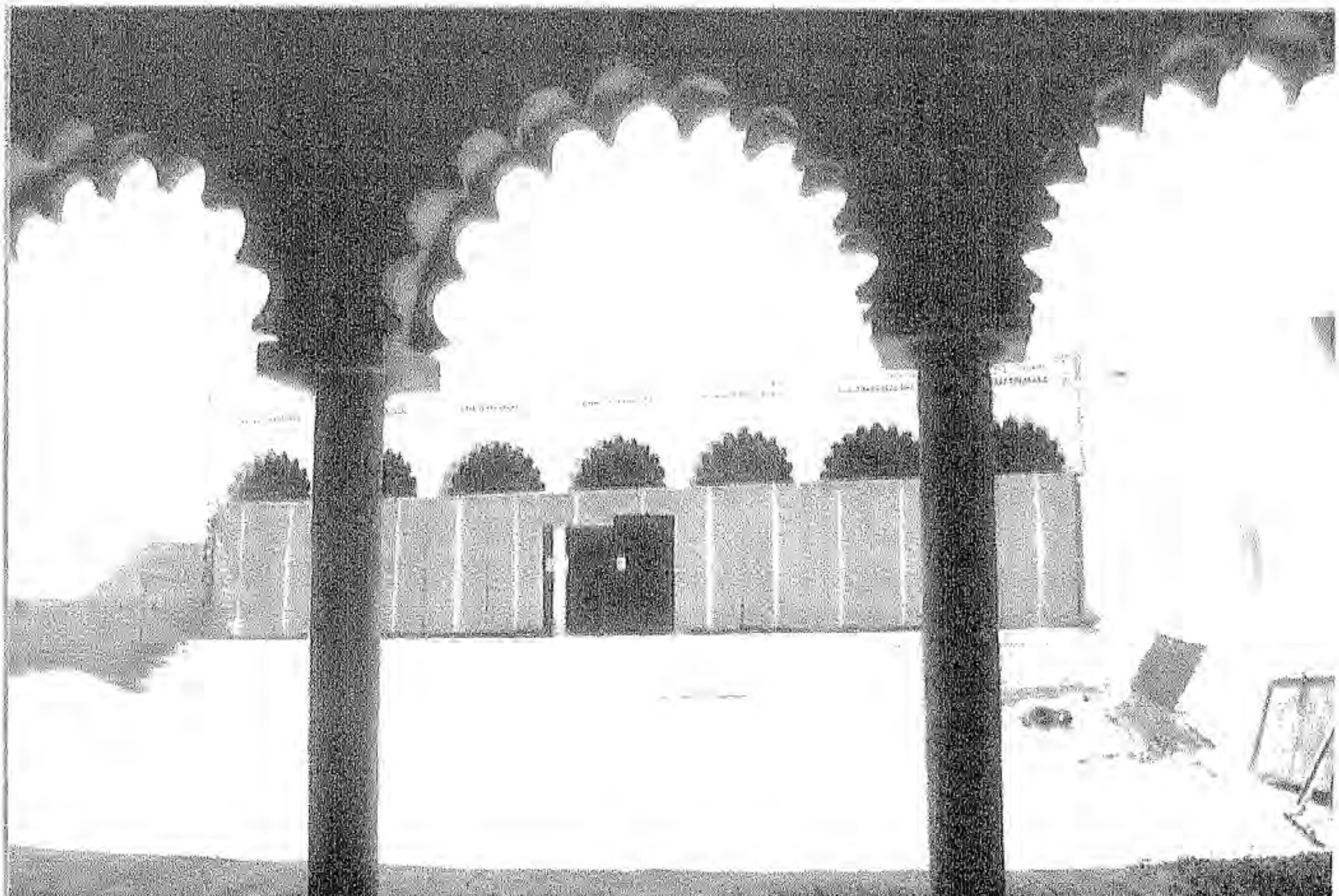
بعض طالبات جامعة المؤمنات خلال أحد الدروس

وبناتها تربية صالحة تعينهم على إصلاح أوطانهم وفكرهم وعقيدتهم.. لهذا قمنا بالتفكير في إنشاء هذه الجامعة.

معلمون.. بلا أجر

○ مثل هذه الجامعة تحتاج إلى كفاءات أكاديمية متخصصة في علوم الدين والشريعة الإسلامية والقرآن الكريم.. فهل هذه الكفاءات متوفرة لديكم؟.

- أحب أولاً أن أنوّه هنا إلى حقيقة قد يجهلها كثيرون عن المسيرة التعليمية بين مسلمي الهند، وهي أن هذه المسيرة الإيجابية التي مضت عليها عدة قرون، منذ دخل الإسلام إلى هذه البلاد، تقوم على الجهود التطوعية، فالطلبة والطالبات يتعلمون بالمجان، ويأتي تمويل تعليمهم من المحسنين والخيّرين من داخل الهند وخارجها، أما المعلمون فإن معظمهم من خريجي المدارس الإسلامية، ومنهم عدد من كبار العلماء والأكاديميين المتقاعدين، فبعضهم لا يحصل على أي أجر، والبعض الآخر يرضى بالقليل من الأجر الذي تحدده المؤسسات التعليمية الإسلامية، في حدود دخولها.. ونأتي إلى الاجابة عن سؤالك فأقول، إننا وبتوجيه من سماحة الشيخ أبو الحسن قمنا بتشكيل مجلس استشاري للجامعة من عشرين عضواً، من بينهم ست سيدات، وهم جميعاً من العلماء والمتخصصين وبعضهم يعملون ويقيمون في الدول الخليجية، بالإضافة إلى مستشار مالي ومستشارين إنشائيين.. كذلك هناك جهاز إداري يتكون من ستة أعضاء من بينهم رئيس الجامعة، ومديرتها السيدة/



مسجد جامعة المؤمنات، وقد بني على نفقة أحد المحسنين الكويتيين.

سعيدة رضوان الندوي ومساعدتها السيدة / فائزة محمد عرفان، وكذلك المستشار التعليمي الشيخ عبدالله محمد الحسني الندوي، بالإضافة إلى عدد من المدرسين والمدرسات المتخصصات.

○ كم عدد الطالبات اللائي يدرسن الآن في الجامعة؟.

– الإقبال على الجامعة كبير، ولكننا لا نستطيع قبول أكثر من ٢٦٠ طالبة إلى أن تتم مباني وإنشاءات الجامعة، وقد أمكن تدبير حافلة قديمة (مؤقتة) لنقل الطالبات اللاتي يقمن بالمدينة، إلى أن ييسر الله لنا تدبير حافلتين بحالة جيدة، لقبول الطالبات اللاتي لم نستطع الموافقة على قبولهن حتى الآن.

○ ومتى يتم استكمال منشآت الجامعة في تقديركم؟.

– متى هذه علمها عند الله، لأن المسألة تخضع لعوامل ليست بأيدينا، ذلك أن مخطط الجامعة مخطط طموح، يتضمن إنشاء مبنى لطلبة الشريعة تبلغ تكاليفه حوالي خمسة ملايين وثمانمائة ألف روبية (هندية)، وسكن الطالبات تقدر تكلفته بحوالي ستة ملايين ونصف المليون روبية، وصالة الطعام والمطبخ الجاري العمل بهما تبلغ تكلفتهما حوالي مليون روبية، كما أن هناك مخططاً لمبنى من ثلاثة طوابق يضم قاعات المحاضرات والمكتبة العامة ودار الضيافة، تبلغ تكلفتها أربعة ملايين روبية، وهكذا... الخ.

○ هل تحصلون على تبرعات من داخل الهند؟.

– المسلمون في الهند منذ قرون، لا يبخلون على التعليم الديني مهما كان فقرهم وقلة



الملابس المزركشة المطرزة بالفضة والذهب وغيرها من المطرزات النسائية التي اشتهر المسلمون في مدينة لكنو بالتخصص في صناعتها.

دخولهم، وهذا هو سر بقاء قيم الإسلام في مجتمعهم، وكثيراً ما ترى عند زيارتك لإحدى المدارس منشآت تحمل أسماء محسنين من داخل الهند ومن خارجها، فمثلاً تجد سكناً للطلبة مكتوب عليه (رواق فلان..) أو مكتبة عامة مكتوب عليها (مكتبة فلان) نسبة لمن تبرع وتكفل بإنشائها لتكون صدقة جارية له، وهكذا... مئات من المدارس والجامعات والكليات الإسلامية في مختلف ولايات الهند، تنطق بسخاء أبناء هذه الأمة ومسارعتهم للخير حباً في دينهم، تقرباً إلى الله وابتغاء مرضاته.

ونكتفي بهذا القدر من جولتنا في مدينة لكنو، إلى لقاء آخر إن شاء الله مع حلقة أخرى نستكمل فيها مشاهداتنا ولقاءاتنا مع أبناء أكبر جالية إسلامية في عالمنا المعاصر.. مع المسلمين في الهند.

في الإدمان هلاك الإنسان

شعر: الأستاذ عبد الغني ناجي

النَّاسُ في نِعَمِ الإلَهِ مُتَّعُونْ
وأجَلُّ نعمةِ رَبِّنا عقلٌ فطينْ
فالعقلُ جوهرةٌ وبفكرِها
قدْ أخضعَ الإنسانُ ما أعْيَا السِّنينْ
وبفكرِهِ عرفَ الإلَهَ لأنَّهُ
قد أبصرَ الآثارَ تهدي الحائرينْ
وبعقلِهِ كشفَ المخبَّأَ سِرُّهُ
وسَعَى يُحَقِّقُ ما رجاهُ الأوّلونْ
وبعقلِهِ رَضَعَ السَّعَادةَ هانئاً
وبعقلِهِ يخطو إلى شَطٍّ امينْ
وبعقلِهِ أَمِنَ العِثارَ وشَرَّهُ
كيفَ العِثارُ وعقلُهُ حِصْنٌ حصينْ؟

* * *

مكَثَ الحياةَ بعقلِهِ مُتَمتِّعاً
يَقِظَ الفؤادِ، وعندهُ نورُ اليقينْ
حتَّى أتاهُ ضَلالُهُ وفَسَادُهُ
فأمَاتَهُ سُمٌّ يُسَمَّى «هيرُوينْ»

يـــا ويحه، يـــا حسرتـــاهُ لفقـــدهِ
وهَـــجَ الـــذكـــاء بشَمّـــهِ هـــذا اللعينْ
لا وَعْـــيَ، لا إدراكَ بَعـــدَ فَسَـــادِهِ
فـالـوعـيُ نـورٌ قـد خبـا «بـالكـوكيين»
وتـــدهـــوَرتْ كـــلُّ القـــوى في لمحـــةٍ
شَبَـحٌ تـراهُ بهيكـلٍ يُـدمـي العيـونْ
حتـــــى اللســـــانُ إذا أَرادَ تكلُّماً
مـا عَـادَ يُفصِـحُ في الكـلام ولا يُبينْ

***

قـــد يعجـــبُ الـــراؤونَ عنـــد لِقـــائِهِ
يتســـاءلـــونَ، وحيرةٌ تعلـــو الجبينْ
هـــل ذلـــك الحيُّ الـــذي هـــو ميِّـــتٌ
هـــو مَـــن رأتْـــهُ عيـــونُنـــا لا يَسْتكينْ؟!
قـــد كـــانَ يلبَـــسُ صحـــةً مـــوفـــورةً
صُلْبـــاً قـــويَّـــا، لا يخورُ ولا يهُونْ
الآن صـــار كـــأنـــه عُـــودُ الثِّقـــا
بِ نحـــافـــةً، تكسُـــوهُ أثـــوابُ المنـــونْ
ليـــتَ الأُلَى زلـــَّتْ بهـــم أقـــدامُهـــم
يَنْـأَوْنَ عـــن رِجْـــسٍ أمـــاتَ المُدْمنـــينْ
فـــاللهُ حـــرَّمَ مـــا يُغَطّـــي عَقْلَنَـــا
لِنَظـــلَّ في وَعْـــي الهـــُدَاةِ المؤْمنـــينْ

العز بن عبد السلام

سلطان العلماء

للأستاذ
مصطفى أحمد خليفة

هو الشيخ الإمام أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي قاسم السلمي، ولد بدمشق عام ٥٧٧هـ في أسرة فقيرة، وقد أغرم بالعلم منذ صغره وتتلمذ على أيدي الكثيرين من علماء دمشق منهم: فخر الدين بن عساكر، وسيف الدين الأموي، والحافظ أبو محمد القاسم، وشيخ الشيوخ عبد اللطيف بن اسماعيل بن أبي سعد البغدادي، وعمر بن محمد بن طبرزد، والقاضي عبد الصمد بن محمد الحرستاني.. وغيرهم(١).

قيل إنه سمع هاتفاً ملائكيًّا يقول له: يا ابن عبد السلام أتريد العلم أم العمل؟. فقال أريد العلم لأنه يهدي إلى العمل. وقد فتح الله عليه وأنار له بصيرته وألهمه العلم الكثير فحفظ منه الكثير في زمن بسيط، وأقبل على العبادة، حتى صار أعبد أهل زمانه، وصار يعلن كلمة الحق منذ نشأته حتى وفاته لا يخشى في الله لومة لائم.

نبغ العز بن عبد السلام في علوم الفقه والتفسير والحديث والأصول والتوحيد والعقيدة، وتولى مناصب عديدة، خدمة للعلم ورغبة في النفع العام وتولى إمامة الجامع الأموي بدمشق، قال عنه شهاب الدين أبو شامة وهو أحد تلاميذه.. وكان العز بن عبد السلام أحق الناس بالخطابة والإمامة(٢).

يقول عنه ابن السبكي «طبقات الشافعية ٢٠٩،٨»: هو شيخ الإسلام والمسلمين، وواحد من الأئمة الأعلام، سلطان العلماء، إمام عصره بلا مدافعة، القائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في زمانه، المطلع على حقائق الشريعة وغوامضها، العارف بمقاصدها..

خروجه من دمشق إلى مصر

كان سلطان دمشق الملك إسماعيل الأيوبي المعروف بأبي حبيش قد إستعان بالفرنجة

الصليبيين على منازعيه وخصومه من الأيوبيين، فأبرم معاهدة صداقة وحماية في مقابل أن يمنحهم مدينتي الشقيف وصيدا كما يمنحهم حرية التنقل في دمشق، ووقف له العز بن عبد السلام وقام بتحريض الناس على هذا السلطان الذي يتعاون مع الصليبيين ضد المسلمين، وكاد الناس أن ينقلبوا على السلطان فغضب عليه وأودعه السجن ولكن أمام الضغط الذي تعرض له السلطان إسماعيل أمر بالإفراج عنه بعد فترة وجيزة من السجن.

ورأى الإمام ابن عبد السلام أن يصطحب أهله ويسافر إلى مصر وكان ذلك في عام ٦٢٩هـ وكان عمره قد تجاوز الثانية والستين أي لم يمكث في مصر سوى واحد وعشرين عاماً حتى وفاته.

بين هذا الإمام العظيم وبين الصدوع بالحق والرجوع إليه إذا أفتى بفتوى، ثم ظهر له عدم صوابها، تمسك بأهداب التقوى، وخشية لله ورهبته من جلاله».

وعلى الرغم من أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يقدر هذا العالم ويبجله إلا أن العز ابن عبد السلام كان يغلظ معه الحديث ولا يخشى غضبه ولا يهاب سلطانه فقد حكى ابن السبكي في طبقاته «طبقات الشافعية ٨/٢١١» أنه في يوم عيد وأبهة، دخل العز بن عبد السلام على السلطان في يوم عيد بالقلعة فشاهد العسكر مصطفين بين يديه، ومجلس المملكة حافل برجال السلطنة وخرج السلطان على القوم في زينته وأخذ الأمراء يقبلون الأرض بين يديه، فالتفت إليه العز ابن عبد السلام وناداه:

■ العز بن عبد السلام

الشيخ الذي باع أمراء المماليك في مزاد علني

استقبال حافل

وعندما وصل إلى مصر إستقبلته مصر استقبالاً حافلاً حيث كانت شهرته قد طبقت الآفاق وبمجرد وصوله ولاه السلطان نجم الدين الأيوبي الخطابة بجامع عمرو بن العاص والقضاء وعينه محاضراً بالمدرسة الصالحية بجوار القلعة. «موجودة حتى الآن» وكان يدرّس الفقه الشافعي والتفسير والحديث.

يقول عنه ابن السبكي «طبقات الشافعية ٨/٢١٤» - «ولكن هذا المقام العلمي الرفيع، وتلك المكانة السامية في العلم، لم تكن لتحول

«يا أيوب ما حجتك عند الله إذا قال لك: ألم أبوّىء لك ملك مصر. ثم تبيح الخمور. فقال: هل جرى هذا، فقال نعم.. الحانة الفلانية تباع فيها الخمور وغيرها من المنكرات وأنت تتقلب في نعمة المملكة» وكان الشيخ يناديه بهذا بأعلى صوته والعساكر واقفون.

فقال السلطان: «هذا ما أنا عملته، هذا من زمان أبي». فقال الشيخ: إذن أنت من الذين يقولون ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾. فرسم السلطان بإبطال هذه الحانة.

وقيل إن أحد تلاميذه. قال له بعد أن شاعت هذه الحادثة. إسمح لي أيها الأستاذ

■ سلطان العلماء

قوة في الحق.. صلابة في العقيدة.. يقين بالله

الفاضل، إنك استغلظت الحديث مع السلطان. فقال له الشيخ: يا بني.. رأيته في تلك العظمة، فأردت أن أهينه لئلا تكبر نفسه فتؤذيه.. فقال له تلميذه: يا سيدي أما خفته.. قال له العز: والله يا بني إني استحضرت عظمة الله وهيبته، فصار السلطان في عيني كأنه قط».

بيع المماليك

عندما وصل العز بن عبد السلام إلى مصر وولاه السلطان نجم الدين أيوب رئاسة القضاء بمصر، رأى العز بن عبد السلام هؤلاء المماليك في أوج قوتهم، ويلقبون بالأمراء وكان لهم نفوذ سياسي ويديرون الحكم من وراء عرش الخلافة.

وقال المؤرخون إن الملك الصالح أسرف في شراء المماليك الأتراك وأسكنهم في قلعة الروضة، فزاد نفوذهم وتسلطوا على الشعب المصري وكثر منهم الأذى حتى قال في ذلك الشاعر:

الصالح المرتضى أيوب أكثر من
تُرْكٍ بدولته يا شر مجلوب
قد أخذ الله أيوبا بفعلته
فالناس كلهم في صبر أيوب

وبعد أن ثبت للعز بن عبد السلام أن هؤلاء الأمراء لم يعتقوا وأنهم بذلك من حق بيت المال، وأعلن فتوته بأن هؤلاء الأمراء لا يزال الرق مصاحبهم، وينبغي أن يشهر بيعهم ويحصل ثمنهم ويضم إلى بيت المال.

وقال لا تصح تصرفاتهم من بيع وشراء وعقود نكاح وغير ذلك لأنهم فاقدو الأهلية. الأمر الذي عطل مصالحهم وأرق حياتهم، وكان من جملة المماليك الأتراك نائب المملكة الذي استشاط غضباً، وملأ الحنق نفسه وأقسم على قتل العز بن عبد السلام وعندما وصل إلى بيته ورفع سيفه في وجه العز بن عبد ا لسلام الذي لم يعبأ بشيء حدثت المعجزة حيث يبست اليد اليمنى وسقط السيف من يد النائب وأخذ يستعطف الشيخ لكي يغفر له ويدعو له بالشفاء.. وقد كان.

وأصر العز على الفتوى التي تتعلق بوجوب بيع الأمراء الأتراك رغم معارضة السلطان نجم الدين، إلا أن السلطان وافق أخيراً لكسب الرأي العام وبالفعل تم بيع المماليك في مزاد كبير وتولى العز بن عبدالسلام بيعهم الواحد بعد الواحد وضم ثمنهم إلى بيت مال المسلمين.

تم ذلك والأمراء المماليك في أوج عزهم وسلطانهم وكان العز بن عبد السلام شيخاً كبيراً ليس معه شيء سوى يقينه بالله.

مواقف رائعة

ومن مواقفه الرائعة مع الظاهر بيبرس أنه حينما أراد أن يأخذ البيعة لنفسه لحكم السلطنة جمع الأمراء والقضاة والأعيان، وكادت البيعة تنعقد لولا أن قام الشيخ العز ابن عبد السلام وقال لبيبرس: كيف أبايعك وأنا أعلم أنك مملوك للبندقدار.

وصعق بيبرس من قول الشيخ وجاء بشهود شهدوا بخروجه من الرق وأنه حر فبايعه العز وأصبح ملكاً. قيل إن الشيخ لما توفي، ومرت جنازته تحت القلعة وشاهد الملك بيبرس المشيعين قال لبعض خواصه «اليوم استقر أمري في ملك مصر، لأن هذا الشيخ لو كان يقول للناس أخرجوا عليه لانتزع الملك مني». ونزل الظاهر بيبرس من القلعة واشترك في تشييع الجنازة مع الشعب المصري وقيل بأنه حمله حتى مثواه الأخير.

ويوم وفاته طلب من أبنائه أن يصطحبوه إلى المدرسة الصالحية التي إعتاد التدريس بها، وشق ذلك على أولاده لأنه كان شديد المرض ولكنه أصر على رأيه كعادته ولبّوا له طلبه وفاضت روحه في المدرسة الصالحية وهو يفسر قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض.. إلخ الآية».

وشيعته مصر رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً وأمراء، وأقيمت له في دمشق جنازة ضخمة وصلوا عليه صلاة الغائب في الجامع الأموي بدمشق وكان ذلك في يوم ٢٥ جمادى الأولى عام ٦٦٠هـ عام ١٠٩٨م.

■ الهوامش:

١ – ابن السبكي – طبقات الشافعية.

○ بعض المصادر تذكر نسبه بأنه عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسين بن مهذب السلمي، وتذكر أن تلميذه ابن دقيق العيد القشيري هو الذي لقبه بسلطان العلماء.

٢ – محمود شلبي، حياة سلطان العلماء – دار الجيل لبنان عام ١٩٩١م.

– الداودي، طبقات المفسرين.

– البداية والنهاية.

قطوف

الاخوان ثلاثة..

■ قال لقمان الحكيم:

الإخوان ثلاثة: مخالب ومحاسب ومراغب..

فالمخالب: الذي ينال من معروفك ولا يكافئك.

والمحاسب: الذي ينيلك بقدر ما يصيب منك.

والمراغب: الذي يرغب في مواصلتك بغير طمع.

وقال المأمون: الإخوان ثلاثة:

أخ كالغذاء لا يحتاج إليه كل وقت.

وأخ كالدواء يحتاج إليه أحياناً.

وأخ كالداء لا يحتاج إليه أبداً.

وصية...

● قال أحد ملوك الفرس لابنه:

عليك بالمشاورة، فإنك واحد من الرجال..

وشاور من يفصح عن المُسْتَكِن، ويوضح المُشْكِل..

ولا يدع لك في عدوك فرصة إلاَّ انتهزها، ولا لعدوك فيك فرصة إلاَّ أحصنها..

ولا يمنعك حسن رأيك في ظنك، ولا علو مكانك في نفسك أن تجمع إلى رأيك رأي غيرك.

فإن وافق رَأْيَكَ رأي غيرك ازْدَادَ رَأْيُكَ عندك شدَّة..

وإن خالف رَأْيَكَ، عرضته على نظرك وفهمك.

فإن كان غالباً على ما رأيت، قبلت، وإن كان متضعاً استغنيت.

ضوابط الاستهلاك في الاقتصاد الإسلامي

للأستاذ
محمد عودة العمايرة

مصطلح الاستهلاك يقصد به التناول الإنساني للمنتجات لإشباع الحاجة، والاقتصاد الوضعي جعل الاستهلاك في حد ذاته هو الغاية النهائية لكل جهود الإنسان الاقتصادية وغير الاقتصادية، فهو ينتج ليستهلك، ويستهلك لمجرد لذة ومتعة الاستهلاك، وليست هناك حدود لما يستهلكه الفرد سوى حدود القدرة على الاستهلاك.

أما الإسلام فينظر للاستهلاك على أنه أمر فطري للإنسان ومن ثم فهو ضروري له، لذلك لا يمنعه الإسلام بل يحث عليه ويرغب فيه، لأن عمارة الأرض التي بعث الله تعالى الإنسان لها لا تتم إلا بالاستهلاك وهو يحث الإنسان على تناول تلك المنتجات ويثيبه عليها إضافة للذة التي يحصل عليها.

والإسلام يحدد ثلاث مناطق ممكنة للاستهلاك، يمنع الاستهلاك في اثنتين ويبيحه في واحدة، فهناك منطقة البخل والتقتير وهي تبدأ من سد الرمق إلى ما دون حد الكفاية ولا يجوز للمستهلك أن يقف باستهلاكه عندها طالما كان قادراً.

والمنطقة الثانية هي الإسراف وهي تبدأ بعد إتمام مستوى الكفاية إلى ما لا نهاية ولا يجوز للمستهلك أن يعيش بداخلها.

وهناك المنطقة الثالثة وهي منطقة الكفاية وتقع بين المنطقتين السابقتين وهي التي يباح للمسلم العيش بداخلها.

عناصر نظرية سلوك المستهلك

١ - الحرية الاقتصادية: الإسلام وإن كان يدعم حرية الفرد الشخصية في الاختيار والتفاوض وتحديد عائداته إلا انه لا يقر الحرية المطلقة «سيادة المستهلك» ويدعم مبدأ الحرية الموجهة ويقصد بالموجهة هنا تلك الحرية المستنيرة بتعاليم الدين الحنيف والتي تهدف إلى إيجاد الوئام والانسجام بين مصلحة الفرد والمجتمع.

٢ - تكبير المنفعة أو الإشباع: مع أن الإسلام لا يثبط الهمم في السعي والكسب وتحقيق مستويات معيشية جيدة بل يعد ذلك فضيلة وصفة من صفات المؤمنين إلا أن تحقيق هذه الغايات يجب أن يكون متسقاً قلباً وقالباً مع المفاهيم الإسلامية.

وفي الإسلام لا يمكن قبول حتمية تطابق المنفعة الحقيقية «السعادة» مع دالة التفضيل، فالإسلام يؤكد إمكانية اختلافها

حيث يقول تعالى: ﴿وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾ – «البقرة/٢١٦».

إضافة لذلك فإن مفهوم المنفعة في الإسلام يختلف عنه في مفهوم الاقتصاد الوضعي فبينما هي متعة مادية نتيجة لإشباع حاجة أو رغبة مادية نجد دالة المنفعة بالنسبة للمسلم تحوي متغيراً إضافياً أكثر قوة ونفوذاً وهذا المتغير هو الثواب «أو العقاب» في الحياة الآخرة.

لذا فلا غرابة أن نجد وجوهاً للإنفاق تبدو غير اقتصادية ولا تولد منفعة فيه.. بينما تولد منفعة عظيمة في المفهوم الإسلامي للمنفعة مثل مساعدة الفقراء والمساكين والجار والجهاد بالمال.

فهي قد لا يكون لها نفع مادي في الحياة الدنيا إنما ثوابها عند الله عظيم، وبالتالي أثرها على دالة المنفعة يكون بالإيجاب، وهذا ينطبق أيضاً على نوع السلع والخدمات وكمية ما يستهلك، إذاً يجب أن تكون السلع والخدمات المطلوبة ضمن المباح وما يحقق مصلحة ومنفعة حقيقية للفرد وكمياتها أيضاً في حدود المباح دون إسراف أو تبذير وهذا يؤثر بلا شك على شكل دالة المنفعة ودالة الرفاه الاقتصادي بالنسبة للمجتمع.

٣ – العقلانية «الرشد»: في دراسة نظرية سلوك المستهلك يفترض أن المستهلك رشيد يعرف حق المعرفة مقدار دخله وما يحتاجه من سلع وخدمات إضافة إلى معرفة الفرد بأنواع السلع ومميزات كل منها بحيث تمكنه هذه المعرفة من شراء ذلك المزيج من السلع الذي يحقق له أقصى إشباع أو منفعة.

وفي الإسلام لا يمكن القول برشد ا لمستهلك المطلق فقد وهب الله سبحانه وتعالى الإنسان الكثير من القدرات والنعم ومن أهمها العقل والبصيرة وإضافة لذلك الإسلام ينورنا ويبين لنا طريق الخير والصلاح ويأمرنا باتباعه وطريق الشر والضلال ويأمرنا باجتنابه.

فالإنسان محدود المعرفة لذلك كانت حاجته شديدة إلى الهداية الربانية التي حملها الرسول ونطقت بها الكتب الربانية كما أن سلوك المستهلك قابل للانحراف تحت تأثير بعض المغريات والمؤثرات بحيث تكون قراراته في كثير من الأحيان غير رشيدة وغير اقتصادية وضارة بمصالح الفرد والجماعة.

ومن هذا المنطلق نجد الإسلام يضع الضوابط والتوجيهات المناسبة ليستمر بها الفرد «المستهلك» في سلوكه وتصرفاته، وما هذه التوجيهات إلا هداية تضاعف من منفعة الفرد وتؤمن مصالحه الحقيقية في الدنيا والآخرة ومتى التزم بهذه التعليمات والتوجيهات اعتبر رشيداً.

فمفهوم الرشد في الإسلام يتم ضمن الإطار الشرعي حيث يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار الجوانب المادية والروحية كما تراعي مصلحة المجتمع.

ضوابط الاستهلاك في الإسلام

١ – ترشيد الاستهلاك:

والاستهلاك هو عملية إشباع الحاجات من سلع وخدمات ولما كانت حاجات الإنسان لا حدود لها وكانت السلع والخدمات بطبيعتها محدودة فقد وجب ترشيد الاستهلاك بحيث لا يتجاوز ما هو متاح فعلا من السلع وإلا اضطر المستهلك إلى الاستدانة بالفائدة واضطرت الدولة إلى الاستيراد من الخارج بأعلى الأسعار وفي كليهما ضرر.

وكذلك يتوقف الاستهلاك على الدخل ولما

ثلاث مناطق ممكنة للاستهلاك في الإسلام

كان الدخل أيضاً محدوداً فقد وجب ترشيد الاستهلاك بحيث يمكن ادخار جزء من الدخل لتحسين مستوى المعيشة أو لمواجهة المستقبل بما يخبئه من حوادث متوقعة وغير متوقعة أو لاستثماره في المشروعات الإنتاجية التي تحقق أرباحاً تزيد الدخل.

ويؤدي ترشيد الاستهلاك علاوة على ما تقدم إلى المحافظة على الأموال من التلف والعدم و إلى الانتفاع بها كاملة دون إسراف أو تقتير و إلى أن يستفيد منها أكبر عدد ممكن من المستهلكين بأنسب الأسعار ولذا يدعو الاقتصاديون إلى ترشيد الاستهلاك وهم في الواقع يرددون دعوة القرآن الكريم إلى الاعتدال وعدم التبذير تنفيذا لقوله تعالى: ﴿ولا تبذر تبذيرا. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا﴾ – «الاسراء / ٢٦، ٢٧». وقوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا﴾ – «الاسراء / ٢٩».

٢ – الانصراف عن الاستهلاك

لأنواع السلع المحرمة كالخنزير والخمور فليس هناك طلب سوقي عليها.

٣ – تحريم حياة الترف:

والترف هو المبالغة في التنعم ويمقت الإسلام الترف ويعده سلوكاً شاذاً وسببا في نزول العذاب وهلاك الأمم ودمارها ويعتبر مثل هذا السلوك دليلا على الابتعاد عن الطريق القويم للسلوك الإسلامي في الاستهلاك ومن أضراره تبديد الموارد الاقتصادية للمجتمع وسوء تخصيصها وتوزيعها والاتجاه نحو الاستهلاك على حساب الادخار والاستثمار وتدهور قيم ومقومات المجتمع.

٤ – تحريم الإسراف والتبذير:

والإسراف هو تجاوز القصد والاعتدال في الإنفاق وهو ما دون الترف، أما التبذير فيعني إنفاق المال وتفريقه إسرافاً في غير ما ينبغي، ويحرم الإسلام الإسراف والتبذير لما ينطوي عليه من تبديد غير واع لموارد الفرد الجماعية والجماعة التي ينبغي الحفاظ عليها والاقتصاد في إنفاقها.

أما السفيه فهو ضد الترشيد وهو الذي يعمل بخلاف أحكام الشرع ويتبع هواه ويتحدد طبقاً لظروف المجتمع.

٥ – الاعتدال في الإنفاق:

ترسم التوجيهات الربانية سلوك المستهلك بحيث يكون متوازناً يحقق الانسجام بين مصالح الفرد والجماعة وبين متعة الدنيا وثواب «أو عقاب» الآخرة وبعيداً عن السلوك المتطرف في أي اتجاه.

٦ – تحريم استهلاك السلع والخدمات الضارة:

يحرم الإسلام استهلاك السلع والخدمات الضارة بالفرد والمجتمع، سواء كان الضرر في شكل مصاعب صحية واجتماعية للفرد أم في شكل تبديد للموارد الاقتصادية.

ويلاحظ أنه إضافة إلى آثار المصاعب الصحية والاجتماعية على الفرد والأسرة

والمجتمع فإن لهذه المصاعب جانباً اقتصادياً هاماً فيضطر المجتمع إلى توجيه المزيد من موارده المحدودة نسبياً إلى قطاع الخدمات الصحية وقطاع الخدمات الأمنية والاجتماعية لمكافحة الجريمة والانحرافات الاجتماعية بأنواعها.

لذلك يجب أن تكون السلع والخدمات من الأشياء التي أجازها الإسلام أي من الطيبات فلا يكفي هنا أن يشبع المستهلك حاجته بل يجب أن تكون الحاجة مشروعة، فالسلع المشروعة يشملها مفهوم الطيبات والرزق التي تتكرر كثيراً في القرآن الكريم ويقصد بالطيبات كل سلعة تتصف بالحسن والنقاء والطهارة وعكسها الخبائث، أما الرزق فيقصد به المنحة الآلهية أو نعم الله سبحانه وتعالى.

٧ – عملية الاستهلاك طاعة من الطاعات إذا كانت تعبر عن الانصياع لأمر الله سبحانه وتعالى بالأكل والشرب والتمتع بهذه الحياة.

٨ – سلوك المستهلك موجه نحو الرفاه وهذا يتضمن أيضاً العمل لما بعد الموت متمثلاً في مراعاة رفاه الآخرين.

٩ – افتراض عقلانية السلوك

١٠ – طالما أن آلية السوق لا تخدم إلا الذين يملكون القوة الشرائية فإن احتياجات المستهلك التي لا تسندها قوة شرائية – خاصة عندما تكون هذه الاحتياجات لضرورة البقاء – تتطلب اتخاذ إجراءات اجتماعية معينة وهذه الإجراءات يمكن أن تشمل واحداً أو أكثر من الصيغ التالية:

أ: تحويل القوة الشرائية من الأغنياء إلى الفقراء تحويلا مباشرا أو بواسطة تدخل الدولة.

ب: دعم إنتاج الضروريات لزيادة العرض أو لخفض الأسعار أو لهما معاً.

جـ: التحكم في الأسعار لترشيدها واتخاذ وسائل مباشرة أخرى لإشباع الحاجات.

١١ – النهي عن الشره والإكثار من الطعام مصداقاً لقول الرسول (ﷺ): «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه».

١٢ – وضع أولويات في الاستهلاك: السلع الضرورية ثم الكماليات.

المراجع:

١ – الاقتصاد الإسلامي – منذر قحف.

٢ – النظرية الاقتصادية من منظور إسلامي – د. شوقي دنيا.

٣ – مدخل للفكر الاقتصادي في الإسلام – د. سعيد مرطان.

٤ – أصول الاقتصاد الإسلامي ج ٢ د. محمد عبد المنعم عفر ويوسف كمال محمد.

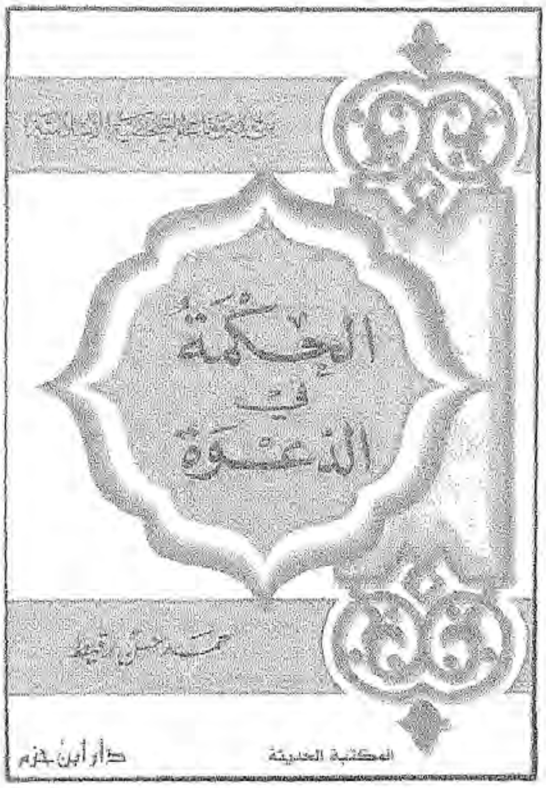
٥ – قراءات في الاقتصاد الإسلامي: مقالة بعنوان «صياغة إسلامية لجوانب من دالة المصلحة الاجتماعية ونظرية سلوك المستهلك – د. محمد أنس الزرقا.

٦ – مجلة المسلم المعاصر العدد ١٥ – ١٩٧٨م مقالة بعنوان «النظام الاقتصادي في الإسلام – د. محمد عمر شبرا».

٧ – مجلة المسلم المعاصر العدد ٣٨ – ١٩٨٤م مقالة بعنوان «مدخل إسلامي إلى علم الاقتصاد د. محمد نجاة الله صديقي».

٨ – مجلة الوعي الإسلامي العدد ١٥٤ آب ١٩٧٧م مقالة بعنوان «النظام الاقتصادي الإسلامي د. محمد عبد المنعم عفر».

٩ – مجلة الاقتصاد الإسلامي العدد ٢١ شعبان ١٤٠٣هـ



الحكمة في الدعوة

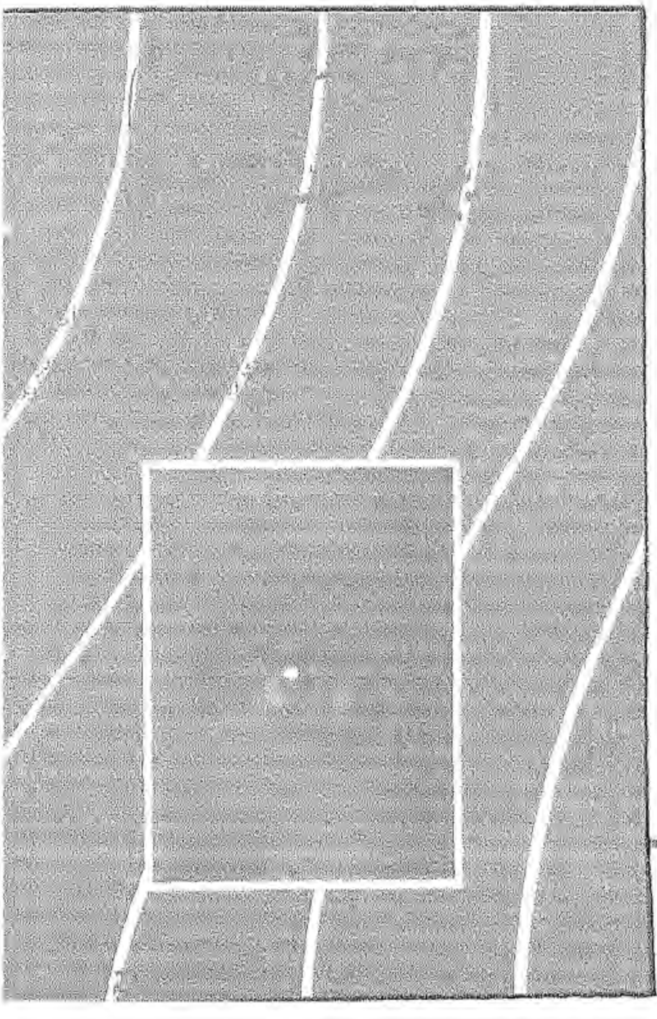
وهي رسالة ضمن رسائل مقومات الشخصية الإسلامية من تأليف الشيخ حمد حسن رقيط مدير الأوقاف في أبوظبي، وقد شرح فيها معنى الحكمة ومجالاتها في علاج النفوس وفي العلم والتربية والدعوة والخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأسلوب الحكمة في مراعاة أحوال الناس، وفي الترغيب والتبشير وفي الرد على الشبهات وفي النصيحة. والرسالة من إصدارات دار ابن حزم بيروت لبنان ص.ب: ١٤/٦٣٦٦، ومن مطبوعات المكتبة الحديثة العين دولة الامارات العربية المتحدة.

النوم والأرق والأحلام

تأليف الدكتور حسان شمس باشا عضو الكليات الملكية للأطباء في بريطانيا وفي ايرلندا.

ويتناول بالشرح والتفصيل «النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن الكريم» موضحا كل حالة وأسبابها وعلاجها وشارحا معنى النوم ولماذا ننام؟ وهدى الإسلام في النوم والأرق واضطراباته وظواهره، وكيف يقي الإنسان نفسه من الأرق، وخطر المنومات والمهدئات والمنبهات والفرق بين الأحلام الصادقة والكاذبة وتفسير الأحلام والرؤى.

والكتاب من إصدار دار المنارة للنشر والتوزيع جدة المملكة العربية السعودية ص.ب: ١٢٥٠ - ٢١٤٣١.



معجزة القرآن تتحدى البشر



تأليف فضيلة الشيخ محمد درويش الخطيب، وهو دراسة علمية جادة توضح معجزات القرآن الكريم التي تحدى الله تعالى بها البشر، وتشرح هذه المعجزات وبيان أثرها وتأثيرها وكيف عجز الجميع عن معارضة القرآن الكريم، وقد تحدث الكاتب بإسهاب عن تنوع ضروب الإعجاز، وبلاغة تركيب الجمل والحروف وإعجاز النظم والآيات وفواتح السور وأسرارها، كما شرح بعض الاكتشافات العلمية التي أشار إليها القرآن الكريم، وإخباره عن الغيبيات وأبان إعجاز الله تعالى في الخلق وحكمة تحريمه سبحانه بعض الأشياء على عباده، وختم الكاتب دراسته القيمة بباب كامل عن الإعجاز العددي وسر الحروف في أوائل السور.

وعنوان المؤلف سوريا – حلب – الجامع الأموي الكبير والكتاب مطبوع على نفقة المحسن الأستاذ علي الشرفا من دولة الإمارات العربية المتحدة.

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ تقي الدين أحمد المقريزي، وقد نقحه وعلق عليه وضبطه الشيخ أحمد بن محمد طاحون.

والكتاب رسالة قيمة من مؤلفات العلامة الفقيه المؤرخ تقي الدين المقريزي، وتسير في منهجها على منهج أهل السنة في توضيح عقيدة التوحيد الخالص النقي من كل شائبة من شوائب الشرك، وقد حذر المؤلف في رسالته من النظر الى الإسلام وشرائعه وتعاليمه من زاوية واحدة، والركون إليها وإغفال سائر ما جاء به هذا الدين العام الشامل لخير الناس أجمعين.

ويقول المحقق إن كلمة التجريد تعني التنقية والتخليص، وقد جرد المؤلف نفسه وفند بالدليل والبرهان ما عليه أهل الزيغ مع اختلاف مذاهبهم وانحرافاتهم.

والكتاب من إصدارات الشيخ صالح عبدالله العمودي من المملكة العربية السعودية جدة ويوزع هدية منه هبة لله تعالى.

اللغــة العربية
وعلاقتها بالثقافة العلمية

إعـداد
رضا محمد شعبان

الحلقة الأولى

□ ..عقد المجلس الأعلى للثقافة بالقاهـرة مؤخراً ندوة عن اللغة العربية وعلاقتها بالثقافة العلمية ناقشت أكثر من ١٧ بحثاً تقدم بها عـدد مـن المفكـرين والبـاحثين واللغـويين دارت كلهـا حـول الجوانب المختلفـة للعلاقة بين اللغة العـربية والثقافـة العلمية، وطرحت التحديات التي تواجهها اللغة العربية في عصر المعلومات مع استعـراض التوجهـات الحديثة لعلـوم اللغة وتعليمهـا، كما طرحـت من خـلالها قضية تعريـب العلوم والترجمة مـن منظور الثقافة العلمية.

..وفيما يلي نستعـرض بعـض الأوراق المقدمـة ضمن النـدوة إلى جانـب المناقشـات والأطروحات التي دار حولها الجدل.

فقد بدأت ا لندوة بجلسة إفتتاحية تحدث فيهـا الدكتـور «جـابـر عصفور» أمين عـام المجلس الأعلى للثقافة والدكتور «ميلاد حنا» مقرر لجنـة الثقافة العلمية، وقـد ركزت على اللغة العربية إزاء تحديـات عصر المعلومات وقضية اللغة والثقافة العلمية التي تتجاوز حدود الترجمة وتعريب العلوم.

وفي جلسة «الترجمة العلمية» بدأ الدكتور «محمـود فهمي حجـازي» بـالحديث حـول أهميـة بنـوك المصطلحـات في الترجمة التخصصية واستهـل حديثـه بتعريـف بنك المصطلحـات وأنماطها وأهـدافهـا ومجالات العمل المصطلحي ثم انتقل للحديث عن نظام تخزين المصطلحات ومصـادر الحصول على النظـم والمفـاهيـم والمصطلحـات والمصـادر العـربيـة لمجمـوعـات المصطلحـات وطـرق إتـاحتهـا وتكـويـن العـاملين في بنـوك المصطلحات.

وفي ورقتـه (مشكـلات على الطـريـق إلى معجم عربي حـديث) أكد الدكتـور «السعيد محمـد بـدوي» أن الأمة العـربيـة لم تمتلـك طوال تاريخها هذا المعجم الذي يواكب الثروة اللغـويـة المعبرة عـن حضـارة المجتمـع في



تنوعاتها المختلفة من علمية وأدبية وتقنية وفنية وهو ما يعني أننا كعرب لم نمتلك دستوراً لغوياً يوثق تراثنا المشترك ويضمنا في الإطار الفكري الذي نود له أن يكون مشتركاً ومعناه أيضاً - وهو الأخطر - أن جانبا من الثروة الفكرية طوال الألف عام الماضية على الأقل ظل يختفي باختفاء كل جيل وهو ما يعني أن كل جيل كان يبدأ من نقطة قد لا تكون بالضرورة، تلك التي انتهى إليها الجيل السابق.. ويضيف الدكتور «بدوي» إننا لن نستطيع أن نلحق بمن سبقونا من الأمم الأخرى دون أن يكون لدينا مثل هذا السجل الحديث للغتنا المعاصرة ويؤكد أن عدم وضوح مواصفات المعجم الممثل للغة العربية وعدم جدية إنشاء هذا المعجم لا يمكن أن يستمر خاصة في الفترة الحالية التي تشهد فيها المجتمعات العربية تغيرات اجتماعية جادة تخلق لنفسها مفاهيم جديدة ويتجه أبناؤها مرة أخرى وبقوة نحو مصادر العلم، ويرصد الدكتور «بدوي» معوقات إنشاء هذا المعجم، ويحددها في تحديد ماهية المادة اللغوية التي نختارها للتخزين والتصنيف وكيفية صياغة هذه المادة طبقاً للمعايير والأسس المعجمية العالمية، إضافة لغياب البحث العلمي في طبيعة التكوين اللغوي والحضاري والإجتماعي للثروة اللغوية التي تستخدمها المجتمعات العربية في الوقت الحاضر مما يجعل عملية الجمع اللغوي خاضعة للمحاولة والخطأ في أحسن الأحوال إلى جانب ما يعانيه العالم العربي من ندرة الكفاءات القادرة على تحرير المدخل اللغوي في المعجم بمعناه العالمي الحديث.

الترجمة للغة الفارسية

أما الدكتور «محمد فتحي الريس» فقد تحدث عن (اللغة العربية كمصدر للترجمة للغة الفارسية ولغات وسط آسيا) حيث تناول أثر اللغة العربية في تكوين اللغة الفارسية، وتشكيل الأدب الفارسي، وهو ما يبرزه التناجي الكبير بين نصوص وقواعد كلتا اللغتين واستعرض الباحث في ورقته مراحل تكون اللغة الفارسية وظهور الأدب الفارسي، ودور اللغة العربية في ذلك حيث قامت اللغة الفارسية في البداية معتمدة على الترجمة من العربية وعندما بدأ التأليف بالفارسية وظهرت المؤلفات في مختلف الموضوعات الأدبية والعلمية كانت اللغة العربية بمفرداتها ومصطلحاتها التي تمثل أكثر من نصف مفردات تلك اللغة طيعة للعلماء والكتّاب الفرس وغيرهم، ولم تعجز عن تأدية معنى أو تقديم علم أو فكر، وكذلك نشأة الشعر الفارسي على غرار الشعر العربي من ناحية البحور والأوزان والقوافي بل والفنون الشعرية من غزل ومدح وهجاء ورثاء ووصف وفخر وغير ذلك.

وفي جلسة (اللغة العربية من المنظور

التحديات التي تواجه العربية في عصر المعلومات

مطلوب معجم عربي حديث يواكب الثروة اللغوية العربية

التربوي) ركزت الأبحاث على إكتساب اللغة والإبداع في تعليم اللغات ومستقبل تعليمها حيث تحدث الدكتور «سامي محمود عبد الرازق» عن (إكتساب اللغة الأم من منظور اللسانيات الحديثة) ودراسة العمليات المختلفة داخلياً وخارجياً المصاحبة لإكتساب اللغة الأم والظروف الإجتماعية ونشأة علمي النفس والإجتماع اللغويين ومحاولة علماء اللغة تفسير اللغة وتعلمها مرة على أنها

عملية وراثية نمطية كتوارث المهن بين الأجيال وأخرى محاولة وضع خرائط تفسير عمليات إنتاج اللغة فيما يشبه عمليات الاشتقاق من أصل الكلمة أو عمليات الانفجار الذري أو عمليات حسابية رياضية أخرى، أما عن تعلم الطفل ونموه اللغوي فقد رأى البعض أن هذا التعلم يبدأ وهو جنين في شهوره الأخيرة في بطن أمه، ويرى اللغويون أن الطفل يولد ولديه جهاز خاص تركيبه العصبي يساعد على الإسراع بتعلم اللغة الأم المعقدة في أقصر وقت.. أما علماء الاجتماع اللغوي فيرون أن تعلم اللغة عند الأطفال يعود إلى عمليات التطبيع الاجتماعي، وخبرات الحياة، في حين يرى السلوكيون أنه مرتبط بإشباع الحاجات عند الأطفال.

مستقبل تعليم العربية

وفي ورقته (الاكتساب اللغوي ومستقبل تعليم العربية) أكد الدكتور «عبده الراجحي» على أن تعليم العربية في مصر والعالم العربي ما زال بعيداً كل البعد عن (العلم) في الوقت الذي أصبح فيه تعليم اللغات (علماً) حقيقياً له أصوله وأدواته ولا نبالغ حين نقرر أن مستقبل العربية في خطر حقيقي إذا استمر وضعها التعليمي على ما هو عليه ومن ثم فإن العلاقة بين العربية والثقافة العلمية ستكون موضع شك كبير، ويضيف الدكتور «الراجحي» أن قضية اكتساب اللغة أصبحت قضية مركزية في تعليم اللغة حيث شرع البحث العلمي ليضاعف الجهد في السنوات الأخيرة في محاولة لفهم هذه المسألة، وهو الأمر الذي لم يسهم الدرس العربي فيه بجهد حقيقي يمكن أن يتصف بصفة العلم ومن ثم فإن كل المعايير التي يستخدمها بعض الباحثين في كتاباتهم لا تنبع في الحقيقة من بحوث عربية وهذه القضية (الاكتساب اللغوي) بما تنطوي عليه من إعتبارات عصبية ونفسية وحركية ومعرفية ولغوية تفرض إعادة صياغة الفكر العربي نحو التكامل العلمي.

وفي مجموعة من التساؤلات انتقلت الدكتورة «منى أبو سنة» لمجموعة من الملاحظات حول الأداء في تعليم اللغات في



الـوطن العـربي والتجـارب المختلفة في هـذا المضمار في بحثها (الإبداع في تعليـم اللغـات) حيـث أكـدت على ضرورة تكويـن عـلاقـات جديدة بين الثقافة واللغة واللغة العربية من جهـة والثقافـات غير العربيـة التي تـدرس لغاتها في مـدارسنا وجامعاتنـا تحت مسمى اللغات الأجنبية من جهـة أخرى، في محاولة لأن نصبح منتجين للغات والثقافات العربية وغيرها بدلاً من أن نكون مستهلكين، وتحقيق شروط مناسبة للحوار بين الثقافات المختلفة بعيدة عن الحساسية.

اللسانيات ونظرية الأدب

وفي جلسة (اللغـة العربيـة والدراسـات الأدبية) تحدث الـدكتور «أحمد درويـش» في بحثه (اللسانيات ونظرية الأدب) عن نظرية الأدب وتطـورها حيـث شكلـت العلاقـة بين المحتوى والشكل أساسا رئيسياً لهذا التطور في كـل العصـور حتـى كانـت ثـورة مناهـج التفكير الحديـث التـي انطلقـت بعـض فرضياتها من الأدب وعادت إليه لتخلخل هذا التصور القـديم، وجعلـت الشكل يـزحف إلى موضع الصـدارة، ويتدخل في تشكيل نظـرية الأدب وكانت القدرة الكبيرة للسانيات ممثلة في التصـور الـذي طـرحـه (دي سـوسير) في مطلـع القـرن الحالي سبباً في هـذه الخلخلـة لمفهـوم أن المعـاني موجـودة ومستقـرة وأن القـوالـب اللغـوية المعبرة عنهـا مـوجـودة ومستقرة أيضـاً، وأن جهد الأديب هو الـوعي بالعلاقات بينها و إعادة استخدامها حيث أكد (دي سوسير) أنـه على العكس، فـإن التركيز ينبغـي أن يتحول إلى مجهـود الفرد في خلـق لغته وهو تطويـر انعكس في اللغة الأدبية في صورة أن اللغة خالقة للمعنى وليست تابعة له وأن لها من خـلال هذا الخلق حياة ثـابتة وعلى اللغـة خـلال هـذا التشكيـل أن تلتـزم بقـوانين الهدف وأن تجعـل همهـا نقطـة الوصول وليس فقط نقطة البدء.



تنـوع الخطـاب

وفي جلسـة (اللغة العـربيـة من منظـور الاستخـدام) قـدم الدكتـور «حسـن وجيـه» ورقة تحت عنـوان (اللغة العـربية وتنـوع الخطـاب) تنـاول فيها تنـوع الخطـاب مـن الخطاب المباشر للخطاب غير المباشر في واقع ممارساتنـا الحوارية مع تحليل لآليـات هذا الخطاب وتأثير المقولات المختلفة التي ينتقل فيهـا الخطـاب السيـاسي مـن الفصحـى إلى العـاميـة، وتطـرق البـاحـث إلى ظـاهـرة الازدواجيـة اللغـويـة في وجـود مستـويين رئيسيين للغـة، كما في حـال الفصحـى والعـاميـة والاستخـدام اللغـوي وتنـوع الخطاب في إطار تفـاعلات الثقافة الـرئيسية والثقافات الفرعية ومفاهيم التوطين وأسباب شيوع لغة التناحر بين الخطـابات (القومي - الليبرالي - الدينـي - اليساري - وخطـاب التطرف) والسبيل لفك الاشتباكات الخاطئة

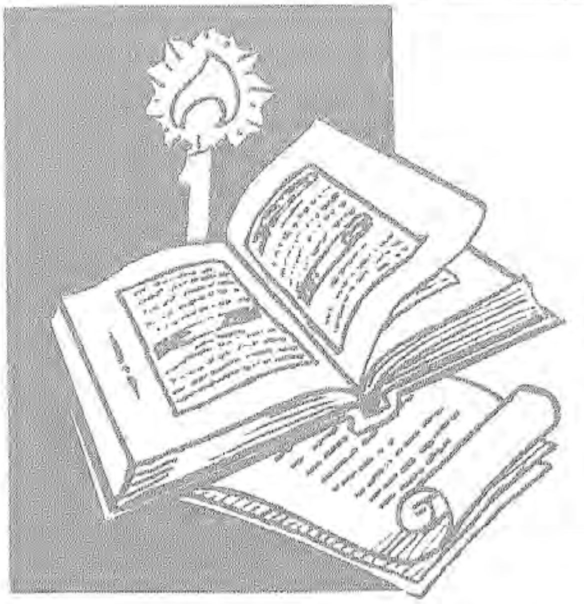
الوطن العربي يحتاج إلى دستور لغوي يوثق تراثه المشترك

اللغة العربية كانت المنهل للغة الفارسية ولغات وسط آسيا

في واقعنـا والبحـث عـن سبيـل لتنـوع الخطابات بعيداً عن التناحر القائم.

اللغة العربية وتحديات عصر المعلومات

وقـد ألقى الـدكتور «نبيـل علي» محاضرة حـول اللغـة العـربيـة وتحديـات عصر المعلـومات سعـى مـن خـلالها لإبراز الـدور الحاسم للغة في عصر المعلومـات والتحديات التي يفرضها هـذا العصر على لغتنا العربية على جميع الأصعـدة شاملـة مجالات التنظير وإعداد المعـاجم وأسـاليب التعليـم والتعلم ورصد مظـاهر الاستخدام اللغـوي المختلفة، وأبـرز الباحـث الفجوة التـي تفصل بين مـا أحدثته الثـورة اللسانية الحديثة والـوضع الـراهن للغـة العـربيـة وطرح التـوجهـات الرئيسيـة لتكنولـوجيا المعلـومات والـدور الحاسم للغة في تطوير هـذه التكنولوجيا إلى أن أصبحت بدورها أداة فعّـالة لإحداث نقلة نـوعية في تنـاول إشكـاليـة اللغة، وحـاول البـاحث التطـرق لطبيعة العـلاقة بين علـم اللغة والعلـوم الأساسية من (ريـاضيات – منطـق – طبيعـة – إحصاء – علـم نفـس – وبيولوجي) والتي تحولـت من السعي نحو إخضاع اللغـة لمناهج هـذه العلوم إلى إتخاذ النموذج الإرشـادي اللغوي كمـدخل أسـاسي لتنـاول كثير مـن الظواهـر العلميـة خـارج نطـاق اللغـة واستـدل البـاحـث على ذلـك بالعـلاقة الوثيقـة بين اللغة وعلوم الـوراثة



وفسيولوجيا الأعصـاب وما أدى إليه البحث اللغـوي الحديث مـن تطويـر للـرياضيـات الحديثة وظهور رتب أعلى من المنطق تتجاوز بكثير منطق الـدرجة الأولى لأرسطـو، وانتقل الـدكتـور «نبيـل علي» إلى مظاهـر العـلاقـة التبادلية بين اللغـة وتكنولوجيا المعلـومات في إطار الثنائية الحاكمة لكون كل منهما أداة لـلآخـر مع استعـراض بعـض التطبيقـات الحاليـة لتكنولـوجيـا المعلـومات في اللغـة العـربية وفي ختـام بحثه نبّـه الباحـث إلى خطـورة التقاعـس في دفع عمليـة التحديـث اللغـوي والكلفـة البـاهظـة على الأصعـدة التربوية والثقافية والاقتصادية، مؤكدا أن ما تتيحـه تكنولـوجيـا المعلومـات حـالياً مـن وسائل يمكـن استغلالها لتعـويض تخلفنـا اللغوي تنظيراً واستخداماً وتعليماً وتعلماً.

من تراثنا اللغوي الإسلامي

الرسائل اللغوية في تفسير غريب القرآن الكريم

الحلقـــة الأولــى

للدكتور: عمر مسلّم العكش
أستاذ في جامعة الإمارات العربية المتحدة

لا شك أنّ اللغة تعد مرآة للحياة العقلية لأية أمة من الأمم، تكشف عن مدى تطورها ورقيها، وقد أولى العرب لغتهم عناية فائقة، وبلغت تلك العناية مداها الأبعد بعد نزول القرآن الكريم، فاتصف أسلوبها فيه وأسلوبه فيها بالإعجاز، لأنّ القرآن جاء ثورة فكرية ولغوية هزّ عقول العرب، وشحذ هممهم، واستنهض عزائمهم، واستثار ملكاتهم بأسلوبه البياني الرائع، ومعانيه السامية، فدفع العلماء إلى الاهتمام بتفسير آياته وشرح غريبة، وتتبع اللغات التي جاء بها وتدوينها، ورواية شواهدها، والتحمل لها، فكان صنيعهم صلة بين اللغة وبين العلوم التي أفرغت عليها من بعد، فكان له وجه اجتماعي من حيث تأثيره في العقل الإنساني، فقد حث الإسلام على طلب العلم، وعلى النظر والتدبر والتفكر والاعتبار والاستنتاج، وجعل شعار دعوته قوله تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة﴾ – «يوسف/١٠٨». وقوله تعالى: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن – «النحل/١٢٥» فكان الإسلام دين علم ومعرفة، أطلق العرب من عقالهم، وخرج بهم من حدود جزيرتهم الضيقة إلى آفاق الأرض يضربون أكباد الإبل ليحتلوا مكانتهم تحت الشمس، فكانت لهم منابر البطولة والمجد في ميادين الفتوحات الإسلامية، وكانت لهم منابر الفكر والعلم والمعرفة في ميادين البحث والفقه والتأليف.

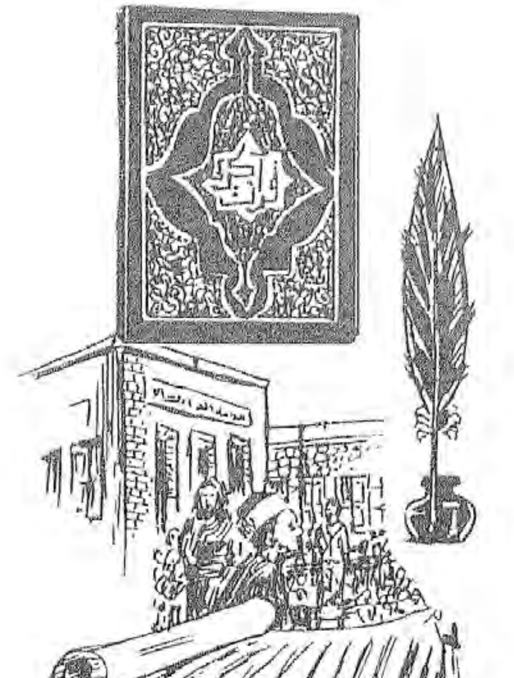
نشأة علم اللغة

ونشأ علم اللغة عند العرب ضعيفاً بنفسه قوياً بالدراسات القرآنية التي نهض بسبب منها، ونشأ مختلطاً بموضوعاتها من فقه وتفسير وقراءات، وكانت المؤلفات الأولى التي أخذت بتلك الطريقة تأخذ من كل موضوع طرفاً، وتختلط فيها الدراسات القرآنية بالدراسات اللغوية، ثم تلتها مؤلفات اختلطت فيها موضوعات اللغة نفسها من لغة ونحو وصرف وعروض، وكان

الدافع إلى تلك الدراسات خدمة القرآن الكريم، وتفسير غـريبه، وتـأويل مشكلـه، وتسخير الـدراسـات اللغـويـــة لخدمـة ذلـك الهدف العظيم.

ثم استقل علم اللغة شيئاً فشيئاً، وأصبح علماً يدرس لـذاته، وانصبـت جهود العلماء لخدمـة لغة القـرآن نفسهـا، بعـد أن كانـت الجهـود منصبـة على خدمـة القـرآن نفســه، وانصرفت عناية اللغويين إلى تأليف الرسائل اللغويـة المتخصصة لتفسير غريـب القرآن، وقد أدركـوا علاقـة الألفاظ بـاللغة والقـرآن والحديث، ورأوا أن القـرآن نزل بلغة عـربية يتجلى فيها أفصح اللهجات وأعـلاها، وكانت هـذه اللغـة المتخيّـرة المتمثلـة لخصـائص العربية في بـواديها وحواضرها وقبائلهـا قد توحّـدت عند نزول القـرآن الكريـم... لكنهم لمكانة قـريش والحجاز – دينياً، وجغـرافياً، وتجاريـاً – رأوا أن يكتـب بلهجـة قـريـش، خشية الاختـلاف، وتفادياً لكتابتـه بلهجات محلية لا يعرفها العـرب جميعاً. وتلك اللغة اجتمع العرب على وحدتها قبل الإسلام، ثم مد القرآن أطنابها، ورسخ جذورها، فقد كان من إعجازه أن جـاءهم بـأفصح مـا انتهت إليـه لغات العرب جميعاً، وقـال أبو عبيدة: «إنما نزل القـرآن بلسان عـربي مبين»، وتصديـق ذلك في آيـة من القرآن الكريم: ﴿بلسان عربي مبين﴾ – «الشعراء / ١٩٥».

وفي آية أخرى: ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ – «إبراهيم / ٤» ولم يحتج السلف، ولا الذيـن أدركوا وجهه إلى أن يسألوا النبي (ﷺ) عن معـانيه، لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم عن معانيه، وعما فيه ممـا في كلام العرب مِثلُه في الـوجوه والتلخيص، وفي القـرآن مثلُ ما في الكـلام من وجوه الإعراب، ومن الغريب والمعاني(١).



الغرائـب

وفي القرآن الكريـم ألفاظ اصطلح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد بغرائبها أنّها منكـرة أو نـافرة أو شـاذة، فـإنّ القـرآن الكريـم منزّه عـن هذا جميعـه، وإنما اللفظة الغـريبـة هـاهنا هـي التـي تكـون حسنـة مستغربـة في التأويل، بحيـث لا يتساوى في العلـم بها أهلهـا وســائر النـاس، واللفظـة الغريبـة في قبيلة قد تكـون مألوفـة في قبيلة أخرى، وكذا الأمر في المكان والزمان، فالغرابة هنا نسبية، وجملة ما عدُّوه من ذلك في القرآن الكـريم كلـه سبعمائة لفظة أو تـزيد قليـلاً، ومنشأ الغـرابة فيما عدوه مـن الغريـب بأن يكون ذلك من لغات متفرقة، أو تكون اللفظة الغـريبـة مستعملـة على وجـوه مـن وجـوه

الوضع، يخرجها مخرج الغريب، كالظلم، والكفر، والإيمان، ونحوها مما نقل عن مدلوله في لغة العرب إلى المعاني الإسلامية المحدثة، وقال أبو حاتم الرازي (- ٣٢٢هـ): «إنّ الأسماء التي هي مشتقة من ألفاظ العرب، ولم تعرف قبل ذلك مثل: المسلم، والمؤمن، والمنافق، والكافر، لم يكن العرب يعرفونها، لأن الإسلام، والإيمان، والنفاق، والكفر، كلمات ظهرت على عهد النبي (ﷺ)، وإنما كانت العرب تعرف الكافر، كافر النعمة، لا تعرفه من معنى الكفر بالله... وكانت تعرف المؤمن من جهة الأمان، أمّا المنافق فإنه لا ذكر له في كلام العرب... فهذه الكلمات كلها ظهرت في الإسلام على لسان محمد (ﷺ) - بلسان عربي مبين، ولم تكن لسائر الأمم على هذا النظام العجيب والاختصار الحسن، فلما وردت عليهم، اضطروا إلى قبولها وتدوينها، والإقرار بفضلها»(٢).

إعراب القرآن الكريم

وكان الصحابة (رضي الله عنهم) يسمعون هذا الغريب (إعراب القرآن الكريم)، لأنهم يستبينون معانيه ويخلصونها. وقد عدّ العلماء من غير لغات العرب أكثر من مائة لفظة، ترجع إلى لغات الفرس والروم والنبط والحبشة والبربر والسريان والعبران والقبط، وهي كلمات أخرجتها العرب على أوزان لغتها، وأجرتها في فصيحها، فصارت بذلك عربية(٣). وقال أبو حاتم الرازي في باب (الأسماء الأعجمية في القرآن الكريم): «فمنها ما هي قديمة في كلام العرب، اشتقاقاتها معروفة، ومنها أسماء دلّ عليها النبي (ﷺ) في هذه الشريعة، ونزل بها القرآن الكريم، فصارت أصولاً في الدين، وفروعاً في الشريعة، لم تكن تعرف من قبل ذلك، وهي مشتقة من ألفاظ تعرفها العرب، وأسماء جاءت في القرآن الكريم، لم تكن العرب تعرفها، ولا غيرهم من الأمم مثل: تسنيم(٤)، وسلسبيل(٥)، وغسلين(٦)، وسجين(٧)، والرقيم(٨)، وغير ذلك(٩).

وراح العلماء يبحثون في هذه الألفاظ ليتحققوا أعربية هي أم أعجمية؟. وكانت لهم في ذلك آراء مختلفة، كما أدركوا صلة الدراسات اللغوية بالقرآن الكريم، وعلوم الدين، فبادروا إلى تفسير غريب القرآن، والاستشهاد له بالشعر، وانكبوا على تعلم العربية خدمة للقرآن العظيم ولغته، وعن يحيى بن عتيق(١٠)، قال: سألت الحسن(١١)، فقلت: الرجل يتعلم العربية يلتمس بها المنطق، ويقيم بها قراءته، فقال الحسن: فتعلمها، فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها.

مؤلفو الغريب

وقد ألّف في علم غريب القرآن علماء كثيرون، وأول من تشير المصادر إليه هو ابن عباس (رضي الله عنه) - ٦٨هـ - وكان من أوائل المتكلمين في هذا الموضوع، وذكر ابن النديم أن أول كتاب ألف في تفسير غريب القرآن هو كتاب ابن عبّاس الذي رواه مجاهد عنه(١٢)، وصدر تحت عنوان «سؤالات نافع بن الأزرق إلى عبدالله بن عباس»(١٣). وتتألف مادة هذه الرسالة من مجموعة من الأسئلة توجه بها نافع بن الأزرق ونجدة بن عويمر إلى عبدالله بن عباس، يسألانه عن مفردات القرآن الكريم وغريبه، والأجوبة

التي ردّ بها ابن عباس، وقد اعتمد فيها منهجاً لم يسبق إليه وهو تفسير ألفاظ القرآن، والاستدلال عليها بما جاء في شعر العرب، ولم يكن الاحتجاج بالشعر في تفسير وتوضيح مفردات القرآن معروفاً قبل ابن عباس، وقد قال: «الشعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه.



من ذلك قول نافع: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ - «المائدة/٣٥». الحاجة، قال: أتعرف العرب ذلك؟. قال: نعم، أما سمعت عنترة العبسي وهو يقول:

إن الرجال لهم إليك وسيلة
أن يأخذوك تكحلي وتخضّبي(١٤)

قال: يا ابن عباس أخبرني عن قول الله عز وجل: ﴿شرعة ومنهاجا﴾ - «المائدة/٤٨». قال: الشرعة: الدين، والمنهاج: الطريق، قال: هل تعرف العرب ذلك؟. قال: نعم.. أما سمعت أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وهو يقول:

لقد نطق المأمون بالصدق والهدى
وبيَّن للإسلام ديناً ومنهجا

قال: يعني به النبي (ﷺ)(١٥).

وعلى هذا المنهج فسر ابن عباس ما يقرب من خمسين ومائتي لفظة من القرآن الكريم. وشهد القرن الثالث الهجري ثراء في التآليف اللغوية، وبرع أئمة اللغة في وضع عدد كبير من الرسائل اللغوية في علم غريب القرآن التي هدفت إلى تفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم، وغدا هذا العلم مبحثاً لغوياً متخصصاً يمثل الجانب اللغوي من علم التفسير.

ومن الرسائل اللغوية التي وصلت إلينا من هذا القرن «كتاب غريب القرآن وتفسيره لليزيدي» المتوفى سنة (٢٣٧هـ)(١٦)، ولم يقدم أبو عبد الرحمن عبد الله بن يحيى بن المبارك اليزيدي لكتابه بمقدمة يبين فيها غرضه من وضع مؤلفه، بل افتتحه مباشرة بقوله:

«بسم الله الرحمن الرحيم وما توفيقي إلا بالله»، وبعد ذلك بدأ بشرح غريب سورة الفاتحة التي قال عنها «سورة أم الكتاب».

والكتاب أحد مصنفات علم الغريب، رمى إلى شرح غريب ألفاظ القرآن الكريم وتوضيح معانيها، وقد نهج المؤلف منهجاً وسطاً في شرح غريب مفردات القرآن الكريم، فالشرح ليس مسهباً مملاً ولا موجزاً مخلاً، فقد وقف المؤلف عند الكلمات التي رأى أنها بحاجة إلى

تـوضيـح وشرح، مـن ذلـك شرحـه كلمـة ﴿يخادعـون﴾ – «البقـرة/٩». فقـال: ﴿يُظهرون خلاف ما في أنفسهم﴾.

ويذكر اليزيدي القراءات القرآنية ويبيِّن معانيها، ولكنه لم ينسبها إلى أصحابها، ولم يعز الآراء إلى قـائليها، من ذلك شـرحه كلمة (ننشـزها) في قوله تعالى: ﴿كيف ننشـزها﴾ – «البقرة/٢٥٩». فقـال: «من قرأها بـالزاي فهـي ترفـع بعضها إلى بعـض، ومـن قرأهـا بالـراء فهو نحييها، يقال: أنشـر الله الموتى فنشـروا».

ومـن ذلك شرحـه كلمـة (يغـل) في قولـه تعـالى: ﴿ومـا كـان لنبـي أن يَغُـلَّ﴾ – «آل عمران/١٦٠». يخون، ذلك أنهم اتهموا النبي (ﷺ)، ومـن قـرأ ﴿يُـغَـلَّ﴾ فهـو يخان، والمعنى أن بعض القوم خان.

تفسير القرآن بالقرآن

ويستشهـد المؤلـف بـالآيـات القـرآنيـة الكريمـة، ويفسر القرآن بالقـرآن، ويستشهد بالأحاديث النبوية الشـريفة والشعر، ولكن الاستشهاد جـاء قليلاً، فلـم يبلغ مجمـوع ما استشهد بـه أكثر مـن عشـر آيـات وعشـرة أحاديث.

وقد رتب اليـزيدي كتابه حسـب تسلسل سورة القـرآن الكريـم، فبدأ بشـرح غريـب سورة الفاتحة، وانتهى بشرح غـريب سورة الناس.

وتزداد قيمة هذا الكتاب أهمية لأنه ألف في مرحلـة مبكرة قبل كثير من الكتـب المشهورة التـي وضعـت في هذا العلـم، ومهـد لتطـوره وتناميه في خط صاعد.

وسار على نهج اليـزيدي في القرن الثـالث الإمام أبو محمـد عبدالله بن مسلم بـن قتيبة الدينوري المتوفى سنة (٢٧٦هـ)، الذي سخر قلمـه لخدمة لغـة القرآن الكـريم، ووضعـه مؤلفه في علـم الغريب بعنوان «كتـاب غريب القرآن»(٢٥).

وقد افتتـح ابن قتيبة مقـدمته بذكـره أنه قسّم كتابه ثلاثة أقسام، الأول: لتأويل أسماء الله الحسنى وصفاتـه واشتقاقهما. والثاني: لتفسير المفـردات التـي تَكـررت في القـرآن، والثـالث: لتفسير الغـريـب(٢٦). ثـم يذكـر غرضـه ومنهجه في الكتاب، وذلـك أنه أراد أن يختصر دون إخلال، ويوضـح دون إسهاب، وألا يستشهد على اللفظ المعـروف، ولا يحشو الكتاب بـآراء النحاة وأهل الحديـث، لأن ذلك يقلـل الانتفـاع به، ويجعلـه شبيهـاً بكتـب السلف التـي كان غرض هذا الكتـاب أن يأتي على غير منوالها، ثم يقرر أن كتـابه مستنبط من كتـب من سبقـه من المفسريـن وأصحاب اللغة الكبـار، ويختار منها مـا كان أقـربه في الدلالة اللغـوية وأشبهه بقصة الآيـة، تاركاً التأويل البعيد، والتفسير المكـذوب، ثم يمثل للتأويـل البعيد والمنْحول أمثلـة عديـدة من القرآن مسجـلاً حيرته بقوله: «لا نـدري أمن جهة المفسـرين لها وقع الغلـط؟. أم من جهة النقلة؟»(٢٧).

منهج علمي عقلي

والكتـاب يمثـل في منهجه نضجـاً علميـاً وعقلياً واضحاً، يتمثل ذلـك بتقديمه للكتاب، وتبويبه وترتيبه ومعالجته تفسير الألفاظ، فابن قتيبة يسشهد على ما يقول بآيات القرآن نفسهـا، فهـو يفسر القـرآن بـالقـرآن كما في (السلام) حيث قال: «ومن صفاته: «السلام» قال: (السـلام المؤمن المهيمـن). ومنه سمـي الرجل: عبد السلام، كما يقال: عبدالله، ويرى

أهل النظر من أصحاب اللغة أن «السلام» بمعنى السلامة، كما يقال: الرضاع والرضاعة، واللّذاذ واللّذاذة، قال الشاعر:

تحيي بالسّلامة أم بكر

فهل لك، بعد قومك، من سلام؟(٢٨)

فسمى نفسه - جل ثناؤه - «سلاماً» لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والفناء والموت».

ومنهج ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن واضح، فقد راعى ترتيب سور القرآن، فامسك القرآن سورة سورة وآية آية، وتتبع الغريب فيه، فقد بدأ بسورة الحمد، فالبقرة، وانتهى بسورة النّاس، والتزم بشرح الألفاظ التي اعتقد أنها غريبة، ولكنه فسر الكلمات الغريبة والسهلة معاً، من ذلك تفسيره قوله تعالى: ﴿وأنتم تعلمون﴾ - (٢٩)، أي تعقلون، وكان شرحه متفاوتاً بين الطول والقصر، فكان لا يتجاوز شرح الكلمة بمرادفها، كما في قوله تعالى: ﴿حتى يأتيك اليقين﴾(٣٠) أي الموت، وأحياناً تبلغ الصفحة الكاملة في قوله تعالى: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾(٣٠)، وذكر القراءات القرآنية وبيّن معانيها، ونسبها أحياناً إلى أصحابها، وردّ الآراء إلى قائليها، وأفاض أحياناً في الشرح، ومثال ذلك حين شرح كلمة (ننشزها) في قوله تعالى: ﴿كيف ننشزها﴾(٣٢)؟.

فقال: «بالزّاء أي نحييها، يقال: أنشر الله الميت فَنُشر، وقال: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾(٣٣). (ننشزها) بالزاي، أراد نحرك بعضها إلى بعض ونزعجه، ومنه يقال: نشز الشيء ونشزت المرأة على زوجها. وقرأ الحسن: «ننشرها» كأنه من النشر عن الطي، أو على أنه يجوز: أنشر الله الميت ونشره: إذا أحياه»(٣٤).

ومنهج ابن قتيبة منهج لغوي، فهو يفسر الألفاظ لغوياً، ويستشهد عليها بالشعر والحديث، والمثل، وكلام العرب، كما يفسرها قرآنياً، ويستشهد بأقوال المفسرين المشهورين.

وفي القرن الرابع الهجري صنف الإمام أبو بكر السجستاني المتوفى سنة (٣٣٠هـ) كتاب: «نزهة القلوب في تفسير غريب القرآن»(٣٥)، وقد قرأه على شيخه المشهور ابن الأنباري، ويعدّ هذا الكتاب من أدق كتب الغريب، وأوضحها تلخيصاً فقد نهج المؤلف منهجاً لغوياً محضاً، فهو يفسر الألفاظ تفسيراً مختصراً، يتمثل في توضيح معنى المفردات القرآنية وبعض الصيغ والتراكيب التي تحتاج إلى شرح، ولم يلتزم تفصيل وجوه الاشتقاق في ا لكلمات إلا في المواطن التي تنبني عليها جملة من الأحكام، وذلك حين شرح كلمة «الكلالة»(٣٦) و«المسيح»(٣٧) و«الأعجميين»(٣٨). ولم يذكر السجستاني أسماء العلماء واللغويين والمفسرين الذين أفاد منهم، كما خلا كتابه من الشواهد.

وقد راعى المؤلف في كتابه ترتيب سور القرآن، كما راعى ترتيب الآيات داخل السورة، وهو ينتخب ألفاظاً غريبة، منها، دون أن يحصي ذلك في كل آية، من ذلك تفسيره قوله تعالى في سورة البقرة ﴿ألم﴾(٣٩): ﴿ألم﴾ وسائر حروف الهجاء في أوائل السور، كان بعض المفسرين يجعلها أسماء للسور، تعرف كل سورة بما افتتحت به، وبعضهم يجعلها أقساماً أقسم

الله تعالى بها، لشرفها وفضلها، ولأنها مبادىء كتبه المنزلة ومباني أسمائه الحسنى وصفاته العليا».

ويتميز المؤلف بأصالته اللغوية، ودقة تفسيره، ويمهد لقارىء القرآن الكريم ودارسه سبيل الفهم المتكامل الجوانب لكتاب الله العزيز.

العمدة في غريب القرآن الكريم

وفي القرن الخامس الهجري وضع الإمام أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة)٤٣٧هـ)، كتاب «العمدة في غريب القرآن»(٤٠)، وقد هدف المؤلف أن يضع بين يدي القارىء كتاباً صغير الحجم، مستنبطاً من كتب المفسرين وأصحاب اللغة البارعين، يكون عوناً له على فهم مفردات غريب القرآن، ويمتاز هذا الكتاب عن غيره من كتب الغريب بإيجازه الشديد، فهو يشرح الكلمة الغريبة بكلمة أو كلمتين، ويفسر مفرداته تفسيراً موجزاً جداً، فيختار اللفظ الواحد المعبّر دون إيراد للآيات أو استشهاد بالآيات والأحاديث والأمثال، كما أنه لم يعرض مسائل لغوية أو نحوية أو صرفية، بيد أنه اعتمد وجوه القراءات القرآنية الصحيحة الثابتة، ويوجهها لمعانيها المتباينة، ومثال ذلك تفسيره كلمة ﴿مالك﴾ في سورة الفاتحة، فقال: ﴿مالك﴾(٤١) معناه السلطان الباقي في حكمه، ثم يورد القراءة الثانية لها: ﴿ملك﴾ ويفسرها بقوله: القادر الحاكم بما يرى.

والصفة الواضحة التي يتسم كتاب العمدة بها هي الإيجاز والاختصار الشديدين، فالكتاب جاء أقرب ما يكون إلى المختصر الشبيه بمتون العلم.

وبذلك تنتهي مرحلة من مراحل التأليف اللغوي في علم غريب القرآن، وتتميز المصنفات التي وضعت في هذه المرحلة بأنها اعتمدت منهجاً واحداً في تفسير غريب القرآن، وجاءت على ترتيب سور القرآن الكريم، وابتدأت جميعها بشرح غريب سورة الفاتحة فالبقرة فآل عمران، وانتهت بسورة الناس، خاتمة سور القرآن الكريم، وراعت ترتيب الآيات داخل كل سورة، فمن يروم معرفة غريب آية، ويعرف موضعها من السورة، يعمد إلى كتب هذه الطائفة، فيجد حاجته من أيسر سبيل.

وقد اختلفت كتب هذه الطائفة فيما بينها، من حيث الإكثار من الشواهد بالآيات القرآنية الكريمة، والأحاديث النبوية الشريفة، والأبيات الشعرية. وأعد القارىء الكريم أنني سأحاول في المقالة التالية إلقاء الضوء على جهود السلف الصالح في وضع الرسائل اللغوية في علم غريب القرآن الكريم وفق الطريقة الحديثة التي نحت منحى الترتيب المعجمي على حروف الهجاء.

■ هوامش البحث:

(١) مجاز القرآن الكريم لأبي عبيدة ١/ ٨.
(٢) الزينة لأبي حاتم الرازي ١/ ١٤٠، ١٤١، ١٤٦، ١٤٧، ١٥٠، ١٥٢.
(٣) إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعي/ ٧٤ وما بعدها.
(٤) تسنيم: قوله تعالى: ﴿ومزاجه من تسنيم، عيناً يشرب بها المقربون﴾ - «المطففين/٢٨». وتسنيم: عين في الجنة، وتسنّم الشيء: علاه. اللسان مادة (سنم).
(٥) السلسبيل: السهل المدخل في الحلق، قال ابن الأعرابي: «لم أسمع السلسبيل إلا في القرآن. ينظر المعرب للجواليقي/ ١٨٩ من

قولـه تعالى: ﴿عينا فيها تسمى سلسبيلاً﴾ - «الدهر/١٨».

(٦) قولـه تعالى: ﴿ولا طعـام إلا من غسلين لا يأكله إلاّ الخاطئون﴾ - «الحاقة/٣٦»، وقيل: غسلين: شديد الحر.

(٧) قولـه تعالى: ﴿كلاّ إنّ كتاب الفجار لفي سجّين﴾ - «المطففين/٧، ٨». سجّين: فقيل من السجن والسجين.

(٨) قولـه تعالى: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا﴾ - «الكهف/٩». والرقيم: لوح كتبت فيه أسماؤهم.

(٩) الزينة: ١/١٤١.

(١٠) يحيى بن عتيق الطفاوي البصري، تنظر ترجمته في طبقات ابن سعد ٧/١٩٢.

(١١) الحسن البصري، توفي سنة (١١٠هـ)، تنظر ترجمته في القراء/١٠٧٤.

(١٢) الفهرست لابن النديم: ٥٠.

(١٣) نشـرت هـذه المسـائل بتحقيـق د. إبراهيم السـامرائي، مستلة من مجلـة رسالة الإسلام (العددان): ٥، ٦، السنـة الثانية مطبعة المعارف، بغداد، عام ١٩٦٨.

(١٤) البيت في ديوان عنترة ص/٢٠.

(١٥) سؤالات نافع ص٩، وما بعدها.

(١٦) طبع الكتاب الطبعـة الأولى بتحقيق الأستاذ محمد سليم الحاج، ونشرته دار عالم الكتب في بيروت سنة ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢٣) البقرة/٩

(٢٤) آل عمران/١٦.

(٢٥) نشر الكتـاب لأول مرة الأستـاذ السيد صقر في القاهرة سنة ١٣٧٨هـ - ١٩٥٨م، دار احياء الكتب العربية.

(٢٦) غريب القرآن / ٣.

(٢٧) نفسه / ٥.

(٢٨) البيت في اللسـان والتـاج (سلم) بلا نسبة، وفي تفسير غريب القرآن ص/ ٦.

(٢٩) البقرة / ٤٢.

(٣٠) الحجر / ٩٩.

(٣١) النور / ٥٨.

(٣٢) البقرة/ ٢٥٩.

(٣٣) عبس / ٢٢.

(٣٤) غريب القرآن / ٩٥.

(٣٥) طبـع هـذا الكتـاب بـاشراف الأستاذ مصطفى عناني عام ١٩٣٦م بمصر.

(٣٦) نزهة القلوب / ٦٦.

(٣٧) نفسه / ٣١٤.

(٣٨) نفسه / ٨٢.

(٣٩) البقرة / ١

(٤٠) طبـع الكتـاب الطبعـة الأولى سنـة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، بتحقيـق د. يوسـف عبد الرحمن المرعشلي، ونشرته مؤسسة الرسالة في بيروت، وأعيدت طباعتـه سنة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤١) الفاتحة / ٤.

«حتى تاطُروهم على الحق أطراً»

□□ قال عليه الصلاة والسلام لبعض اصحابه :

كيف بكم إذا طغى نساؤكم ، وفجر شبابكم ، وتركتم الجهاد ؟

قالوا : وإن ذلك لكائن يا رسول الله ؟

قال : نعم ، والذي نفسي بيده ، واشد منه سيكون ، كيف بكم إذا رايتم المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ؟

قالوا : وإن ذلك لكائن يارسول الله ؟

قال : نعم ، واشد منه سيكون ، يقول الله عزّ وجل : « بي حلفت لأسلّطن عليهم فتنة تدع الحليم فيها حيران ؟

قالوا : وما المخرج يارسول الله ؟

قال : حتى تاطروهم على الحق اطراً . □□

النصيحة والسعاية

● النصيحـة هي: صـدقك الإنسـان عما فـوّضـه إليك، وألزمك الحق تعريفك إيّـاه.

أمّا السعايـة فهي:

صـدقك الإنسان عما اقترفـه بعض أتباعـه، وأنت تـريد الإضرار بـالتّـابع، والانتفاع بالمتبوع، لا تقديم النصيحة لذلك الإنسان.

مع لغتنا الشاعرة

للأستاذ : مصطفى الدغيدي

● رأيت الحادي عشر والثاني عشر.

● الأعداد المركبة التي يكون صدرها أي الجزء الأول منها منتهياً بياء، فإن هذا الجزء يكون مبنياً على السكون فنقول: جاء الحادي عشَر والثاني عَشَر. وتضبط الشين في كلمة عشرة المركبة بفتحها – في أشهر اللغات – إن كان المعدود مذكرا، وتسكينها إن كان مؤنثاً نحو ثلاثة عشَر رجلا، وسبْعَ عشْرة امرأة.

● ثـوْري. وينسبون إلى الثورة قائلين: هذا رجل ثَـوْرَوِيٌّ. والصواب: هذا رجل ثـوْريٌّ؛ لأن تاء التأنيث تحذف في النسب.

فيقال: مكِّيٌّ وكوفي في النسبة إلى مكة والكوفة. ولن نخشى اللبس بين النسبة إلى ثورة والنسبة إلى ثور؛ لأننا نستطيع معرفة النسبة المقصودة من سياق الكلام.

● لفظ (الأُمَّةُ) يأتي بمعانٍ مختلفة في لغتنا الشاعرة.

اللغة العربية غزيرة بمعاني مفرداتها. وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد لفظ الأمة يأتي بتفسيرات مختلفة حسب سياق الكلام في لغتنا الجميلة. وتأمل معي هذه الأوجه المختلفة لهذا اللفظ:

☆ أولاً: الأمة تكون للجماعة كقوله تعالى: ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾. ولتوضيح هذا المعنى نقول: إن الأمة هي العامة من الناس – والجمع: أمم. ومعناها أيضاً الطائفة أو الجماعة بدون حصر للعدد. قال تعالى في سورة البقرة: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ أي تلك جماعة وجيل قد سلف ومضى، وهذه الأمة لها ثواب ما كسبت.

☆ ثانياً: الأمة أتباع الأنبياء مثل أمة محمد (ﷺ).

☆ ثالثاً: الأمة هي الرجل الجامع للخير الذي يقتدى به كقوله تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفا﴾.

☆ رابعاً: الأمة هي الدين والملة كقوله تعالى: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾.

☆ خامساً: الأمة الحِينُ والزّمان كقوله تعالى: ﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾.

☆ سادساً: الأمة بمعنى القامة فيقال: فلان حسن الأُمَّة أي القامة.

☆ سابعاً: وتطلق الأمة على الرجل المنفرد بدينه. قال (ﷺ): «يُبْعثُ زيد بن عمرو بن نفيل أُمَّةً وحده».

☆ ثامناً: والأمة هي الأم. يقال: هذه أمَّةُ زيد يعني أمُّ زيْدٍ.

ولفظ الأمة من الألفاظ التي يجيء فيها العدد ملحوظاً ومفهوماً منها أو من سياق الكلام مثل معشر وفئة وقوم وملأونفر.. إلخ.

توبة

للأستاذة: أمينة المريني

إذا جَـنَّ ليلي سَخَـتْ دمعتـي ... وأَوقـدَ خوفِـي لَـظَـى زفـرتِي
ولُـذتُ ببـابـك يـا خـالقـي ... فبـابُـك أوسـعُ للتـوبـةِ
بسطـتُ إليـكَ أكُـفَ الـدُّعَـا ... ولي مَطْمَـعٌ في نَـدَى رَحْمَةِ

ومـالي سِـوَاك ألـوذُ بـه ... ليمحـوَ مـا فـات مـن زلتِـي
فـإني مسيءٌ أُرَجِـي الثـوابْ ... وإني ضعيـفٌ أخـو ذِلَّـةِ
وأنـت الـرحيمُ وأنـت الغنـيْ ... وأنـتَ المهيمـنُ ذو القـوةِ

وأنـت السميـعُ إذا مـا دَعَـوْت ... إلـٰهي أغِثْنِـي أجِـبْ دعـوتي
أتيتُـك رَبِي بـذنـبٍ عظيـمٍ ... كمـوجِ البحـارِ إذا أَرْغَـتِ
أعَـضُّ على أُصْبُعِـي نـدمـا ... وأهتِـفُ يـا ليـتَ يَـا وَيْلَتِـي
غـوَتْنِـيَ نَفْسِي وأَغْشَـتْ جفـوني ... أَمَـانٍ كـواذِبُ كَـمْ أَغْـرَتِ!!

وكـانـت سرابـاً خَـدُوعـاً تَـلاشَى ... ومـاءً تَأبَّـى على قبضتـي
فَهِمْـتُ بها أرْتَجِي وُدَّهَـا ... فـلا هِـيَ أوْفَـتْ ولا وَدتِ
وكـمْ أَلْهَتِ الـروحَ عـن سَجْـدَةٍ ... وكَـمْ أقْصَـتِ العقـلَ عـن حكمـةِ
وخِلْـتُ رضـاهـا مَـدَى أمَلِي ... وخيرَ سـبيلٍ إلى الـحُـظْـوَةِ

وأهْـدَرْتُ فيهـا دمـاءَ الصِّبَـا ... وأذْلَـلْتُ فيهـا سَنَـا عِـزَّتي
وكنـتُ عَمِيّـاً تقـودُ خطـايْ ... إلى حيـثُ شـاءَتْ وقـد ضَلَّـتِ
وأَصْمَمْـتُ سَمْعِي عـن اللومِ فيهـا ... كـأنِّيَ (قَيْـسٌ) أخـو ضِلَّـةِ
فَـدُنْيَـاكَ (لَيْلى) إذا عَـرَضَـتْ ... سَقتْـكَ فَهِمْـتَ بـلا خَمْرَةِ

وقــد تَسْكَــرُ العُمْــرَ أو يَنْقَضِي — وكــأسُــكَ مَــلأى بما صَبَّــتِ
ومــا هُــوَ غيرُ شرابٍ حميــمٍ — تُسَقَّــاهُ فــوقَ شَفَــا حُفْــرَة
شُغِلْتُ إلَــٰـهي بـدنيـايَ حتـى — ظَنَنْــتُ خُلُــودِي بـلا أَوْبَــةِ
فـأَتْـرَعْـتُ كـأسِي بِـمَــعْصِيَّةٍ — وأفـرغْـتُ فيهـا مَـدَى هِمَّتِـي

وأسْرَجْـتُ خيلِي وأوقَـدْتُ نَـارِي — وَصُلْـتُ وَجُلْـتُ بـلا خَشْيَـةِ
كَـأنّيَ أملـكُ سِـرَّ الـحَـيَـاة — وأَمْــرَ المنيــةِ إنْ حَلَّــتِ
فلما أتــانيَ حكمُــكَ رَبي — نــذيـرٌ مـن الضّعْـفِ والشَّيْبَـةِ
وجــدْتُ الحيـاةَ وزخــرُفَهَــا — متــاعــاً قليــلاً إلى رَوْحَــةِ

ونـادى المنـادِي ألا قـد دَنَـا — رحيــلٌ وعَــوْدٌ إلى التربــةِ
سيمضِي الجميعُ ويـأفُلُ كَـوْنٌ — ســوى وجــهِ رَبِّـكَ ذِي العـزةِ
أتيتُــك رَبِّــي عَــرِياً بـلا — وشـاءٍ مــن الثـوبِ أو زينـةِ
ضعيفــاً فقيراً ســوى كَفَــنٍ — وشِبْرٍ مُقَــامِــي وَمَنْــزلتــي

ولـولا الرمـوُس ومـا سَتَـرَتْ — لبـانَــتْ خفـايــا ومـا سَرَّتِ
وللــدودِ في جُثَّتِــي مَــرْتَــعٌ — كــأنِّيَ مَــا كُنْـتُ ذا صَــوْلـة
أَوَ انِّيَ مَــا اُخْتَلَنــتُ في نعمــةِ — وحــوليَ قــومِـي ذوو العُصْبَـة
قـدِ انْفـضَّ عنـي عشيري وعـزي — وجــاهــي ومـالي فــواضيعتــي

فماذا عَسَــانِي أقــولُ إلَهي — إذامــا سُئِلْــتُ لــدى رَقــدَتي؟
ومــالي مَفَــرٌّ سِــوَى بــابِكُــمْ — ألــوذُ بــه مــن لَظـى النقمـةِ
ومــن فِتْنَــةِ القَبْرِ والظلمــةِ — ومــن ضَمَّةِ اللحـدِ والـوحشـةِ
ومـن شهقــةِ النـارِ ذاتِ الـوَقُـود — إذا بُــرِّزَت لــذوي الشّقْــوَة

ويــومَ يُبَعْثَــرُ مــا في القبــورْ — وتَــرْجِــفُ أرضٌ بما ضَمَّــتِ
وتعلــمُ نفــسٌ بما قَصَّــرَتْ — وتعلــمُ أُخْــرَى بما وَفَّــتِ
أَجِرْنِــي إلَــهِيَ يــا أَمَلِــي — ويَـا كـاشِـفَ الهمِّ والكُـرْبَـةِ
فمالِــي سِــواكَ ألــوذُ بِــهِ — ليمحــوَ مــا فــاتَ مــن زَلَّتِــي

التجربة الذاتية وآثرها في فكر التوحيدي

[الحلقة الأولى]

بقلم الدكتور: عبدالرحمن العيسوي
أستاذ علم النفس بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية - مصر

لا يمل الباحث المسلم ولا يكل من البحث والتنقيب وتقليب صفحات تراثنا الخالد والغوص في طياته الغنية والثرية وذلك بغية الكشف عن كنوزه ودرره ومكنوناته النفيسة من القيم والمثل والمعايير والحقائق العلمية والإنسانية والتحلي بالموضوعية والحيدة والنزاهة العلمية واتباع خطوات المنهج العلمي قبل أن يعرفه علماء الغرب. وهناك نتيجة حتمية لا بد وأن ينتهي إليها كل باحث منصف وعادل ومحايد وهي فضل السبق الإسلامي في كثير من العلوم والفنون والآداب والمعارف والنظريات والقوانين التي يدّعي الغرب اكتشافها أو وضعها بل إن المنصفين من الغربيين يعترفون بفضل الحضارة الإسلامية على نشأة الحضارة الأوروبية الآن. ولذلك فالباحث المسلم حري به أن ينفض الغبار عن تراثه، وأن يعلنه على الجميع وأن يعيد عرضه وصياغته في قالب عصري سهل الفهم والاستيعاب؛ ذلك لأن من لا ماضٍ له لا مستقبل ولا حاضر له. الإنسان ابن الحاضر والماضي معاً.

والاكتشافات العلمية خير دليل على فضل السبق، فها هو كتاب القانون في الطب للشيخ الرئيس ابن سينا يظل يدرس في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر، وها هم المنصفون يعترفون باكتشاف ابن النفيس للدورة الدموية الصغرى في جسم الإنسان، وها هو عبد الرحمن بن خلدون يضع أسس وقواعد علم العمران البشري أي علم الاجتماع قبل أن يدعي ذلك الفيلسوف الغربي أوجيست كونت. ويطالعنا التراث بمحاولة عباس بن فرناس الطيران، وها هم علماء الإسلام يعرفون الاستقراء والقياس والاستدلال من الحاضر على الغائب ويقررون دوران العلة مع المعلول حضوراً وعدماً. والتراث الإسلامي حافل بما يربو عن الحصر من الأمجاد والانتصارات والمفاخر مما يدفع الإنسان العربي الآن إلى الشعور بالفخر والاعتزاز والشعور بالقدرة على القفز

إلى عـالم المستقبل، وإلى تحقيـق الأمجاد كما حققها الأجداد.

وعلى ذلك فـإن الدعـوة لأسلمـة العلـوم الحديثـة أو تأصيلهـا أو إمـاطـة اللثام عـن جواهـرها لا تعنـي السكون أو السكـوت أو الخمـول أو الاستسـلام والـوقـوف مـوقـف المبـاهـاة والفخر فقـط، وإنما فيـه دفـع إلى الأمام. في الوقت نفسه دعـوة للتمسك بكل ما ينـاسـب العصر من قيمنـا ومثلنـا الخالـدة تحقيقاً للتـواصل الفكري والتماسك الـذهني وعـدم التغـرب أو التفرنـج أو سلـخ الجلـد العربي أو الإسـلامي عنّـا. فالـدعوة لإحيـاء التراث ودراستـه ومقـارنته واستعـراضـه؛ ليست دعـوة للتخلف وإنما هي دعـوة للثقة بالـذات وبالعقليـة الإسلاميـة التي حققت الأمجاد، التي بهرت العالمين.

وفي هذا المقـال المتواضع دراسة لفكـر أبي حيّان التوحيدي وسوف يرى القارىء الكريم كيـف كان فكـره نـاضجـاً ذكياً وكيـف فهـم الطبيعـة البشريـة وكيـف عبّر عـن سلـوك الصداقـة وعن القيم الأخـلاقية وعـن ظروف عصره والالتـزام المنهجـي بـالموضـوعيـة والحيدة والملاحظة والدقـة وكيف اعتمد على أكثر من منهج من مناهج المعرفة حيث اعتمد على العقـل والنقـل والملاحظـة والتجـربـة والحس الذاتي والاستفادة من تراث الفرس.. وهكـذا يكشـف لنـا عـن تفتـح ذهنـي. والتوحيدي من الناحيـة التربوية، مثال جيد يحتذى بـه حيث نبـغ وانتشر وازدهر رغـم معاناته من الفقر والعوز والحرمان والقسوة والفشل والإحباط واليتم.

حياته ونشأته:

أبو حيان التوحيدي هـو علي بن محمد بن العباس (٣١٠/٣٢٠ - ٤١٤هـ). ولقـد لقب «بـالتوحيـدي» نسبة إلى نـوع من «التمـر» يعـرف بهذا الاسـم حيث كـان والـده يعمـل بالتجارة فيه، أو نسبة إلى فلسفة التوحيد أي تـوحيد أو وحـدة الشخصيـة الإلّهية وعـدم التعدد وكنيته «أبو حيان» ولقد ولد في بغداد عام ٣١٠هـ الموافق عـام ٩٢٢م وإن كانـت هناك بعض المصادر التي ترى أنه ولد في عام ٣٢٠هـ / ٩٣٢م أي القـرن العاشر الميـلادي والرابع الهجري.

انحـدر التوحيـدي مـن والـدين فقيريـن، وعاش طفولـة تعسة، معذبة ، محرومـة من العطـف والحنان. ولعـل هـذا الحرمان هـو الذي أثر فيه فيما بعد فجعله يشعر باليأس فيعمـد إلى حرق كتبـه في حـالـة من حـالات اليأس الشديد. ولكن معانـاته كانت سبباً في دفعـه وحماسـه نحـو الـدرس والقـراءة والتحصيـل بشغف واهتمام كبيريـن. ومـن وجهة النظر السيكولوجية، يمكن تفسير ذلك بحيلـة دفـاعيـة تعـرف الآن بـاسـم التعويض(١) Compensation أي تعويض الإنسـان عـن حـالـة مـن حـالات الحرمـان بالتفوق في النواحي الأخرى، كالتعويض عن الفقر بـالعلم أو الضعف باكتنـاز المال. ولقد دفعه حماسه في طلب العلـم للتنقل والسعي في طلبه، فسـافر إلى بلاد عـديدة، منهـا الري ونيسابور وشيراز، والتقـى بكثير من الأئمة والشيوخ، منهم أبو سليمان محمـد بن طاهر ابن بهران السجستـاني، كما التقى مـع أحد علماء علم المنطق وهـو أبو زكريا يحيـى بن عدي (٣٦٤هـ / ٩٧٦م) والتقى مـع بعض النحاة، ومنهم أبو سعيد السيرافي (٣٦٨هـ / ٩٨٠م) وكان هذا الأخير نحويا ومتكلماً وكان مـن أنصـار الفكـر المعتزلي. والتقـى كـذلـك

بالشيخ علي بن عيسى الرماني (٣٨٤هـ / ٩٩٦م) وهو من أصحاب العدل والتوحيد وكان ضليعاً في كل علوم عصره.

ولقد تعلم أبو حيان التوحيدي الفقه الشافعي على يد أستاذه أبي حامد الروزي. ولقد حاول التقرب من الوزراء والحكام، ولكنه فشل في الحصول على المناصب الكبيرة التي كان يتطلع إليها، والتي يرى أنها تتفق مع ثقافته الواسعة. ولقد جرى كثيراً وراء الشهرة الأدبية، ولكن بعد ذلك اعتبرها طموحاً زائفاً، وربما يرجع ذلك إلى فشله في الحصول على المرتبة التي كان يطمح إليها. ويقال في تفسير ذلك إنه لجأ إلى ما يعرف اليوم باسم حيلة «العنب الحامض» حين يفشل الإنسان في الحصول على شيء ما، فيعلل ذلك، على المستوى اللا شعوري، بواحدة من ميكانزمات الدفاع وهي حيلة العنب الحامض The Saur graps تعبيرا عن «زهده» في ذلك الشيء الذي فشل في الحصول عليه. وقضى مرحلة الشيخوخة متعباً ناسكاً مستغفراً بصحبة بعض الصوفية إلى أن توفي في ٤١٤هـ / ١٠٢٣م ودفن في شيراز.

أهم أعماله العلمية:

للتوحيدي كثير من المؤلفات منها:

١- رسالة الصداقة والصديق.

٢- رسالة العلوم.

٣- كتاب المقايسات.

٤- كتاب الإمتاع والمؤانسة.

٥- كتاب الإشارات الإلَهية والأنفاس الروحانية.

٦- الهوامل والشوامل.

٧- البصائر والذخائر.

٨- مثالب الوزيرين.

إلى جانب عدد آخر من الرسائل التي تصور أحوال عصره وظروفه السياسية والاجتماعية والدينية وفكرة الحياة والموت عنده.

أفكـــاره:

اتهم التوحيدي بالإلحاد، ولكنه في الحقيقة لم يكن ملحداً، وإنما كان موحداً كما يبدو ذلك من مناجاته لله تعالى قائلاً: «إلَهي كل ما أقوله فأنت فوقه، وكل ما أضمره فأنت أعلى منه، فالقول: لا يأتي على حقك في نعتك، والضمير لا يحيط بكنهك، وكيف نقدر على شيء من ذلك، وقد ملكتنا في الأول حين خلقتنا، وقدرت علينا حين صرفتنا ... ومن الجهل أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك، ومن سوء الأدب أن أعرفك بغير ما عرفتني به حقيقتك» (٣).

وكلامه في «الإشارات والتنبيهات» يكشف عن درجة عليا من الإيمان. ولقد نادى بالرجوع إلى «العقل» إذا ما شعر بالضيق. وكان فكره الفلسفي يتسم بالشمول، فالفلسفة في نظره ما هي إلا وجهة نظر جزئية تتسم بطابع خاص فالحقيقة ليست وقفا على مذهب واحد بعينه.

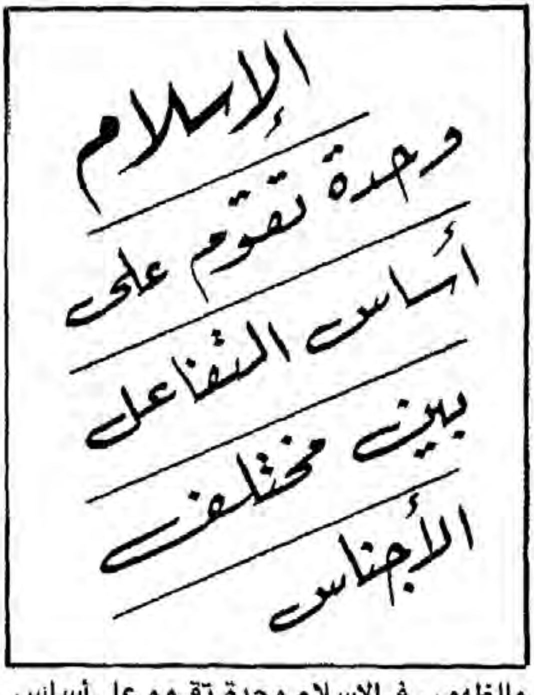
منهجـــه :

وتقول فوقية حسين إنه كان يهتم بالألفاظ ومعانيها، من حيث اللغة والاصطلاح الفني، كما كان يستفسر عن كثير من الظواهر النفسية. كان يغلب عليه التشاؤم الشخصي، وإن كانت كتاباته ممتعة ولا يفوته فيها الدعابة. ولقد عاش حياة صوفية واهتدى إلى التوحيد من واقع تجاربه الذاتية الشعورية الوجدانية. Abu - Hayyn

Al-Tawhidi أبو حيان التوحيدي توفي في عام ١٠٢٣م، ويقال فيه إنه كاتب وفيلسوف وأديب عربي، من أشهر مؤلفاته «المقايسات» و«الإمتاع والمؤانسة» (٤). ويقال في وصف شخصيته أنه كان حكيماً وفيلسوفاً وصوفياً ذا مشاركة في علوم شتى، شافعي المذهب، وكان صاحب طراز فريد في الكتابة والأسلوب، ويقال إنه ولد في شيراز أو في نيسابور أو في بغداد. وعاش أكبر جزء من حياته في بغداد، ثم رحل إلى الري، وعمل عند ابن العميد والصاحب بن عباد، فلم يحمدهما. ومن مؤلفاته «الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي» (٥).

ولقد احتفلت به مصر في عام ١٩٩٥ بمناسبة مرور ألف عام وعامين على وفاته احتفاء بميراثنا المبدع والخلاّق، ذلك الاحتفاء الذي لا يقل قدراً ولا شرفاً عن احتفال أمتنا العظيمة بمستقبلها الواعد انطلاقاً إلى المستقبل الآتي. ومراجعة الأمة لذاكرتها تدفعها إلى الأمام وتحفزها إلى التقدم إحياء لحضارتها الخالدة وامتداداً لها. ذلك الميراث الثقافي الذي يزال متصلاً قادراً على الخلق والإبداع والعطاء السخي الفياض. فاستشراف الماضي حافز للمستقبل والحاضر داعٍ إلى الفاعلية والإيجابية والوثب والاجتهاد والانفتاح الفكري والثقافي والحضاري والتفتح الذهني، أن ننتقي فقط ما يتواءم مع أمهات ثقافتنا الإسلامية العظيمة وفي ذلك رد على دعاة العلمانية والقول بأننا نتشبث بالماضي ونهمل أو نغفل الحاضر وحرارته ، وإنما نحن نستعيد الماضي ليكون لنا فيه دافع وحافز ونفض التراب عما علق به من غبار النسيان – ونسترجعه في رواية حديثة نأخذ منه أيضاً ما يلائم العصر الحالي. فمن لا ماضي له لا مستقبل ولا حاضر له، نأخذ من الماضي الدروس والعبر والتراث والثقافة والعلم والخلق والمبادىء والأصول والجذور. ومن الناحية النفسية، نستطيع أن نقول، بلغة العصر، إن أبا حيان التوحيدي كان شخصية متعددة الجوانب وموسوعي الفكر بصرف النظر عن أصله أو مولده.

فلقد نجح الإسلام في الجمع بين أجناس متباينة في أعظم معاني صور الإنسانية. فلا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى. وأتاح الإسلام الفرصة لغير العرب بالنبوغ والظهور. فالإسلام وحدة تقوم على أساس التنوع والتفاعل والتأثير المتبادل بين مختلف الأجناس. وحدة لا تعرف التعصب، وإلاّ لما بزغ الفرس وغيرهم من غير الجنس العربي في رعاية وفي ظل وفي رحاب الإسلام. وحدة يغمرها التسامح (٦).



حالته النفسية وأثره على إنتاجه:

ولقد عانى أبو حيان التوحيدي من حالة

قاسية من الشعور بالتشاؤم وعاش مأساة الحرمان الذاتية التي أدت به إلى إحراق مؤلفاته وأبو حيان يختلف الناس حول أصله: هل هو عربي(٧) أم فارسي. الواضح أنه كان يجهل الفارسية. ولكن هذا الجهل وحده لا يعني بالضرورة أنه ليس فارسياً فقد تكون أسرته قد نزحت به صغيراً إلى العراق.

والحقيقة التي يراها الكاتب أنه مهما يكن الأصل الذي ينحدر منه أبو حيان أو غيره من أقطاب الثقافة الاسلامية، فإنه تربى وتعلم وترعرع وتنشّأ في أحضان الإسلام، وعلى أيدي علماء مسلمين ودخل المدارس الإسلامية. وفي ظل التراث الإسلامي وعلوم القرآن وتمتع بالتسامح الإسلامي، فلولا مناخ الإسلام وتراثه ما كان له أن يكون كاتباً أو أديباً أو فيلسوفاً، فكل هؤلاء مهما اختلفت الآراء حول جنسياتهم، فهم بالتعليم وبالإقامة وبالثقافة والنشأة إسلاميون بلا منازع. والحقيقة أن التوحيدي كان فقيراً وكان يشعر بالغربة، ولقد عاش يتيماً في كفالة عمه الذي كان يبغضه ويسيء إليه. وإليه يرجع القول «بأن لكل أمة فضائل ورذائل» عندما سأله ابن الفارض أيهما تفضل العرب أم العجم؟ والغريب أن يتفق هذا الرأي مع الرأي السائد في علم النفس الحديث في الوقت الحاضر. ذلك الرأي الذي يؤكد أن جميع الأجناس والسلالات سواسية في كم ما يمتلكون من زكاء، ولا توجد سلالة جميعها من الأغبياء وأخرى كلها من الأذكياء. وكانت الفلسفة النازية Naziam ترى ذلك تعصباً منها للجنس الألماني الذي كانت ترى فيه الذكاء والسمو على كافة الأجناس، ومن ثم كانت ترى أنه جدير بأن يحكم العالم كله. وقادها هذا الفكر الخاطيء إلى حربين عالميتين هما الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) والحرب العالمية الثانية

> أبو حيّان من أقطاب الثقافة الإسلامية وتربى في أحضان الإسلام

من (١٩٣٩ - ١٩٤٥) والرأي السائد الآن في الأوساط السايكولوجية أنه في كل جنس توجد فروق فردية واسعة بين أفراده، فهناك العباقرة والأذكياء وضعاف العقول. أما الفرق الملاحظ في مبلغ التحضر والرقي فيرجع إلى ظروف الاستعمار والفقر والحرمان وليس إلى العوامل السلالية. ونلمس في رأي أبي حيان هذه الموضوعية والحيدة وعدم التعصب أو الانحياز للعرب أو العجم ولو كان أصله أعجمياً لربما قاده ذلك إلى تفضيل العجم وتعكس كتابات التوحيدي حياة الحرمان التي مرّ بها أو الظروف المادية التي عاشها، ولكنها لم تمنع النبوغ بل ربما شجعت على الابتكار والموسوعية والدقة والثراء الذهني والعمق ونقاء العبارة وصفاء الأسلوب. الفقر، قد يكون دافعاً نحو التفوق والجد والاجتهاد والكفاح والنضال والسعي الشاق والجاد لتحسين مستوى الإنسان والارتقاء به. فالفقر ليس عاملاً هداماً على طول الخط بل

٣ مراحل مرّ بها التوحيدي: اليأس والمناجاة ثم التصوّف

إن الثراء قد يقود في بعض الأحيان إلى الفساد والانحراف والضلال والفسق والفجور وأمور مثل الإدمان. ويمكن أن نلمس في حياته مراحل مرت به من مراحل حياته هي مرحلة اليأس وبعدها مرحلة المناجاة الحارة إلى خالقه العظيم. وفيها تتجلى نزعاته الصوفية. والتوحيدي من أعلام القرن الرابع الهجري الذين أضاؤوا الطريق لمن أتى بعدهم. ولم يكن التوحيدي من أعلام القرن الرابع الهجري وحده، وإنما نلمس شخصيات أخرى عظيمة مثل : ابن جرير الطبري، وأبي الحسين الأشعري، والباقلاني والماوردي (صاحب الأحكام السلطانية) والجويني والغزالي ومسكويه وأبي الفرج الأصفهاني والمعري والشريف الرضي والجرجاني وابن النديم وأبي هلال العسكري وغيرهم (٨). واذا كان القرن الرابع الهجري قد شهد ازدهاراً في الفلسفة ونقل التراث من اليونانية إلى العربية. لكنه شهد أيضاً العديد من الصراعات حول ما استجد من فنون المعرفة إلى جانب التناقضات التي واجهت الحكم العباسي، خاصة بعد موت الخليفة المكتفي عام ٢٩٥هـ ولقد ساد الفساد السياسي والفوضى أواخر الدولة العباسية، وسادت حركات الانفصال عن الدولة الأم. وفي عهد التوحيدي كثرت المناورات والدسائس والخوف من الجهلة، لذلك احتمى بعض العلماء بفكرة «التقية» أي اتقاء شر الخصوم لا إعلان خصومهم علناً. لذلك نشأت المجالس السرية وكان التوحيدي واحداً من أعضائها(٩). وكان عصره مليئا بالفتن والغرائب، وكان المجتمع منقسماً إلى أغنياء وفقراء. ولقد قدم أبو حيان التوحيدي صوراً عدة لهذا الحرمان «إن أصحاب العيال يسلكون سبلاً وعرة قد لا تقبلها الأخلاق وكل ذلك من أجل توفير الكُسَيرة اليابسة والبُقَيلة الزاوية والقميص المرقع».

فهمه للظروف الاجتماعية في عصره:

ولقد أدرك أبو حيان التوحيدي حالة الطبقية في المجتمع في عصره تلك الحالة المنقسمة التي أدت إلى انقسام الانتاج الأدبي بدوره إلى أدب الفقر والحرمان والبؤس والشقاء والتعاسة والشكوى والغبن والظلم، وأدب الترف حول حياة اللهو في قصور الأمراء وفي مجالس أصحاب الأموال والملوك والوزراء ومن يلوذ بهم من العلماء والأدباء والتجار. ومن الصعب تصنيف أدب أبي حيان في فئة من هاتين الفئتين، لأنه جمع بين اتجاهين، ولأنه نشأ من الطبقة العامة وتحمس لقضاياها في الوقت نفسه عاشر الخاصة والوزراء.

وتختلف الأحكام حول التوحيدي، فهناك من رماه بالزندقة، وهناك من أطرى عليه وامتدحه وهناك من اعتبره فيلسوف الأدباء كما ذهب إلى ذلك ياقوت الحموي والذي ترجم له في كتابه «معجم الأدباء» وهناك من نعته بأديب الفلاسفة. وقال عنه إنه كان جاحظياً أي متأثراً بالجاحظ، ووصفه السبكي بأنه شافعي فقيه. وهناك من اعتبره أعظم كتّاب النثر العربي على الاطلاق(١٠).

ولقد اعتبره زكي مبارك على رأس كتّاب الآراء والمذاهب في القرن الرابع الهجري، وأنه مثقف موسوعي، ونابغة عصره وأنه كاتب موهوب متمكن من فهم الفلسفة في كتابه «المقابسات» وكان زكي مبارك يرى أن للتوحيدي شخصيتين: هما:

أ- شخصية الأديب أو الفنان الذي يتحدث عن نفسه وعواطفه وهمومه.

ب- شخصية الباحث الموسوعي الموضوعي. ومن مزاياه أنه قرب الفلسفة ، بأسلوبه، من الجماهير العريضة. وهو مؤلف غزير الإنتاج ولو أنه لم يحرق في أخريات حياته مؤلفاته لكانت الفائدة منها أعم وأشمل.

ويعكس كتابه «الصداقة والصديق» حالة اليأس التي كان يعاني منها. وفي كتابه «الإشارات الإلهية» ضمن أدعيته الحارة إلى الله تعالى، بعد أن مر بمرحلة اليأس. ولقد شعر أبو حيان بالحيرة حول منزلة الإنسان وفهمه وإدراك مقاصده «إن الإنسان قد أشكل عليه الإنسان» وكان يرى ضعف الإنسان في التوفيق بين مطالب شهواته وسعيه لإرضاء ربه (١١). معتقداً أن الإنسان كان في حالة تذبذب. تعبيراً منه عن مشكلة ما زالت قائمة وهي فهم الطبيعة البشرية Thehyman na-ture ويطرح عدداً من التساؤلات التي نرى فيها طابعاً سيكولوجيا نفسيا منها، ما السبب في اشتياق الإنسان إلى ما مضى من عمره «الهوامل والشوامل»، وفي علم النفس نعبر عن ذلك بالقول بأن الإنسان أسير ماضيه وخبراته وتجاربه وذكرياته السابقة التي تحفر في حسه ووجدانه، وتؤثر فيه إما تأثيراً سالباً أو موجباً. ولذلك يتأثر المراهق بالخبرات التي مر بها في مرحلة الطفولة

> الإنسان كان مصدر اهتمامه وتأمله وتفكيره

ويتأثر الشاب بما مر به في مرحلة المراهقة. ويتساءل التوحيدي لِمَ يغضب الانسان من شر ينسب إليه وهو حقيقة فيه؟ تعبيراً عن فكرة النقد الذاتي أو لوم الذات وتأنيب الضمير وما يعرف الآن في علم النفس بنزعة رياء أو نفاق الذات Self-Flattering فالانسان لا يريد أن يعترف بما فيه من نقائص وعيوب ولا يحب أن يعري نفسه ويكشفها أمام نفسه أو أمام الغير لذلك يتظاهر خلافاً لما يبطن وتعرف هذه الحالة النفسية اللا شعورية في التراث النفسي الحديث بإسم العكسية Reaction Forma-tion حين يتظاهر الانسان وما يوجد لديه من صفات، وحين يرغب في إظهار نفسه بمظهر لائق براق. لذلك يبادر الإنسان للإجابة بالنفي القاطع إذا ما سألته: هل أنت أناني أو عدواني ، أو نهم أو شرير؟ حتى وإن كان يعلم أن تلك صفاته. ويتحدث التوحيدي بما يفيد إدراكه لحيلة دفاعية لا شعورية أخرى وهي: حيلة العنب الحامض، حين تساءل التوحيدي: لِمَ ذم الإنسان ما لم ينله؟ فالإنسان إذا فشل في الحصول على شيء

تظاهر بأن هذا الشيء تافه ولا حاجة له به.
ويعبر التوحيدي عن نزعة نفسية واجتماعية معروفة الآن وهي مقاومة الناس لكل ما هو جديد أو لكل ما هم يجهلونه، وذلك بقوله «ولما عادى الناس ما جهلوا»؟ دائماً الأفكار والفلسفات والاتجاهات والأنظمة والسياسات الجديدة التي يجهلها الناس يقاومونها ويعادونها حتى وإن كانت أفضل من الأوضاع القائمة. فلقد كان الناس يقاومون فكرة تشريح جسم الإنسان وفكرة المذياع والتلفاز وفكرة نقل الأعضاء واشتغال المرأة وفكرة الاشتراكية وفكرة التعليم المختلط وفكرة الجمهورية.

ويعبر التوحيدي عما نقوله الآن بأن كل ممنوع مرغوب حيث يقول «ما سر قولهم إن الإنسان حريص على ما هو مانع؟» ويتضح أن فكرة «الإنسان» كالشأن في علم النفس الآن، كانت شغله الشاغل وكانت مصدر إلهامه ووحيه واهتمامه وتأمله وتفكيره.

الإنسان كان محور تفكير التوحيدي وكان التوحيدي يرى أن الإنسان مخلوق ناقص، ويتفق في هذا مع علم النفس الحديث الذي يدرك أن الإنسان عاجز في تفكيره وفي تعلمه وفي تذكره وفي مختلف قدراته واستعداداته عن الوصول إلى حد الكمال المطلق، فالإدراك الحسي تعتوره الأخطاء(١٢) وخداع الحواس والتفكير محدود والذاكرة لا تعود إلى الوراء إلى مالا نهاية وهكذا .. وانعكست فكرة النقص هذه على وصف التوحيدي لنفسه أو فكرة وجود التناقض في سلوكه. فمرة نراه معتداً بنفسه حين يتحدث عن التسامي والمروءة والسعي لاستكمال علمه، وتارة أخرى نراه شاكياً متوجعاً من القهر والفقر والحرمان. فنراه في الاستجداء يقول: خلصني أيها الرجل من التفكك، انقذني من لبس الفقر أطلقني من قيد الضر، ارحمني بالاحسان(١٣).

للبحث صلة

أتمنى رجالاً

مر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوم يتمنون ، فلما رأوه سكتوا ، قال : فيم كنتم ؟

قالوا : كنا نتمنى . قال : فتمنوا وأنا أتمنى معكم . قالوا : فتمن .

قال . أتمنى رجالاً ملء هذا البيت مثل أبي عبيدة بن الجراح ، وسالم مولى أبي حذيفة . . .

إن سالماً كان شديد الحب لله ، لو لم يخف الله ما عصاه . . . وقال رسول الله ﷺ :

« لكل أمة امين ، وأمين هذه الامة ابو عبيدة بن الجراح » .

[البيان والتبيين]

إعداد :
موسى صالح شرف

مشكلة الزواج بالأجنبيات

من المشكلات الجديدة التي تواجه الأسرة مشكلة الزواج بالأجنبيات أو ما يسمونه بالزواج المختلط حيث يقدم مسلم على الزواج من أوروبية نصرانية أو يهودية ودوافع هذا الزواج غالباً دوافع عاطفية بحتة. وباعتراف أصحابه الذين أقدموا عليه يعيش الزواج المسلم ممزقاً بين ثقافته وحضارته التي تبقى رواسبها مهما انحرف وثقافة وحضارة ونمط عيش زوجته، فلا أسرته وأهله يقبلون عليه بتلقائية ولا أسرة زوجته والمجتمع الذي تنحدر منه، بل إن المجتمع الغربي لا يزال ينظر نظرة عنصرية إلى غيره من الشعوب، نظرة أساسها الاحتقار والكبرياء والتعالي، إذ تكاد تقاطع المتزوجة من الأجنبي رغم ما تضمنه ظاهراً القوانين للزوجة وحتى زوجها، وتزداد المشكلة تشعباً عندما ينجب الزوجان أطفالاً. إن الأب قليلاً ما يكون متمسكاً مطبقاً لشعائر دينه. وهناك ينشأ الخلاف بين الزوجين، وكثيراً ما تتغلب الزوجة وتربي أبناءها كما تشاء، بل يصل بها الحال إلى تسميتهم بأسماء نصرانية، وهكذا يساهم المتزوجون بالأجنبيات في تنصير أبنائهم عوضاً عن تبليغ أمانة الدين لهم.

إن الإقدام على الزواج بالأجنبيات «الكتابيات» وإن كان جائزاً إلا أن ما يترتب عليه من نتائج يوصله إلى درجة الحرمة.

حيوية الطفل لا تدل على ذكائه

كيف تعرفين أن ابنك من النوع زائد النشاط؟.

أمر بسيط، إنه يتحرك على الدوام ويبحث باستمرار عن شيء جديد يشغله. أما الطفل ذو النشاط القليل فإن طبيعته أكثر هدوءاً، يتأمل ويراقب ما يجري من حوله.

الحيوية.. والنضج

هل يحمل الهدوء والنشاط الزائد أية دلالة؟. هل يجب إعطاؤهما أية أهمية؟ يجيب علماء النفس بالنفي.. حتى لو ذهل بعض الأهل أمام نشاطات أبنائهم ومغامراتهم وقلق البعض من هدوء طفله المفرط أو سلبيته، فكثرة الحركة لا تعني بالضرورة مؤشر نضج فكري ولا تنبيء عن أية درجة من درجات الذكاء أو بأي تطور لاحق. وكثيراً ما نشاهد تحول طفل من الهدوء إلى النشاط الزائد والعكس صحيح.

توجد في الواقع أنماط مختلفة من التطور النفسي – الحركي وسرعات مختلفة تحدد نمط التفاعل مع العالم المحيط. وعلى الأهل أن يحترموا مزاج الطفل وألا يجبروه على القيام بأشياء لا يريدها. إن أية علاقة ينسجها الطفل مع عالم الناس والأشياء من



حوله تـدل على شخصيته الجنينية ولا يجب أن نسير عكس هذا البناء الـدقيق والأساسي، فالتفاعل ما بين الفـردية النفسية – الحركية لكل طفـل وبين استجـــــابـــــة الأهل لها يسمح للطفـل بالتفتـح وتنمية شخصيتـه. وإذا كـانـت توقعـات الأهـل كبيرة جـدا ولا تنسجم مـع قدرات الطفل، أو إذا كـان «سوء الفهـم» بين الطـرفين كبيراً جـداً فـإن الطفـل سيلاقـي صعوبـات كبيرة. فسلوك الشهـور الأولى في حياة الطفل يعتمد في جزئه الأساسي على تركيبـات فيزيولوجيـة محددة قد تتغير لاحقا.

فكل واحـد منا يملـك عند ولادتـه رأسمال وراثياً محددا. ويعرف النشاط الـزائد بكونه تقديـراً للحجم العضلي لـدى الطفل وقـدرته على شد عضـلاته. فمنـذ الأيام الأولى يتمكـن الطفل زائد النشــاط مثلا من التحكم بـرأسه خـلال جزء مـن الثـانيـة بينما الطفل قليـل النشاط يكتسب هذا التحكم في فترة لاحقة.

أفكار خاطئة

وعلى هـذا الأساس البيـولوجـي الوراثـي تنـدرج فيما بعـــد الحيـويـــة والقـدرة على الإمساك بـالأشياء ويسمـى ذلك بـالتنسيق الحسي – الحركي. ويبدو بعض الأطفال أكثر موهبة مـن غيرهم في هذا المجال مـع العلم أن أداءهم هـذا لا يسمح بـالحكم على تطـورهم الذهنـي لاحقا، بل يساعـد على تشكيل أنماط خاصة من التفاعل مع البيئة المحيطة.

وهنا قـد نجد صـورتين لطفلين مختلفين. الطفل قليل النشاط شـديد الانتباه والمراقبة، الـذي يتعلم بعينيـه. والطفل زائد النشــاط الذي يستخـدم جسمه وإدراكـاته الحسيـة لينسج علاقـة مع محيطه. وليس ذلـك الأمر بمثـــابـة حكـــم على مستـــوى الـذكـــاء أو الشخصية. فسرعـة النمو أو التطور عـرضة لتغييرات غير متوقعة.

وهكـذا، إذا مشى الطفـل في شهره الثـاني عشر أو السـادس عشر فـــإن ذلـك لا يغير في الأمر شيئا وليس مـن الضروري أبدا التدخل أو دفع الطفل نحو الحركة، والطفل لا يصبح أكثر ذكاء إذا ما خرق مـراحل نموه الطبيعية أو قفز من فوقها، على الرغم من السعادة التي قد يجدها الأهل إذا ما مشى الطفل باكراً مثلا. فالمهم أن يعيش كل طفـل حالته الخاصة به وأن يحرز التقدم المناسب له.

وعلى عكس الفكـرة الشائعـة، فإن الأولاد ليسـوا اكثـر نشـاطـــا مـن البنـات، بـل إن الإحصـائيـات تـدل على العكـس. فـالبنـات يتمتعن منذ البدايـة بتنسيق نفسي – حركي أفضل، لذا يمشين في سن مبكرة.

علاج الجفاف عن طريق الفم

يتسبب الجفـاف الناجـم عن الإسهـال في ٧٠٪ من الوفيات الناتجة عن الإسهالات، غير أنـه بـالإمكـان اليوم منـع حـدوث الجفـاف باستخدام طريقـة معالجة الجفاف عبر الفم

وهي طريقة سهلة وقليلة التكاليف بحيث يمكن لجميع الأمهات استخدامها إذا ما عرفن كيفية تطبيقها عن طريق الأكياس الجاهزة أو المحاليل المنزلية.

سر الحيوية والصحة في الزعتر وحصا البان

إنني كباحث وخبير للغذاء وطب الأعشاب أستطيع أن أقرر من خلال تجاربي أن سر القوة في الزعتر حيث يحتوي على زيت طيار مادته الفعالة هي الثيمول وكذا مادة كارنكرول وهي مواد تفيد في طرد الغازات وإزالة المغص وذات أثر مطهر تزيل الآلام. قال في شأنه ابن سينا في القانون إذا تم مضغه فهو مسكن من وجع الأسنان ويشفي اللثة المترهلة لقوته الفعالة وذكر أيضا ابن البيطار في مفرداته انه هاضم ويدر البول والحيض!!! وينقي المعدة والكبد والصدر ويحسن اللون ونافع في وجع الأسنان. وذكر داود الأنطاكي في تذكرته أن طبخه مع التين يحل الربو والسعال وعسر التنفس وهو مع الجبن الطري من أفضل وأشهى الأغذية وتجمل أهميته الطبية في الآتي:

* استعماله مطهر كمستخلص ضد الجراثيم بالفم لذا فهو يدخل في صناعة معجون الأسنان.

* وقيل عنه إن الجنود الرومان كانوا يغتسلون به لإكسابهم الشجاعة والقوة واستخدمه قدماء المصريين في عمليات التحنيط وصناعة العطور.

* الزعتر هام لنكهته في كثير من الأطعمة كالفطائر والمأكولات حيث الرائحة الطيبة.

* تناول الزعتر مع زيت الزيتون ينقي الأمعاء ويقتل الديدان.

* ولعلاج السعال تغلى ملعقة صغيرة من مسحوقه الناعم في كوب ماء ثم يصفى ويحلى المستخلص بسكر النبات أو عسل النحل ويوخذ قبل النوم يوميا.

* في بعض البلدان يطلق عليه مردقوش أو زعتر بري أو عتره أو مروه ويشرب مغليا مع العسل لعلاج الربو وضيق التنفس ولتفتيت الحصوة وإدرار البول ومكافحة التشنجات.

* يمكن استنشاق مسحوقه للزكام، ويطلى به لتخفيف الأورام.

* منقوع الزعتر يستخدم في غسل الرأس وزيته مع الزيتون يقوي فروة الشعر ومنع سقوطه!!!.

* يمكن استخلاص زيت الزعتر الطيار بوضع بعض من أوراقه الخضراء أو الجافة في زيت الزيتون في زجاجة محكمة بسدادة توضع في الشمس مدة أسبوعين مع الرج يوما بعد يوم ثم تصفى بشاش معقمة ثم يحفظ المستخلص للاستعمال عند الحاجة في حالات العلاج المتعددة ونقط زيت الزعتر مع قطعة من السكر ثلاث مرات يوميا لمدة ٤:٦ أسابيع تطرد الديدان المعوية وتقطعها.

* ومستحلب الزعتر مفيد في حالات رمد



العين والتسلخات والتهابات اللوز وقرحة المعدة.

حصا البان

هذا عن الزعتر وقوته أما عن حصا البان أو أكليل الجبل فهو نبات دائم الخضرة عطري أوراقه مبرومة بشدة أطرافها إبرية رائحته تشبه الكافور وأوراقه وقت الأزهار تحتوي على زيت طيار أهم مادته الفعالة اليورنيول.

وهو مفيد كغذاء ودواء وكتوابل في المأكولات لفتح الشهية، وتسمى «روز ماري»؛ منقوع مسحوق أوراقه في ماء مغلي (ملعقة صغيرة في نصف كوب ماء مغلي) تفيد في علاج ضعف الأعصاب وتقوية الذاكرة وهو منشط للكبد والمعدة والمرارة يفيد في علاج أمراض الصدر وتنظيم دورة الحيض عند النساء!!! يفيد في علاج احتباس البول حيث يدره ومطهر للكلى ومقو لكرات الدم عند المصابين بفقر الدم يشرب وحده أو مع الشاي لعلاج التهابات المفاصل وأمراض الروماتيزم ويستخدم كغرغرة للفم فيشفي التهابات اللثة والحلق.

استعماله يكون بحذر وباعتدال ويمنع على الحوامل استخدامه

لذلك ننصح بان تضع الزعتر وحصا البان كصيدلية طبيعة في بيتك لتناولهما عند الضرورة بدلا من العقاقير الكيماوية المعقدة.

م. عثمان أبو العينين شما

السعادة الحقيقية وأسبابها

لا شك أن الجميع يعلم يقينا أن السعادة الحقيقية تتمثل في امتثال منهج الله عز وجل.. في الإيمان بالله والعمل الصالح...، لا يذوق معنى السعادة إلا المؤمنون العاملون، قال الله جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ - «النحل/ ٩٧».

ومن أعظم أسباب السعادة الحقيقية.. الاستقامة على منهج الله عز وجل..، قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ، نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ، نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ - «فصلت/ ٣٠، ٣٢».

فالمستقيم على منهج الله. التائب دوماً من كل ذنب هو الذي يشعر باللذة.. وهو الذي يشعر بالسعادة..، وهو الذي يشعر بالطمأنينة والأمن والأمان..، ومن رحمة الله بهؤلاء أن الله يُنَزِّل لهم الملائكة على فراش الموت. كما قال بعض أهل العلم. بل وحين الخروج من القبور. ففي وقت تنزّل الملائكة على أهل الإيمان والاستقامة قولان: الأول، أن تتنزّل الملائكة بالبشارة على أهل الإيمان والاستقامة وهم على فراش الموت.. وأن تتنزل الملائكة بالبشارة على أهل الإيمان والاستقامة عند الخروج من القبور.. وثانياً، الإيمان بالقضاء والقدر، فالمؤمن مستريح؛ لأنه يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطئه.. وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.. فهو مطمئن النفس، منشرح الصدر.. سعيد القلب يعلم أن كل شيء في هذا الكون إنما هو بقدر الله تعالى.

منهج تربية الطفل في التشريع الإسلامي

للأستاذة
مليكة راجي
عميدة جامعة محمد الخامس

يهمنا في هذا الموضوع أن نتحدث عن مظاهر الاهتمام بمرحلة في عمر الإنسان هي مرحلة الطفولة التي تشتد فيها الحاجة إلى رعاية تربوية كان للإسلام فيها توجيه، وكان للشريعة فيها منهج واضح نحاول اعطاء لمحة عنه في العناصر التالية :

- التربية حق للطفل
- الطفل في بيئته الأولى
- الطفل في محيطه المدرسي
- وسائل التربية الإسلامية
- شمول التربية الإسلامية

وقد كان اعتمادنا على ما جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال فقهائنا الذين استطاعوا بادراكهم لمبادىء شريعتنا أن يخططوا منهجا تربويا لرعاية الطفل المسلم حتى يكون عضوا صالحا نافعا في مجتمعه . . . وكما يجد الباحث هذه الأقوال الفقهية متناثرة في كتب الفقه العامة فهو يجدها في كتب مستقلة خصت التربية بالتأليف وبرهنت على عناية علمائنا بموضوعها الخطير.

التربية حق للطفل

إن الغرض من تعليم الطفل وتربيته أن يتزود بخلاصة الحضارة التي تسود مجتمعه، وأن يستعد لمواجهة مطالب الحياة الاجتماعية وأن تنمو ملكاته وأن يتعلم الاعتماد على النفس، ويكسب القدرة على القيام ببعض الأعمال ويتجنب مواطن الزلل والانحراف، ويكون عضوا نافعا في مجتمعه .

وقد كانت شريعتنا ترمي إلى كل هذه الأغراض السامية عندما اعتبرت التربية الموصلة إلى هذه الأغراض حقا من حقوقه على أبويه وعلى المسؤولين على حظوظ مجتمعه .

وتبدأ حقوق الولد على أبيه قبل الولادة : ذلك أن الرجل مطالب بأن يحسن انتقاء منبت ذريته فيراعي في اختيار زوجته كدينها وحسن خلقها لتؤدي دورها التربوي كاملا بعد الإنجاب، ومطالب بأن يحسن إلى هذه الزوجة ويعاشرها بالمعروف ليعبق أريج السعادة في جو البيت ويجد فيه الطفل أمنة واستقراره وتوازنه النفسي (وعلماء الطب النفسي وخبراء الطفولة وعلماء الإجرام يقررون أن أغلب زوارهم خرجوا من البيوت الآثمة والمحطمة أو التي خلت من الود والتفاهم القائم على الثقة والاحترام، ومن تلك البيوت التي فشل أربابها في الاحتفاظ بتوازن جميل بين القيد والحرية ومن تلك التي جهل الآباء فيها ما لدى الأطفال من شعور وحاجة) .

ومن حق الولد على والده تحسين اسمه فقد روى عن النبي ﷺ أنه قال : (حق الولد على والده أن يحسن اسمه ويحسن أدبه) .

ولا يخفى ما للاسم الحسن من أثر في نفس صاحبه في نشأته وعند كبره .

ومن حقوق الأبناء العدل بينهم في العطاء فقد روى النعمان بن بشير أنه ﷺ قال :

(اعدلوا بين أبنائكم ، اعدلوا بين أبنائكم اعدلوا بين أبنائكم) .

وفي رواية أخرى يربط عليه الصلاة والسلام بين التقوى والعدل بين الأولاد فيقول :

(اتقوا الله واعدلوا في أولادكم) .

كما يصرح بأن هذا العدل حق للأبناء فيقول عليه الصلاة والسلام :

(ان لبنيك من الحق أن تعدل بينهم) .

ولهذا العدل أثره في نفوس الأطفال ، وهو من العوامل التي تغرس فيهم الثقة والمودة وروح الانسجام .

وطبيعي أن تبدأ الحقوق المادية للأطفال منذ ولادتهم ، لحاجة أجسامهم إلى الغذاء لتصح وتنمو ، فالحضانة حق لهم كما سنرى في العنصر القادم والإرضاع أقره الله تعالى بقوله : ﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة ﴾ .

ومن حق المولود أن لا ينفي الأب نسبه عنه إذا كان فراش أمه قد ثبت حتى ينعم بدفء حياة الأسرة ولا يحرم من لحوق نسبه لأن لهذا الحرمان أثراً عميقا في النفس .

وهذا الحق يعده أبو الحسن الماوردي من الحقوق المشتركة بين الله والآدميين ويجعل حمايته راجعة للمحتسب المكلف برعاية الحقوق والمصالح في المجتمع ومقاومة المنكر الظاهر بأنواعه ، وهو يقول في ذلك :

(من نفى ولدا قد ثبت فراش أمه ولحوق نسبه أخذه المحتسب بأحكام الآباء جبرا وعزره عن النفي أدبا) .

ويدلكم هذا على حرص نظامنا الإسلامي على حماية حقوق الأطفال حتى اعتبرها من حقوق الله تعالى .

وحتى الطفل اللقيط مجهول الأبوين له حق الكفالة الذي هو في نفس الوقت حق لله تعالى - (من أخذ لقيطا وقصر في كفالته ، أمره (المحتسب) أن يقوم بحقوق التقاطه من التزام كفالته أو تسليمه إلى من يلتزمها ويقوم بها) .

وإن العناية بالجانب الأخلاقي لدى الطفل هي من حقوقه البارزة التي وجه الدين إليها ورغب فيها حتى اعتبر الرسول ﷺ أنه (ما نحل والد ولدا أفضل من أدب حسن) وحتى قال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام فيما رواه جابر عن سمرة : (لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع على المساكين) .

ولقد اهتم فقهاؤنا بالتأكيد على هذاالحق حتى يؤدى على أحسن وجه وكانوا يحركون الوازع للقيام به ويجمعون من نصوص الوحي ما يبرز قيمته حتى لا يتهاون الناس في القيام به . . . من ذلك أن الإمام أبا الحسن القابسي يقول : (الذي يعلم ولده فيحسن تعليمه ، ويؤدبه فيحسن تأديبه ، فقد عمل في ولده عملا حسنا يرجى له من تضعيف الأجر فيه ، كما قال تعالى : ﴿ من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة ﴾ .

إنها مسؤولية التربية التي يجب أن يشعر بها كل الآباء وقد قال في شأنها بعض علمائنا :

(إن الله سبحانه وتعالى يسأل الوالد عن ولده يوم القيامة قبل أن يسأل الولد عن والده ، فإنه كما أن للأب على ابنه حقا ، فللابن على أبيه حق : فكما

الدين ...ي في منهجه التربوي يختار ص... ...مول ويعتني بجميع جوانب الانسان

قال : تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة ﴾ .

الطفل في بيئته الأولى

إن للطفل مكانته في الأسرة : فهو بهجتها وزينة حياتها والقرآن الكريم يقول : ﴿ المال والبنون زينة الحياة الدنيا ﴾ (النحل ٩٦) . وقد استحب أن يبشر من ولد له مولود وأن يهنأ . . . استمد الفقهاء هذا الحكم من قوله تعالى : ﴿ فبشرناه بغلام حليم ﴾ (الصافات ١٠١)، وقوله سبحانه : ﴿ فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى ﴾(آل عمران ٣٩) .

وقد أثرت عن الحسن البصري صيغة التهنئة التالية (بورك في الموهوب شكرت الواهب، وبلغ أشده ورزقت بره) .

وهنا لا فرق بين أن يكون المولود ذكرا أو أنثى فالفرحة تشع في بيت المسلم بالمولود مهما كان نوعه لأن السخط بالإناث من أخلاق الجاهلية الذين ذمهم سبحانه وتعالى في قوله :

﴿وإذا بُشـر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بُشـر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ - «النحل/ ٥٨ » . ٥٩) .

لقد غير الإسلام هذه العقلية الجاهلية التي تتشاءم من البنت وتؤثر في بعض الأحيان سلبها الحياة ، وأراد أن تستقبل كأخيها في جو البهجة والحبور والتفاؤل وجعل الإحسان إليها والعناية بتربيتها من العبادة التي تجلب أجراً أخروياً : يقول نبينا عليه الصلاة والسلام :

(من ابتلى من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كن له ستراً من النار) .

ويروي أنس بن مالك أنه ﷺ يقول : (ومن عال جارتين حتى تبلغا ، جاء يوم القيامة أنا وهو هكذا) (وضم أصبعيه) .

وقد وجهنا النبي عليه صلاة الله وسلامه إلى أن تكون علاقتنا بأبنائنا مصطبغة بالرحمة والمودة ، فعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قبل الحسين بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس ، فقال : إن لي عشرة من الولد ما قبلت أحدا منهم ،



فقال له ﷺ : (من لا يرحم لا يرحم).

وتروي السيدة عائشة رضي الله عنها أنه قال لقوم لم يكونوا يقبلون صبيانهم : (أو أملك أن كان الله نزع من قلوبكم الرحمة).

إن الأبنــاء في مرحــلة طفـولتهم لفي أشد الحاجة إلى عاطفة حارة وعناية شاملة حتى نضمن سلامتهم النفسية وندرأ عنهم شبح الخوف والقلق الذي كان خطره واضحا لدى الكثير من أطفـال بلاد مصنعـة في عصرنـا، لم يسمـح الـوقت والمشـاغل بإشبـاع نفـوسهم بمظاهـر العطف والرعـايـة المعنوية رغم توفر البذخ المادي وأنواع الترف.

النفقة على الأبناء

وقـد أوجـب تشريعـنـا الإسـلامي على الآبـاء النفقة بالمعـروف على أبنائهم حتى لا يكونوا عرضة للجوع والعرى وحتـى لا ينهشهـم الحرمـان القاسي.

وفي حالة موت الأب هناك نظام للوصاية على الأبناء حتى يبقوا تحت رعاية الوصي الأمين والحـاكم العادل، وهناك نظام التصرف في أموالهم حتى تنفق فيما يجزيهم.

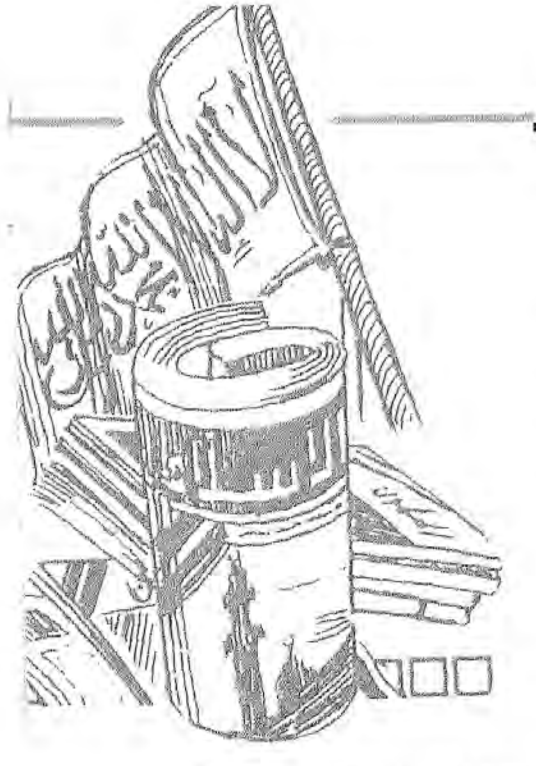
أمـا في حالـة فراق الأبوين بالطلاق، فإن أحكام الحضانة التي ضبـطهـا فقهنا الإسلامي تقوم على مراعاة مصالح الطفل المحضون وتهـدف إلـى سـلامة تربـيتـه : من ذلـك أن هذه الأحكام تجعل النسوة القريبات من جهة الأم أولى بحضانته مع ترتيب تراعى فيه درجة القرابة التي تتبعهـا عادة قوة العـطف عليـه ومـع اعتبار للجو الذي يتوفر عند الحاضنة حتى يكون سليـما من شوائب الفساد التي تؤثـر في أخـلاقه وسلوكه ومع بقاء إشراف الأب عليه لتأديبه.

يقــول عبـد الـرحمن بن القـاسم عن الأب الذي يحتاج إلى تأديب ابنـه المحضون عند أمه المطلقة :

(يؤدبـه بالنهـار ويبعثه إلى الـكتــاب، وينقلب إلى أمــه بالليل في حضانتها ويؤدبه عند أمـه، ويتعـاهـده عند أمه ولا يفـرق بينـه وبينهـا إلا أن تتزوج).

وإنما عهد بالحضانة إلى الأم أو غيرهـا من القـريبات لأنهن أقــدر على الـقـيــام بشـؤون الأطفـال وتـنـظيفهم والعنـايـة بمأكلهم وملبسهم . . . .

ولكن لا بد من توفر شرط الكفـايـة عنـد الحـاضن حتى يكــون المحيط ملائـما لتربيـة الـطفـل فقـد قال الإمـام عن



حرمان من لم تتوفر عنده الكفاية من حق الحضانة :

(إذا كانـوا ليسوا في ثقـة ولا كفاية فـلا نعطي الجدة الولد ولا الوالـد إذا كانـا غير مأمونين ولا يأخذ الـولد إلا من قبله الكفـاية لهم).

وقال أيضا مشيرا إلى جعل مصلحــة الطفــل فــي المكانة الأولى :

(لا ينبغي أن يضر بالولد، وينبغي أن ينظر للولد في ذلك بالذي هو أكفأ وأحرز).

(والبنت المحضــونـة تبقى عنــد أمـهــا إلى أن تتــزوج (البنت) مادام جو حيـاة أمها مناسبا (فإن خيف على البنت في موضع الأم ولم تكن الأم في تحصين ولا منعة أو تكون الأم لعلهـا ليست بمـرضيـة حال، ضم الجـاريـة أبـوهـا إليـه أو أوليـاؤهـا إذا كان في المـوضـع

الـذي تضم إليـه، كفـايـة وحرص) كما عبرت المدونة.

وإذا ابـتـليـت البـنـت المحضونة ببيئة فاسدة لدى أمها ولـدى أبيهـا في نفس الوقت، فأن أمـرهـا يوكـل إلى الحاكم ليختار لتربيتها بيئة نظيفة.

وهـذا علـى الأبـويـن أن يعتبرا الطفل أمانة بين أيديهما وأن يتـذكـرا أن (قلبه الطاهر جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصـورة، وهو قابل لكـل ما ينقش عليه ويمتثل إلى كل ما يحال إليه) كما يعبر الإمام الغزالي.

هذا القلب الطاهر ينشأ على الفـطرة السليمـة ويتقبـل دين الإسـلام دين الفـطرة فيكـون لتعاليمه الأثر الفعال في توجيهه الـتـربـوي . . . إذا لم يطرأ ما يكـدر هذه الفـطرة الصـافيـة ويعكر صفحتها النقية.

وهنا تحتم التبعة التربوية أن يقع التبكير في تحبيب الفضائل إلى الـطفل وهو يدرج في بيئته الأولى : يقـول فيـلسـوف الإسـلام أبو علـي الحسـن بـن سينا :

(إذا فطم الـصـبـي عن الرضاع بدىء بتأديبه ورياضة أخـلاقـه قبـل أن تهجم عليـه الأخـلاق اللئيمة، فإن الصبي تتبادر إليه مساوىء الأخلاق، فما تمكن منه من ذلك غلب عليه فلم يستـطع له مفارقة ولا عنه نزوعـا . ويـوصي ابـن قيم الجـوزيـة بتجنيب الصبي إذا عقل المجالس التي يكون فيها لهو أو باطل أو غناء فاحش أو كلام بذىء أو بدع ضالة لأن ما يعلق بسمعه يعسر مفارقته بعد أن يكـبر ويصعب على وليـه استنقـاذه منـه، خاصـة وأن (تغيـير العـوائـد من أصعب الأمـور يحتـاج صاحبـه إلى استجداد طبيعة ثانية).

ومـا أكثـر التوجيهات التي جاءت على ألسنة الفقهاء وعلماء الأخـلاق مقتضية مزيد الحرص على الجـوهرة النفيسة التي هي قلب الطفل الطاهر : فقد نهي عن تعليمـه سخيف الأشعـار ومسـترذلهـا لما لها من أثـر على وجدانه الصافي، وقد نهي عن ترك الـفـرصـة له في الـبيت للإطلاع على العورات، حيث قال تعالى :

﴿ يا أيهـا الـذيـن آمنـوا ليسـتـأذنكم الـذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكـم ثلاث مرات من قبـل صلاة الفجـر وحـين تضعـون ثيـابكم من الـظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ﴾ (النور - ٥٨)

وقد علق على ذلك الاستاذ علي القـاضي فلاحظ أن هذا أدب لا يستهـان بآثاره النفسية والعصبيـة والخلقيـة إذ (يقرر النفسيون اليوم أن المشاهد التي تقـع عليهـا أنـظار الأطفال في صغـرهـم هي التي تؤثـر في حيـاتهم كلهـا وقـد تصيبهم بأمراض نفسية وعصبية يصعب شفاؤهم منها).

ولـمـا كان للعـب دوره في تنشيط الأطفـال ودرء الكبت عنهم وأثره في تربيتهم الجسمية وفي تعـليـمهم بعض الأمـور أحيانا فقد أقره كثير من المربين المسلمين.

ونحن نسـتروح ذلـك من وصيـة عمـر بن الخطاب التي تقول : (علموا أولادكم العوم والـرمـاية ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا).

وممـا يحكى أن أبـا سعيـد الاصـطخري الشافعي لما تولى خطة الحسبـة ببغـداد في أيـام المقتـدر العبـاسي أقـر سوق اللعب ولم يمنـع منها، قائلا : (قد كانـت عائـشـة تلعـب بالبنات بمشهد رسول الله ﷺ فلم ينكـر عليهـا) ويعلق أبو الحسن المـاوردي على كلامـه بقـولـه : (ليس ما ذكـره من اللعب بالبعيـد من الاجتهاد) يعلق بذلـك بعـد أن يبـين أن لعب البنات بالدمى لا يقصد به معصية تقديس الوثن وإنما هو لغاية تربوية هي (إلف البنات لتربيـة الأولاد، وفيها وجه من وجـوه التـدبـير وبحسب ما تقتضيه شواهد الأحوال يكون إنكار اللعب وإقراره).

التربية الاسلامية تربية متواصلة توجه الفرد نحو الخير وتهدف إلى إقامة مجتمع مثالي

وهكذا أقروا من اللعب ما كانت غايته نبيلة كإعداد الفتاة للحياة بتدريبها على شؤون العناية بالذرية وتربيتهم وعلى ذلك تقاس أنواع اللعب التي يمارسها الأولاد والبنات، والتي يمكن أن يستغل البريء منها لتحبيب بعض المهن أو لإكساب بعض البراعات اليدوية والملكات الذهنية.

الطفل في محيطه المدرسي

أدرك المربون المسلمون أن مؤسسات الدراسة ينبغي أن تكون متفاوتة متدرجة ويكون لرواد كل منها مستوى معين، ومن هنا كان الكتاب أو المكتب والمسجد والمدرسة تؤدي وظيفة التعليم وتخرج للمجتمع الإسلامي فئات العلماء في مختلف فنون المعرفة.

ويهمنا من هذه المؤسسات أن نتحدث عن التي تستقبل الأبناء في مرحلة طفولتهم لتعليمهم وتهذيب أخلاقهم: وكثيرا ما نصحوا (بأن يكون طلب العلم في الصغر ليكون كوشم في حجر).

وكل أب مسلم يشعر بمسؤولية الأبوة، لا يغفل أمر تعليم أبنائه، يقول ابن قيم الجوزية:

(من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء وإهمالهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغارا فلم ينتفعوا بأنفسهم ولم ينفعوا آباءهم كبارا).

فلإهمال التعليم نتائجه الوخيمة - كما ترون - سواء بالنسبة للذكر أو بالنسبة للأنثى التي ينبغي أن لا تحرم نور العلم وأن تتلقى من المعرفة والتوجيه ما يفيدها وما يجعل منها عضوا نافعا في بيئتها.

وقد استشهد الإمام القابسي على أن (تعليم الأنثى القرآن الكريم والعلم حسن ومن صالحها . . .) بإذن النبي ﷺ للنساء في شهود العيد وسماع المواعظ والخير ويكون القرآن الكريم قد أخذ على المؤمنات فيما عليهن كما أخذ على المؤمنين فيما عليهم وذلك في قوله تعالى:

﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾.

وبكونه تعالى أمر أزواج نبيه عليه السلام أن يبلغن سنته ويذكرن ما يسمعن منه ﷺ فقال تعالى:

﴿ واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾.

ويقول القابسي بعد هذا:

(فكيف لا يعلمن الخير وما يعين عليه؟ ويصرف عنهن القائم عليهن ما يحذر عليهن





المسجد والكتاب والمدرسة لها أهميتها في تربية الطفل

منه إذ هو الراعي فيهن والمسؤول عنهن).

ومن فقهائنا من يتحدث عن النية التي ينويها الأب بقلبه عند إرسال أبنائه إلى المؤسسة التعليمية وعن النية التي ينويها المعلمون عند مباشرتهم وظيفة التعليم فالأول ينوي (أداء ما قلده الله به من إزالة جهل ابنه إذ كل راع مسؤول عن رعيته) والثاني ينوي (إبقاء مادة تلاوة القرآن إلى قيام الساعة وإعانة على مفخرة مولانا محمد ﷺ) كما يعبر أحمد بن أبي جمعة المغراوي).

وكلاهما يكون مأجورا على نيته وقصده السامي، ولنتصور عظم هذا الأجر ووفرته نستمع إلى هذا الحوار الذي دار بين إمام قطرنا الكبير محمد بن سحنون وأحد آباء تلاميذه فقد قال الأب للفقيه المدرس ابن سحنون :

– إني أتولى العمل بنفسي ولا أشغل ابني عما هو فيه من تلقي العلم في حلقة دروسك.

فقال له ابن سحنون :

– أعلمت أن أجرك في ذلك أعظم من الحج والرباط والجهاد ؟.

وقد استنتج الإمام القابسي من قوله (ﷺ) للمرأة التي سألته هل لصبيها حج؟.

– « نعم ولك أجر ».

استنتج منه أن الأجر الحاصل للمرأة من حج صبيها من أجل إحضاره موسم الحج وتوليها القيام به فيه وسببها في شهوده الخير وحضوره المناسك التي يكون لها في نفسه أطيب الأثر.

وقد حدد فقهاؤنا ما ينبغي أن يتوفر في من يتولى مهمة تعليم الصبيان ليكون عمله ناجعا وليؤدي مهمته التربوية على أمثل وجه. وضبطوا نوع العلاقة التي ينبغي أن تربطه بتلاميذه.

يكون المعلم (من أهل الصلاح والعفة والأمانة حافظا للكتاب العزيز حسن الخط

يدري الحساب) وعند محمد القرشي ابن الأخوة المتوفي سنة ٧٢٩ هـ (الأولى أن يكون متزوجا ولا يفسح لعزب أن يفتح مكتبا للتعليم إلا أن يكون شيخا كبيرا وقد اشتهر بالخير والدين، ومع ذلك لا يؤذن بالتعليم إلا بتزكية مرضية وثبوت .

أما فقيهنا ومفخرتنا محمد بن عرفة المتوفي سنة ٨٠٣ هـ فإنه يرى أنه يكفي في المعلم المتزوج أن يكون مستور الحال، (ويسأل عن غيره فإن لم يسمع عنه إلا العفاف أبيح له) وإذا ثبت سوء الأخلاق وعدم الكفاءة في مترشح للتعليم فإنه يمنع عن هذه الخطة مطلقا، وهذا ما جرى به العمل في عهد ابن عرفة .

وتكون علاقة المعلم بتلاميذه قائمة على أساس العدل بينهم، فعن أنس بن مالك أنه ﷺ قال :

(أيما مؤدب ولي ثلاثة صبية من هذه الأمة فلم يعلمهم بالسوية : فقيرهم مع غنيهم وغنيهم مع فقيرهم حشر يوم القيامة مع الخائنين) .

ويكون المعلم مع الصبيان حازما غير متخاذل يمزج بين الشدة والرفق، يقول ابن عرفة في هذا الصدد :

(يكون المعلم معهم مهابا، لا يكون عبوسا مغضبا ولا منبسطا، ويكون مترفقا بالصبيان دون لين) . أي دون مبالغة في اللين إلى حد الضعف وفقدان السلطة الأدبية؛ ومراعاة الأحوال الصحية اقتضت تنظيم أوقات الدراسة وعدم المبالغة في الضرب المؤلم للتأديب والسماح بالخروج لإراقة الماء وقضاء الحاجة البشرية لأن المنع من ذلك يؤدي إلى بعض الأمراض واقتضت مراعاة وقت غذائهم أيضا . وأوضح الشوشاوي أن حكم ضرب الصبيان للتأديب مباح في الأصل ويكون مستحبا في بعض الأحوال، وعقب أبو جمعة المغراوي على قوله بأن (الصواب اعتبار حال الصبيان) .

ولئن حدد القابسي عدد الضربات بالثلاث وجعلها أشهب متفاوتة بين الثلاث والعشرة حسب المخالفة، فإن الجزولي يؤكد أن التأديب يكون على قدر الاجتهاد وأن مالك بن أنس لم يكن يرى فيه حداً إلا بقدر ما يراه المعلم .

أما المواد التي يتلقاها الطفل في مؤسسة التعليم في القرآن الكريم والسنة النبوية وعلوم اللسان التي تخدم نصوصها وتعين على فهمها . . . وهذا ما يجعل غاية التعليم دينية، وهذا ما يجعلنا نتمسك بالأصلين اللذين تركهما رسول الله ﷺ فينا وضمن لنا ألا نضل ما تمسكنا بهما .

على أن حرص المسلمين على التفتح والتقدم الحضاري اقتضى فتح المجال إزاء سائر العلوم والإقبال على العلم التجريبي وخوض كل ميادين المعرفة النافعة التي اعتبرت من فروض الكفاية اعتبارا لمصلحة الأمة كلها .

وقد ارتبط التعليم عند المسلمين بالتربية إلى حد كبير وبذلك سمت أغراضه وشرفت مقاصده وضمن السعادة الكاملة .

وقد راعى أحمد بن مسكويه هذا الارتباط وقدر أهمية الجانب الأخلاقي لدى الأطفال، هذا الجانب الذي رأى ضرورة التدرج في بناء هيكله واستغلال العلوم الشرعية وعلم الأخلاق والعلوم العقلية لبنائه فقال :

(من اتفق له في الصبا أن يربى على أدب الشريعة ويأخذ بوظائفها وشرائطها حتى يتعود بها، ثم ينظر بعد ذلك في كتب الأخلاق حتى تتأكد تلك



الآداب والمحاسن في نفسه بالبراهين، ثم ينظر في الحساب والهندسة حتى يتعود صدق القول وصحة البرهان، ثم يتدرج في منازل العلوم فهو السعيد الكامل).

وعلى سبيل الوجوب العيني يتعلم الطفل ما يحتاج إليه في دينه، وهو قدر من المعرفة يعتبر ميسرا وفي متناول جميع المدارك وبه يتقوم عنصر الإيمان والعبادة والعمل عند كل مسلم، ثم يفسح له مجال التخصص والتوجه إلى ما ظهر ميله إليه وبدأ استعداده له، فيمكن من الأسباب التي تتيح لمواهبه أن تنمو وملكاته أن تكتمل في الميدان الذي اختاره، مادام في هذا الميدان رجاء نفع له وللناس.

هذا وقد فكر المربون المسلمون في معالجة المشكلة الجنسية وخاصة في المحيط المدرسي تلك المشكلة التي رأى بعضهم أن عدم معالجتها بحذق ومهارة كان من عوامل الشذوذ والانحراف والأمراض العصبية والنفسية، فها هو الإمام سحنون يذكر (أنه من حسن النظر التفريق بين الذكور والإناث) ويكره خلطتهم لما تؤدي إليه من فساد وها هو الإمام القابسي يوصي المعلم بأن يحترس من الأطفال الذين يخاف شرهم الأخلاقي والذين ناهزوا الاحتلام أو كانت لهم جرأة يخشى معها فسادهم.

وها هو الجزولي ينصح المعلم بأن (لا يحمل بعض الأطفال على بعض لئلا يؤدي إلى فسادهم إذ يخاف بعضهم من بعض فيؤدي إلى أن يغره عليه الشيطان فيطلب منه الفساد).

وها هم المؤلفون في الحسبة العملية يلفتون أنظار المعلمين إلى ما ينبغي الحذر منه من الوسائل التي توقع الأطفال الأبرياء بين براثن الأشرار المصابين بالشذوذ والانحراف : فلا يرسل الطفل إلى مكان خال ولا يصحب امرأة أجنبية عنه ليكتب لها مكتوبا ولا مع رجل لهذا الغرض إذ قد يكون في ذلك خدعة للإيقاع بالأطفال الأبرياء . . . ويكون المرافق لهم أمينا ثقة متأهلا لأنه يتسلمهم في غدوهم ورواحهم وينفرد بهم.

وهكذا يمكننا أن نقيس على ذلك . . فنمنع الأطفال من ارتياد كل مواطن الشك درءاً للأخطار الأخلاقية.

ولما كان للمهمة التي يؤديها المشرفون على مؤسسات التعليم في المجتمع الإسلامي خطرها وأثرها في الرقي بمستوى الأفراد وفي نهضة الأمة فقد بلغ المخلصون منهم درجة المتعبدين . . وكان العلماء يوجهونهم إلى تمثل هذا المعنى السامي وإشعارهم بأنهم في روضة من رياض الجنة وكان انطلاقهم لبيان هذا المعنى من بعض الأحاديث النبوية مثل قوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه عنه عثمان بن عفان رضي الله عنه : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) وإلى هذا المعنى السامي يوجه الفقيه أبو جمعة المغراوي عندما يقول : (ليكن المعلم كالمعتكف لايتهيأ للنوم في وقت حقوقهم (أي التلاميذ) إلا غلبة (للضرورة ولا يبتغي بعبادتهم سواها إذ هي روضة من رياض الجنة وتطفيء غضب الله).

ولكن إذا لم يكن لهذا التوجيه الديني النبيل ضمير المراقبة ويكون وازعا حيا يقظا لدى بعض المعلمين فان الوازع السلطاني يتدخل نظرا لأهمية الدور المناط بعهدتهم والذي لا يمكن التغاضي عن التقصير فيه ويتمثل هذا الوازع السلطاني الرادع في وظيفة الإشراف على أعمالهم وتفقدها وهي وظيفة أسندت إلى المحتسب القائم بتغيير المنكرات الظاهرة وحماية الأفراد في المجتمع المسلم، وقد

تحدث عنها أبو الحسن الماوردي ووضح أن من طرق التعليم والتربية التي ينشأ الصغار عليها ما يعسر نقلهم عنها بعد الكبر ولذا فإن المحتسب (يقر منهم أي المعلمين) من توفر علمه وحسنت طريقته ويمنع من قصر وأساء، من التصدي لما تفسد به النفوس وتعبث به الآداب) .

وسائل التربية الإسلامية

كان للتربية الإسلامية وسائلها الناجعة وأساليبها الموفقة، فلنلق نظرة عابرة عليها :

- تركيز العقيدة الصحيحة التي لا تشوبها شوائب باطلة تلك العقيدة التي لها أثرها في تكوين الشخصية وتحقيق توازنها والتي تنمي فيها قوة روحية تقي المسلم من أن يكون نهبا للأيديولوجيا الهدامة ومن القلق الذي يبدد راحة كثير من معاصرينا وأمنهم وهذه العقيدة تغذي العاطفة الدينية في قلب الطفل تلك العاطفة التي تكون أصل سعادته، والتي حرمت منها أجيال في عالمنا المعاصر المتقدم في الميدان التكنولوجي فتاهت في مهامه المشاكل النفسية والاقتصادية والاجتماعية .

- ممارسة العبادة الإسلامية حتى يتدرب على أدائها منذ عهد الطفولة وقد لوحظ (أن الصبي وإن لم يكن مكلفا فإنه مستعد للتكليف، ولهذا لا يمكن من الصلاة بغير وضوء ولا من الصلاة عريانا أو نجسا ولا من شرب الخمر والقمار)، كما يعبر ابن القيم .

وقد كان حرص المربين المسلمين على أداء الأطفال للصلاة بمجرد بلوغهم من السابعة حرصا شديدا عملا بالحديث النبوي : (مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر) .

وذلك ليسكن الأطفال إلى الصلاة (ويألفوها . . . حتى إذا تأصلت فيهم انطبعت شخصيتهم بها، فأصبح المحور الذي تدور حوله الشخصية ومنه تستمد حياتها وكيانها، هو المحور الديني) .

ومما يذكر أيضا من فوائد الإقبال على ممارسة العبادة بقلب خاشع وإخلاص صادق واستشعار لعظمة المعبود، أنها (تؤدي إلى مواجهة الشدائد بثغر باسم وقلب مطمئن، وذلك لأنها استلهام من قدرة وراء الغيب هي فوق كل قدرة) .

وبالنسبة للصلاة خاصة، فإنها تعد (وسيلة لإنشاء مفهوم للثقة في النفس من أقوى أنواع الثقة بها، تبعد كل البعد عن مفهوم التواكل. . .) .

- التدريب على تعاطي المعاملات المشروعة لإعدادهم للحياة العملية والتصرف المالي المثمر، يقول الله تعالى: ﴿وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح، فإن آنستم منهم رشدا فادفعوا إليهم أموالهم﴾ .

ويتبع هذه الوسيلة النهي عن المعاملات التي لا يقرها الشرع فإن تعاطوا شيئا منها كالتعامل الربوي عوقبوا على ذلك كما يعاقبون على الكذب والسب وبذيء الكلام .

- تقديم المثل الحسن والقدوة الصالحة وذلك بتجسيم السلوك المرضي وإبراز الفضائل بصفة عملية لما في ذلك من الإيحاء بها وتحبيبها إلى نفوس الأطفال الذين ركب فيهم الميل إلى التقليد، ولما يبرز فيهم -



العناية بالجانب الأخلاقي لدى الطفل هي من حقوقه البارزة التي اهتم بها الإسلام

غالبا - من تقدير للأبطال عندما يبلغون سنَّ المراهقة.

ولذا يكون من الأجدى أن نحسن عرض السيرة النبوية التي اشتملت على مواقف خالدة وكان صاحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام الأسوة الحسنة لأمته عبر مختلف العصور ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾.



ويمكن أيضا استغلال بطولات العظماء وأخبار العلماء وآراء المصلحين الذين تعج بهم فترات تاريخنا الإسلامي لعرض صورها المشرقة المؤثرة.

ولقد شعر الأقدمون بأهمية التقليد في تربية الأطفال فألحوا على المربين أن يكونوا القدوة الحسنة : روى الجاحظ أن عقبة بن أبي سفيان قال لمؤدب ولده : (ليكن أول ما تبدأ به من إصلاح بني، إصلاح نفسك فإن أعينهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنت والقبيح عندهم ما استقبحت).

وكتب ابن حبيب إلى معلم أولاده كتابا جاء فيه ما يقارب هذا المعنى.

- التركيز على العنصر الأخلاقي وغرس القيم العليا في النفوس وبث روح التقوى فيها وتوجيه الأطفال لينشؤوا على طاعة الله تعالى فيكونوا ممن يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله كما جاء في الحديث النبوي الشريف.

ويمكن أن يكون غرس هذه الأخلاق الطيبة بمدحها لهم وتنفيرهم من أضدادها المذمومة فنمدح مثلا السخاء والشجاعة والكرم ونذم الشح والطمع والجبن . . .

- مراعاة مستواهم الذهني وطاقاتهم المحدودة وعدم إرهاقهم بما يثقل عليهم تقبله، وحسن اختيار المادة مع تقديمها بأساليب مشوقة مهما أمكن ذلك حتى يكون لتعليمهم الأثر التربوي المجدي : لقد كان ما أوصى به ابن حبيب معلم بنيه قوله : (علمهم كتاب الله ولا تكرههم عليه فيملوه، ولا تخرجهم من فن إلى فن حتى يحكموه، فإن ازدحام العلوم مقلل للفهوم وعلمهم من الشعر أعفه، ومن الحديث أشرفه. وكن لهم كالطبيب الذي لا يضع الدواء إلا في موضع الداء).

شمول التربية الاسلامية

لقد اختار الدين الإسلامي لمنهجه التربوي صبغة الشمول فاعتنى بجميع جوانب الإنسان : اهتم بعقله فزكاه وحطم قيوده وأتاح له أن يكون حرا وأن يخوض شتى ميادين العلم النافع واهتم بوجدانه فهذبه وحبب إليه الحق والخير والفضيلة وغذى فيه العاطفة الدينية والشوق إلى الحياة الخالدة والسعادة المؤبدة . . . واهتم بمتطلبات جسمه وتعديل غرائزه وتهذيبها لتنطلق في المحيط الطاهر دون كبت أو حرمان، وأقام توازنا عجيبا بين هذه المتطلبات المادية وبين متطلبات الروح التي أراد أن



تكـون زكيـة فاضلة حتى تقود صاحبهـا نحـو الخير وتجعله متآلفـا مع بيئتـه متكـافلا مع أفرادها آمرا بكل ما هو معروف ناهيـا عن كل ما هو منكـر متواصيا بالحق والصبر وسائر الفضائل.

يقـول الاستـاذ محمد قطب عن خصـائص هذا المـنهـج الإسلامي الشامل في التربية .

(طريقة الإسلام في التربية معـالجـة الكـائن البشري كله معالجة شاملة لا تترك منه شيئا ولا تغفـل منـه شيئا : جسمه وعقله وروحـه ، حيـاته المادية والمعنويـة وكـل نشاطـه على الأرض.

إنـه يأخـذ الكائن البشري كله ، ويأخذه على ما هو عليه بفطرته التي خلقه الله عليها لا يغفل شيئا من هذه الفطرة ، ولا يفـرض عليهـا شيئـا ليس في تركيبه الأصلي .

ويتناول هذه الفطرة في دقة بالغـة ، فيعـالج كل وتر منها ، وكل نغمة تصدر عن هذا الوتر فيضبطها بضبطها الصحيح) .

وبهذا الشمول لهذا المنهج ، كانت التربية الإسلامية تربية متواصلة توجه الفرد نحو الخير وتهـدف إلى إقامة مجتمع سليم مثالي وأمة رائدة ترشد الإنسانية إلى المعروف ويتحقق فيها قوله تعـالى : ﴿ كنـتـم خير أمـة أخـرجـت للنـاس تأمـرون بالمعـروف وتنهـون عن المنكـر وتؤمنون بالله ﴾ .

الجدار

قصة واقعية

بقلم:
عمر لطفي العالم

□ في هذه اللحظة شعرتُ بأنَّ تعديلاً مهماً أُدخل على تجربتي الفلسفية المتواضعة. فمن يومها تبدلتْ نظرتي إلى حقيقة الحريـة، فلم أعُدْ أومن بوجودهـا على النحو الذي أقرؤه في الكتب والنظريـات، بل بقدر ما أراهـا حقيقة مُعاشة، وواقعاً ملموساً في حياة الناس.

○ ذات مسـاء شعـرتُ بـوعكـة خفيفـة، فاستلقيتُ على غير عادتي في تلـك الساعة من النهـار، أمـلاً في أن تكـون سحـابـة صيـف، سرعـان ما تـزول كما يقول النـاس. لكنَّ مـا ظننتُه من قبلُ سحاباً عارضاً، بدا الآن وكأنه سماءٌ متلبدة تـوشك أن تُـزبد وتُـرعد. فحين هممتُ بالـوقـوف في صبيحـة اليوم التـالي، تصلبـتْ سـاقـي فلـم أقـدر على تحريكهـا، ومضيتُ أتحسـس بأناملي مـوضع الألم لعلي أكتشـف شيئـاً، فـإذا الغـدةُ التـي تـركتهـا بالأمس صغيرةً أصبحـت الآن كبيرة في حجم كرة المضرب.

كانت درايتي بالطـب قليلة. وتوكأتُ على ما وقع تحت يديَّ مـن أثاث، وعدتُ إلى فراشي ألهث، كـأنما قطعـت مسيرة مـائة ميـل. وانتابتنـي الهواجس والأفكار، فـاستعجلتُ مقدِم صـاحبـي، ومـا أن سمعـت البـاب وبخطـواته يتقـدم نحـوي، حتى عـادت إليَّ بعض سكينتي.

واقترب صاحبـي مني يلغـو ويثرثـر كما يفعـل في كل مـرة، ثـم ضرب كفاً بكـف: أيها الكسول أما زلت في الفـراش، تتثاءب مثل قط عجـوز؟!. ولم أُجبـه بل لم تصـدر عنـي أي إيماءة توحـي باستعـدادي للدخـول معه في عبث طفـولي، فازداد فضـوله، واقترب أكثـر، وحملـق في وجهـي فرآه محتقنـاً، متـوهجـاً، ووضع يمناه على جبيني ثـم سحبها بسرعة خاطفـة، وارتدَّ خطوة إلى الوراء كما لـو أفاق من سكرة الهزل. ماذا؟. أنت مريض!! وأشرتُ إلى موضع الألم، فهزَّ رأسـه: أجل ولم يضف، ثم لفّ ذراعي على عنقـه، فكابرتُ ووقفتُ على ساق واحـدة. كان صـاحبي طـالباً في كليـة الطب، ولم تكـن العيادة الخـارجيـة لجامعة فـرايبـورج بعيـدةً عنا، فقطعـتُ المسـافـة القصيرة مشياً وقفـزاً على ساق واحـدة. ولم يطُـل انتظارنـا، فما أن جسَّ الجراح المكـان، حتـى قرر: غـداً عملية جـراحية. وفي اليـوم التـالي استلقيـتُ على منصـة كبيرة في ثـوب الجراحة.

كنـت، برغـم خـوفي، متماسكاً. وأذكـر أن وسـاوس الشيطـان لم تستطـع اقتـلاع كـل مسلمات الإيمان مـن صـدري، ربما لـذاك السبب، أو لأن هذه المصحة ما دخلها أحدٌ على ساقيه إلا وخرج منها راجلاً كما دخل حسبما

يُشاع، قولٌ لا يخلو من التفاؤل وإنْ كان فيه الكثير من المغالاة ومن الجرأة على الله تعالى. دقت ساعة الصفر، فأقبلتْ كبيرة الممرضات وفي يدها حقنة. جذبتْ ذراعي برفق فأسلست لها القياد. وأحسستُ بالمخاوف تتبدد، فأعقبتْها بحقنة في الوريد.

مرّتْ فترةٌ لا أعرف كم استغرقت. وماذا يعني الزمن، طال أو قصر، حين ينحسر الإحساس بالمحيط؟!.

بعدها بدأت أسمع، ثم أرى، ثم أُميِّز، فعرفتُ أن كل شي مرَّ وانتهى، وأن الجراحة انقضتْ بسلام.

كان رأسي ثقيلاً، وجفناي أثقل، فغفوتُ ولم أُفِق إلاّ على صوت أجش، هذا المريض، وأشار إليّ، فقد دماً كثيراً. هل نعطيه دماً سألته الممرضة؟: لا، السوائل وحدها تكفي، ثم التفت إليَّ: أنت طالب؟ قلت: نعم. قال: ما رأيك هناك سرير شاغر إلى جوار البروفيسور (م.ك) أستاذ الدراسات الفلسفية في جامعة هايدلبرج؟ قلتُ: حسن ولكنْ لماذا لا أبقى هنا؟ ابتسم الطبيب في تواضع جم وقال: هذا عرض تكريم ترفضه؟ قال ذلك وتابع جولته التفقدية على المرضى.

كان العرض سخياً حقاً، لكنني كنت أجهل بأن التجربة سارت في منعطف آخر. إن القدر يفتح عينيك على الحقائق الصغيرة أولاً، فإذا أبديت من القدرة ما يؤهلك لاستيعاب الحكمة واستشرافها، سمح لك باستجلاء المعاني الأكبر والأعظم؛ رحب بي في حجرته فأعظمتُ ترحابه، وأكبرت في خجل ضيافته. وانصرم النهار وأرخى الليل سدوله، وأنا شبه ممسك عن الكلام، لا أقول ولا أعقب بشيء، وبرغم ذلك فقد كنت مستمعاً جيداً. «هذه لابنتي»، وأشار إلى صورة على الجدار المقابل لفتاة تنحني برأسها في خشوع على أوتار الكمان. «إنها ابنتي، ابنتي الوحيدة، متزوجة لكنها تقيم خلف الجدار». «أفهم من ذلك أنْ لا أولاد ذكوراً لك»؟. قلتُ في تحفظ شديد. «أجل هو كذلك» ردَّ بصوت خفيض ومرارة ظاهرة ثم جذب كتاباً. «هل شاهدت مثله من قبل»؟. «لا، لكني سمعتُ بأنه كتاب تكريم لا يكون إلا للراسخين في العلم»، وتوقفتُ هنيهة ثم استطردتُ: «حين يحالون على التقاعد»..! «ماذا تقاعد.. قلت تقاعد»..؟! وانفجر الرجل ضاحكاً، وأنا أنظر مندهشاً، وهو يضحك «يا لك من شاب ظريف.. بل كلكم ظرفاء أنتم الشرقيون»!!.

وبينما هو غارق في ضحكه، وأنا في دهشتي واستغرابي، دخلتْ سيدةٌ أقدّر أنها كانت في عقد عمرها السادس.. وقفتْ كمن يستطلع شيئاً ثم حثت الخطى إليه. سرَّها منَّا ما رأتْ فشاركتْ دون أن تعلم سبب الضحك. وألقت بحملها وهو لايزال يضحك. كان جرحي لا يسمح لي بمغادرة الفراش،

فبادرت إلى أقرب جريدة، جذبتها ورحت أتصفحها، فلما لم تنفع حيلتي، طرحتها جانباً واستدرت إلى الجهة المخالفة، ثم ضربتُ على رأسي ووجهي فضل الغطاء وتظاهرتُ بالنوم. وانعطفتْ على سريره تطعمه كما يطعم الصغار. وبدا منشرحاً سعيداً كلما حكتْ له حكاية مما يدور في حياة الناس اليومية خارج أسوار المشفى. وكان يلوك الطعام، ويكيل لها الشكر وهي تتحفه بألوان جديدة لا توفرها المستشفيات للمرضى عادة. ووضعت البريد اليومي أمامه، لكن اختياره وقع على رسالة عاجلة فضها وقرأ: لن أستطيع الحضور. سلطاتُ

الشـــرقية أغلقت المنافـذ البريـة إلى بـرلين. أتمنى لك الشفاء العاجل يا أبت.

التوقيع: ابنتك.

جمعت السيدة حاجـاتها وانصرفت لكنه لم يحفل بها. وتشنجت أصـابعه على البرقية فلـم يفارقهـا، ثـم أسنـد رأسه على حـاشيـة السرير واستسلم لهواجسه.

- «لـن تحضر ابنتـي.. لـن أراهـا إذاً»!! هؤلاء الأوبـاش، لو كنت شابـاً لسرتُ إليهم على رأس جيـش!! (بـدا سـاخطـاً، حـانقـاً، متذمراً).

- «لمن ستسير على رأس جيـش سيـدي البروفيسور؟» (سألت كي أروِّح عنه)، لكنه أمعن في شروده ولم يعقب بشيء على سؤالي.

ولم أيأس فكررتُ المحاولة فسـألته: (لم هذا الجبسُ في ساقك)؟.

- «سقطتُ مـن فوق الدراجـة». وانتهزتُ الفرصـة فقلت: (دراجـة في هذه الســن وهذه المنزلة؟!).

- «كذلك أجيد السباحة وأزاولها..».

وماذا أصاب ساقك، كُسرت؟!.

- «لا ، شعر بسيط فقط».

كـلُ هذا الحذر مـن أجـل شعـر بسيـط؟! «اليـوم صبــاحـاً شـاهـدت كبير الأطبـاء يفحصـك، ويصغـي لضربــات قلبـك كـأن الإصابة في فؤادك لا في ساقك».

وسألني: هل تفهـم شيئاً في الطب؟ «قليلاً جداً»، أجبت.

- «خطر الكسـور على كبار السـن يجاوز مواضعها إلى أبعد منهـا، إلى الدماغ مثلاً خثرة دمويـة صغيرة وقد ينتهـي كل شيء». (قـال ذلك وأدار مفتاح المذياع).

- المذيع: الموقف متوتـر! ألمانيا الشـرقية ردّتْ على الغـربيــة بـإغـلاق المنــافـذ بين العـاصمة المقسمـة وفـرض حظر على تنقل المسافريـن.. سمع العجوز ذلك فشهـق حتى خلْتُ أنَّ قلبه قد انفطر.

«تمنيت لـو تذهب إليهـم على رأس جيش قلت»، أليس كذلك؟.

- بـل لقـد ذهبتُ مـرتين، مـرة في جيـش بسمارك والأخرى في جيش هتلر. أنـا ضابط سابق، فيلد مارشال.

- المذيــع: كنــدي سيخطــب في بــرلين والشــرقيون يغلقـون الطــرق الجويـة في وجه الطيران.

- «قـاتـل الله السياسـة، أريـد ابنتــي»!. صاح، فجـذبت جرس الإنـذار وقرعتـه، لكن الممرضة كانـت أسرع، دخلتْ وزرقته بمخدر فذهب في سبات عميق.

في تلك الليلـة خيم على المستشفـى سكون موحش، هـدوءٌ ينذر بعاصفة وشيكـة، ليس بـالضرورة في هـذا المشفى، مـن يـدري فقـد تكون حرباً شاملة، أولَـمْ تندلع في هذا المكان حربـان عالميتان مـن قبل؟. انبلجـت خيوط الفجـر الأولى ولم أذق للنـوم طعماً. قضيـت الليل معظمه.أتقلب كالمحموم في الفراش، وما أن أخذتنـي سِنةٌ حتـى دخل كبير الأطبـاء في جولته التفقدية الصباحية.

كان حـديث الساعـة يدور حـول الموقف السـاخـن، والإنذار الـذي وجهـه الغـرب إلى موسكو. كل ذلك والسيد البروفيسور لا يبالي بما يجري، كـان يـريد شيئـاً، واحـداً لا غير، ابنته..!.

كشف الطبيـب عن صـدره، وراح يرهـف السمـع لدقـات قلبـه. حـرَّك سماعته يمنـةً ويسرةً، أذينـاً وبطينـاً، ثـم انحنـى بهامتـه وألصق أذنه، فلما عجز عـن رصد أي خلل - صوت ناشزٍ واحـدْ - إعتدل في وقفته وقال في

سرور ظاهر: «رائع سيدي البروفيسور! قلبٌ لشاب في الثلاثين». وردّ المريض بعبارة شكر مقتضبة وواصل الصمت.

أصدر الطبيب تعليماته بأن يغادر الأستاذ المستشفى عشية ذلك اليوم، وأُخطرت زوجته بذلك. كانت الساعة تقارب التاسعة حين فرغ الطبيب من جولته. وشعرتُ بحاجة ملحة إلى الحركة. وقفتُ برهة ثم فتحتُ الباب وهممتُ بالخروج فاستوقفني ممازحاً: ستتركني، تهرب مني؟. اعتذرتُ له وانسللت من الحجرة وجلست على أقرب كرسي. كانت أشجار ونباتات الحديقة تتحلل من كسائها، وقطراتٌ من المطر تضرب الزجاج ضرباً عنيفاً، وبقايا طيور مهاجرة تقف على الأغصان العارية مذعورةً ثم توالي الطيران في سرعة البرق.

ما هو إلاّ وقتٌ قصير حتى شقَّ الصمت نداءٌ أشبه ما يكون بالعويل. والتفتُ مرتاباً أتحقق من مصدر الصوت. شاهدتُ كبير الأطباء يهرول ومن خلفه مساعدوه. وساد هرج ومرج ثم صمت كل شيء. وهُرعتُ إلى الحجرة، لم أقوَ على السؤال، فاسترقتُ النظر من شق الباب. لمحتُ الطبيب فقرأت على وجهه علاماتٍ من الإحباط والفشل. وعدت إلى مجلسي خائر العزم بادي الاضطراب.

رحتُ أنظر في الأفق كمن يبحث عن شيء ضاع منه. ولم يطل جلوسي فقد شعرتُ بوقع أقدامٍ خلفي. استدرتُ فإذا بزوجته مقبلةً نحوي. وقفتُ ومددتُ إليها في لهفة يدي، لأقول شيئاً يليق بهول المصاب، لكنني سرعان ما توقفت وتراجعت، فتعابيرها لم تكن تنبىء بأدنى حدٍ من الحزن أو حتى الاكتئاب. على العكس فقد بدتْ متفائلة مستبشرة. ولم يطلْ عجبي فقد أخرجتْ من محفظتها برقية دفعتْ بها: «دونك، اقرأ. استحلفك أليس هذا مفرحاً! بحق؟! وقرأت البرقية. حضرت ابنته! أفلتت بأعجوبة، ولكن بعد فوات الأوان.

مرَّت ثوانٍ تساوي الدهر كلَّه. ترنحتُ، كدتُ أسقط. وخطفتْ البرقية من يدي كأنما فهمت شيئاً، ثم انطلقت مسرعةً نحو الغرفة. ومددتُ يديَّ، مستنجداً. سيدتي لا تفعلي. بحق السماء لا تفعلي. لكنها مضت.. مضت نحو الباب. دفعته.. حاولت فتحه، ثم صاحت لكنَّ أحداً لم يجب، فتداعت قواها وخارت، فأحاطت بها النسوة، وحملنها، ومضين بها في دهليز مظلم عميق. في هذه اللحظة شعرتُ بأن تعديلاً مهماً طرأ على تجربتي الفلسفية المتواضعة. فمن يومها تبدلت نظرتي إلى حقيقة الحرية، فلم أعد أومن بوجودها على النحو الذي قرأته في الكتب والنظريات، بل بقدر ما أراها حقيقة معاشة وواقعا ملموسا في حياة الناس.

وغادرت المكان أجرُّ أقدامي إلى مهجع كبير ضمَّ عدداً من المرضى لأبيت فيه ليلة أخرى وأخيرة. وفي صبيحة اليوم التالي ابتسمت لي الدنيا من جديد. خرجت فاستقبلتني نسائم الخريف الرطبة، وعبرتُ الشارع كما دخلت. لحظات أنستني كل شيء عدا شيئاً واحداً لا أظن أنها سوف تنسينيه أبداً: لا أنسى امرأتين متسربلتين بالسواد، ونظرة حزن في عين الأب المنتظر إلى الأبد!!.

احرص على أن تكون منهم

من المعلوم أن المسافة بين الشمس والأرض تقدر بحوالي ٩٣ مليون ميل أي ما يعادل ١٥٠ مليون كيلومتر ومن حكمة الله تعالى أن خلق الأرض على هيئة الدحية قال تعالى: ﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾ – «النازعات / ٣٠» وفي هذا سر كبير إذ إن الأرض لو كانت كروية لما كان هناك صيف ولا شتاء إذ إن جميع الأبعاد تصير متساوية أثناء دوران الأرض حول الشمس مما يجعل الجو معتدلاً طوال العام وهذا يتعارض مع نمو المحاصيل الزراعية المختلفة أما خلق الأرض بصورتها الحالية على هيئة الدحية يجعل المسافة بين الشمس والأرض في أشهر الصيف تتقارب لتكون ١٤٧ مليون كيلو متر فينشأ عن ذلك الحر وفي الشتاء تتباعد المسافة لتصل إلى ١٥٣ مليون كيلومتر فينشأ عن ذلك البرد وما يتبعه من تكوّن السُحُب ونزول الغيث، إذا كنا نحن بني البشر نتململ ونختنق من حرارة الشمس صيفاً والكل يسارع إلى الهروب منها وكذلك الهروب من الزمهرير وبرد الشتاء القارس فأين نحن من يوم الحشر والشمس تدنو من رؤوس الخلائق بقدر ميلٍ واحد منا من يلجمه العرق حتى ركبتيه ومنا من يصل العرق إلى سُرَّته ومنا من يلجمه العرق حتى عنقه أتدرون هذا الموقف العصيب كم ستكون مدته وكم عدد مواقفه إن مواقف يوم الحشر خمسون موقفاً كل موقف ألف سنة فيكون المجموع خمسون ألف سنة. قال تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ – «المعارج / ٤» ولكن وسط هذا الموقف العصيب هناك سبع فئات من الخلائق سوف تستظل بظل عرش الرحمٰن قال (ﷺ): «سبعة يظلهم الله في ظل عرشه يوم لا ظل إلاَّ ظله: إمام عادل وشاب نشأ في طاعة الله ورجل قلبه معلَّق بالمساجد ورجلان تحابا في الله فاجتمعا عليه وافترقا عليه ورجل دعته امرأة ذات مال وجمال فقال إني أخاف الله ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ورجل تصدق فلم تعلم شماله ما أنفقت يمينه».

أخي المسلم.. احرص على أن تكون من ضمن هذه الفئات السبع كي تكون من الفائزين السعداء».

خيري شاكر بشته
أبوظبي – الامارات العربية المتحدة

البوسنة والهرسك، شاهد يوم القيامة

البوسنة والهرسك، إحدى القضايا المعاصرة المعقدة التي كثر فيها اللغط والهرج والمرج، ومئات من الكتّاب والصحفيين أشبعوها بحثاً ودراسة، ومئات من الاجتماعات الأوروبية وعشرات القرارات من الدول الإسلامية، ومئات الألوف من الهتافات وألوف الضحايا، ومليون مشرد ومليون طفل يصرخون دون أن يفعلوا شيئاً ولم هذه القنابل التي تتساقط فوق رؤوسهم؟ ومئات من الأمهات الثكلى وقضايا الاغتصاب التي ليس لها قانون والسلب والنهب والدمار والخراب ماذا يعني هذا؟

الدولتان المتحاربتان دولتان ضعيفتان

والقضاء عليهما من أصغر دولة أوروبية غربية لا يستغرق أياماً وهذه حقيقة مطلقة.

والصرب كدولة لاشك أنها أقوى من البوسنة والهرسك كدولة ولو تركت الصرب حرة تماماً بما لديها من وسائل الحرب لانتصرت على البوسنة والهرسك.

والسؤال لماذا لا تترك أوروبا الغربية وأمريكا الصرب ليقضوا قضاء مبرماً ونهائياً على البوسنة وينتهوا من هذه المشكلة المزعجة؟.

وإذا كانوا لا يريدون أن يتركوا الصرب أحراراً بالقضاء على البوسنة والهرسك، فلماذا لا يسمحون للبوسنة والهرسك بالتسليح وشراء الأسلحة وتقوية أنفسهم؟.

لماذا لا تسمح أوروبا للدول العربية والإسلامية بارسال جيوش لها للقضاء على الصرب، وتثبت حقوق شعب البوسنة والهرسك كدولة مستقلة؟.

لماذا لا ترسل أمريكا كما أرسلت للخليج كل قوتها لطرد الجيش العراقي وتحرير الكويت؟.

لماذا لا تتفق أوروبا على إنهاء المشكلة نهائيا وتحديد الحدود بالقوة. خوفا من استمرار الحرب التي قد تصل إليهم؟.

لماذا لا تقبل دولة البوسنة والهرسك الأمر الواقع وكفى نزيفاً وقتلاً ودماراً وذلك لأنها أدركت أنه ليس بالإمكان أبدع مما كان؟.

وقبل أن أجيب عن هذه التساؤلات لابد لي أن أقول وأذكر قوله تعالى: ﴿ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين﴾.

إن ا لذي أوجد دولة مسلمة في قلب أوروبا تماما هي قدرة الله و إرادته ومن زمن بعيد، فالبوسنة والهرسك كعدد مسلم لا تشكل شيئاً بالنسبة للعالم الإسلامي الذي زاد في عدده على مليار مسلم. ومعنى هذا أن وجود دولة مسلمة في وسط أوروبا أمر يريده الله تعالى الذي ارتضى لعباده الإسلام فلا يمكن أن يكون الله ضد فئة مسلمة تحارب وتكافح ضد أعدائها الذين يفوقونها عدداً وسلاحاً.

إن البوسنة والهرسك شاهد على أوروبا وأمريكا والعالم كله يوم القيامة فالله وحده يعلم ما يدبر ويحاك في الدوائر الغربية ضد هذا الشعب المسلم و حتى ضد المسلمين في كافة أنحاء الأرض.

إذا وقفت أوروبا يوم القيامة أمام ربها للحساب ولم تكن البوسنة والهرسك وشعبها المسلم يقطن في وسطها وسألهم ربهم عن الإسلام وعن المسلمين وأنتم تعلمون أن الله تعالى هو الحكم العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة. فيجيبون، إننا لا نعلم عن الإسلام شيئاً وكنا بعيدين عنه جغرافياً ولغوياً وتاريخياً.

ولكن الآن شعب البوسنة المسلم بين ظهرانيهم يقتلونه ويذبحونه ويسلبونه ويستحيون نساءه ومن لا يفعل فإنه يبارك هذا القتل والسلب.

ورسل الله تسجل ما يمكرون من وراء الستائر. وسيكونون عليهم شاهدين يوم القيامة.

وصدق الله حينما قال: ﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلما﴾.

ماهر أحمد صوفي

بريد المنار

مكافآت الكتّاب

● إلى الأخوة الكرام الذين يسألون عن تقدير المجلة للكتّاب مادياً: نقول لهم إننا نكافىء الكتّاب الذين تنشر مقالاتهم في المجلة وترسل فور نشر المقالة وإن تأخر وصولها لأصحابها فذلك لتغير عناوينهم أو لعدم وضوح العنوان.. أما الأبواب الثابتة كخواطر وغيرها فالنظام المالي للمجلة لا يسمح بصرف مقالات لها.

مسابقة المنار

● ليلى حسين – مصر: حقاً كثير من السادة القراء يتجاوبون مع مسابقة المنار وتكون إجاباتهم صحيحة ولكنها تصل متأخرة ومن ثم فإنها لا تدرج ضمن الفائزين حيث إن الأولوية في نشر الإجابة الصحيحة لمن يبعث إلينا بها عقب النشر ومعذرة في عدم نشر اسمك ضمن الفائزين.

منار الإسلام في المراكز الإسلامية

● محمد هشام البحرين: مجلة «منار الإسلام» ترسل إلى جميع أنحاء العالم.. والدول التي ليس لنا فيها وكلاء توزيع، نقوم بإرسال المجلة هدية إلى المراكز الإسلامية والجمعيات فيها.

عناوين

● لجنة التراث والتاريخ بدولة الإمارات العربية المتحدة أبوظبي – ص.ب: ٤٦٠٥٢.

● مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث دولة الإمارات العربية المتحدة – دبي – ص.ب: ٥٥١٥٦.

● مجلة درة الإمارات – أبوظبي – ص.ب ٤٠٨٨.

● الجمعية الخيرية بالفجيرة – ص.ب ٥٠٧ الفجيرة.

● مؤسسة زايد الخيرية والإنسانية - أبوظبي – ص.ب: ٤١٣٥٥.

● مجلة «العالم الإسلامي» مكة المكرمة - رابطة العالم الإسلامي – ص.ب: ٥٣٧.

● مجلة الاقتصاد الإسلامي – دبي - ص.ب: ١٠٨٠.

نُورُ اللهِ سَاطِع

كثير من الكُتَّاب والمثقفين، وأصحاب الكلمة في الوطن العربي، يرددون ادعاءات باطلة، وأقوالاً مُلفقة، مفادها أن الثقافة الإسلامية، ما هي إلاَّ تراث مُتخلف، وفكر مُشوه، يجب التخلص منه وبتره؛ ولم يكتفوا بذلك، بل زعموا أن ما يُطلق عليه «التُراث» ما هو إلاَّ ورق أصفر، قد أبلاه الزمن، وفكر جامد، وآراء لأجيال مضت، لم تشهد نهضة ولم تواكب تطوراً وتجديداً؛ ومنهم من يرى أن العامية يجب أن تتربع على عرش التخاطب في حياتنا، وأن نوليها كل اهتمامنا.. والهدف من ذلك، حجبنا عن ماضينا التليد، وصرفنا عن إسلامنا بهذه الحجج الواهية.

إن هذا العداء للإسلام والمسلمين، نطق به زعماء سابقون – من أمثال كارل ماركس - وسار على هذا العداء زعماء حاليون، ودليلن

فيما نقول، شواهد التاريخ الحية في البوسنة والهرسك، والشيشان.. إلخ.. وما يتعرض له الإسلام والمسلمون من أحقاد، على امتداد العالم، والقصد من ذلك، كما قال عز وجل: ﴿يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلَّا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾.

○ اسماعيل عبد الفضيل

من آثار الإدمان

ربما تجد المرأة – على جمالها ورقتها وكامل أنوثتها – تظل عانساً طوال عمرها، مع كثرة الراغبين فيها؛ فتجدها تقبل على الرجال، ثم تصد عنهم، ثم تعود إليهم، ثم تنصرف عنهم مرة أخرى.. وهذه أعراض لمرض يسمى «السَّادية».. ومعناها: حب إيقاع التعذيب على الجنس الآخر؛ وتنغرس بذور هذا المرض في المرأة، منذ الطفولة، حين تشعر بأنها تنقص عن الطفل الذكر، بعض الأعضاء، فتشعر بحسد، يسمى «حسد الذكور»، ويظل هذا الحسد ينمو، حتى يؤول إلى مرض خطير بعد البلوغ.. ويرجح بعض الباحثين أن يكون هذا المرض أثراً وراثياً لفساد النطفة، الناتج عن التسمم بالخمر. ومن مظاهر السَّادية، أن تنصب المرأة شراكها على الرجل، حتى يقع فريسة هواها، فتذيقه أنواع الصدود، وتجلب عليه صنوف الشقاء، وضروب الحرمان – وقد اعترفت إحدى السيدات، للعالم النفسي لشتكل – فقالت: إن اللذة الجنسية ضعيفة، إذا قيست باللذة التي أستشعرها من العمل السَّادي؛ فهي لذة لا يحدها الوصف، ولا تصورها الألفاظ؛ فإنني أشعر بشخصي، يسود ويعلو، ويملؤني الزهو والكبرياء، وتبلغ بي النشوة أوجها، كلما شعرت أنني بسيطرتي على هؤلاء الرجال – ودون أن أشبع لهم رغبة، أو أطفىء لهم شهوة – فهم عبيدي، يجرون خلفي.. ومن مظاهر السادية كذلك، حب التلويث، وهو أن تلوث المرأة، سمعة الرجل الذي يقترب منها؛ ومن مظاهر السادية أيضاً، ميل المرأة إلى المرأة، والرجل إلى الرجل «الجنسية المثلية»، وهي أن تقع المرأة في حب المرأة، ويقع الرجل في حب الرجل!!.

○ جابر رياض لبدة

حسبك قد بلغت

○ دخل رجل أعرابي على عبد الملك ابن مروان.

فقال عبد الملك:

تكلم بحاجتك.

قال الأعرابي:

يا أمير المؤمنين، بهو الدرجة وهيبة الخلافة يمنعان من ذلك.

فقال عبد الملك:

على رسلك، فإنَّا لا نحب مدح المشافهة ولا تزكية اللقاء.

قال:

يا أمير المؤمنين، لست أمدحك، ولكني أحمد الله على النعمة بك.

قال:

حسبك قد بلغت، وقضى حوائجه.

من هنا وهناك

مبروك

دكتوراه في الدراسات الإسلامية



لندن - من جامعة إكستر : في خطوه أكاديمية موفقه ، حصل الأستاذ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ أحمد حسن الخزرجي على درجة الدكتوراه بتقدير امتياز ، في الدراسات الإسلامية من جامعة إكستر .

وأسرة منار الإسلام تهنىء الدكتور أحمد بهذا النجاح الأكاديمي الموفق وتتمنى له مزيدا من التقدم والنجاح .

إشهار إسلام بطل بريطاني

□ لندن: أبدت بعض الصحف البريطانية قلقها من ظاهرة انتشار الإسلام في بريطانيا بين الرجال والنساء، من مختلف طبقات المجتمع، بعد أن أعلن بطل بريطانيا في لعبة السيف اعتناقه للإسلام، وفي معرض سرده لقصة إسلامه قال سايمون أوستن: لقد تم اختياري ضمن فريق ويلز للاشتراك في ألعاب الكومنولث، وفي أوقات فراغي كنت أطالع ترجمة معاني القرآن الكريم وبعض الكتب التي توضح وجهة نظر الإسلام في المسيحية فتأكدت أن الإسلام على حق، وشعرت بالارتجاف حينما اكتشفت أني طوال حياتي كنت أسير في طريق خاطىء، وقال سايمون انه أدرك أن هناك تناقضاً بين ما تصوره وسائل الإعلام الغربية وبين حقيقة الإسلام.

الصين تحظر بناء مساجد جديدة

□ بكين: شنت الصين حملة ضد علماء الدين المسلمين، الذين يمارسون أنشطتهم خارج المساجد، وقررت منع بناء مساجد جديدة في اقليم (شينجيانج) الذي كان يعرف في الماضي باسم (تركستان الشرقية) بعد أن نشط المسلمون في المطالبة باستقلال بلادهم أسوة بإخوانهم في الجانب الآخر من الحدود، الذين تحرروا من سيطرة الاتحاد السوفييتي.. وكانت الصين، منذ احتلالها لتلك البلاد الإسلامية في أواخر الأربعينات من هذا القرن، قد أجرت عمليات تهجير وإحلال ترتب عليها إحلال جماعات كبيرة من الصينيين لإضعاف المسلمين والقضاء على الهوية الإسلامية لتركستان الشرقية، إلا أنه رغم مضي حوالي خمسة عقود على بداية الاحتلال الصيني لا يزال المسلمون يحافظون على هويتهم ومعتقداتهم.

الثعابين تهاجم الناس والماشية في إيران

□ ذكرت بعض الصحف أن مئات الرؤوس من المواشي والأغنام نفقت نتيجة تعرضها لهجمات الثعابين السامة في إقليم إيلام بجنوب غرب إيران، وذكرت صحيفة كار فاجار جار المحلية أن العديد من الأشخاص البالغين يجري علاجهم أيضاً في المستشفيات من لدغات الثعابين، التي تعرَّضوا لها خلال الأسابيع القليلة الماضية، وفي أحد الحوادث هاجم ثعبانان كبيران طفلاً رضيعاً أثناء نومه في خيمة، غير أن كلب العائلة اعترضهما وخاض معهما معركة دفع حياته ثمناً لها بعد أن قتلهما.

الأب بيير يهاجم الصهيونية ويؤيد جارودي

□ باريس: خرج الأب بيير (الذي يعد من أكثر رجال الدين شعبية في فرنسا).. خرج عن صمته بعد الهجمة الإعلامية اليهودية، التي تعرض لها بسبب تأييده لكتاب روجيه جارودي، الذي شكك فيه في مزاعم اليهود عن المحارق النازية، وقد شن الأب بيير هجوماً عنيفاً على الصهيونية العالمية وأكاذيبها مشككاً فيما زعمته عن مقتل ستة ملايين يهودي على أيدي النازيين. وقال في الحديث الذي نشرته صحيفة «لوموند» الفرنسية، الذائعة الإنتشار أن اليهود أنفسهم قاموا بإبادة مماثلة عندما دخلوا فلسطين بين القرنين الثاني عشر والحادي عشر قبل الميلاد، واتهم الأب بيير الصهيونية بأنها تعمل سراً على إنشاء امبراطورية تبدأ من النيل إلى الفرات، وأن مقر هذه الحركة في الولايات المتحدة ولها فروع في جميع أنحاء العالم. وقد أكد الأب بيير مجدداً تضامنه مع الفيلسوف الفرنسي روجيه جاروي.

احذروا المعلبات الغذائية!!

□ حذر متخصصون صحيُون من الإفراط في تناول الأطعمة والمواد الغذائية، التي تحتوي على مواد إضافية لتحسين الشكل والطعم والتي قد يؤدي الإكثار من تناولها إلى الإصابة ببعض أمراض السرطان، وقد جاء هذا التحذير في حديث لرئيسة وحدة التغذية بوزارة الصحة الكويتية دعت فيه إلى ترشيد تناول المأكولات المصنّعة أو المعلبة، التي تحتوي على عناصر إضافية!!.

مركز للدراسات الإسلامية في أمريكا

□ يفتتح في شهر سبتمبر القادم مشروع مركز للدراسات الإسلامية لتحضير الأئمة والدعاة بولاية فرجينيا الأمريكية، ويعد المركز جامعة إسلامية ثانية بالنسبة لوجود جامعة إسلامية في ولاية الليناوي بمدينة شيكاغو منذ فترة طويلة.

وتستهدف الدراسة في هذه الجامعة تخريج أئمة ودعاة لسد العجز في وظائف الأئمة، الذي تعاني منه مساجد أمريكا الذي يبلغ عددها (١٢٠٠) ألفاً ومائتي مسجد.

وهناك

طبق طائر في موريتانيا

□ رغم كل الأبحاث والتقارير والأحداث، التي تؤكد على حقيقة وجود أطباق طائرة ومخلوقات أخرى على درجة عالية من الذكاء في مكان ما من هذا الكون، فإن السواد الأعظم من الناس يتشككون في حقيقة وجود الظواهر التي تؤكد هذا الافتراض، إلا أن ما حدث في موريتانيا مؤخراً يدعو إلى الحيرة، وإلى الحاجة للاهتمام بدراسة هذه الظاهرة في الصحراء الموريتانية.

ويقول الخبر الذي تناقلته بعض الصحف مؤخراً، إن بعض سكان قرية النباغية جنوب شرق نواكشوط (العاصمة)، رأوا طبقاً طائراً قرب قريتهم، وفي اللحظة نفسها توقفت جميع الأجهزة الموجودة في القرية عن الحركة، وقد أكدت بعض النسوة من أماكن مختلفة من القرية أنهن شاهدن غباراً شديداً يتوسطه ما يشبه السيارة وخلفه شيء شديد البياض ينطلق بسرعة كبيرة دون إحداث أي صوت... ترى.. ما رأي العلماء في مثل هذه الظاهرة؟.

مسجد جديد بجامعة الهداية بالهند

جاي بور – الهند: قامت جامعة الهداية الإسلامية بولاية راجاستان بالهند ببناء مسجد جديد للجامعة، يتسع لألفي مصل، كما صرح أمير الجامعة الشيخ محمد فضل الرحيم المجددي، بأن الجامعة انتهت أيضاً خلال الأسابيع الأخيرة من استكمال المبنى الرئيسي للجامعة بفضل المساعدات التي تلقتها الجامعة من المحسنين والخيرين الذين وقفوا إلى جانبها في مراحل البناء والتشييد.

كذلك صرح عميد الجامعة الشيخ محمد ضياء الرحيم بأن الجامعة انتهت أيضاً من استكمال أجهزة ومعدات أقسام وورش الكمبيوتر بالجامعة، التي أصبحت تواكب أحدث التطورات التقنية في عالم الكمبيوتر.

مسجد جديد في.. الأندلس

غرناطة – أسبانيا: يجري حالياً في مدينة غرناطة الأندلسية، بناء مسجد جديد تحت إشراف الجمعية الإسلامية الأسبانية في غرناطة، والتي تم إنشاؤها عام ١٩٧٥ بواسطة بعض الأسبان الذين هداهم الله لدينه ووفقهم لاعتناق الإسلام، وتقوم هذه الجمعية بنشاط دعوى لشرح تفاصيل رسالة الإسلام للذين يرغبون في ذلك، مما أدى إلى اعتناق بعضهم للإسلام في فترات مختلفة منذ إنشاء هذه الجمعية، التي تحظى بتأييد السفراء العرب المسلمين في أسبانيا، وكان بعض هؤلاء السفراء قد حضروا حفل وضع حجر أساس هذا المسجد مع مائتي مسلم من أهل المدينة، بحضور عمدة غرناطة.

المسلمون الألمان يطالبون الحكومة بالاعتراف بدينهم

كولونيا – ألمانيا: في مؤتمرهم الذي

عقدوه مؤخراً بمدينة كولونيا بشمال الرايد، بمجسد السليمانية، طالب الداعية الألماني المسلم محمد صديق، الذي اعتنق الإسلام منذ عشرين عاماً، طالب الحكومة الألمانية بالاعتراف رسمياً بالدين الإسلامي، وتأسيس حزب إسلامي ألماني، وكان الداعية الألماني محمد أمان الله هربرت هوبوم (المستشار الثقافي السابق بالسفارة الألمانية في مدينة الرياض) قد ألقى محاضرة خلال هذا المؤتمر، حول واجب الدعاة في الوقت الراهن.

مستشرقة ألمانية تدافع عن الإسلام وتقول أن التطرف اليهودي أكثر خطراً ودموية

■ القاهرة: في حوار صحفي مع المستشرقة الألمانية آنا ماري شمل، أكدت أن مستقبل الإسلام في أوروبا يدعو إلى التفاؤل وأن محاولات تشويه صورته في عيون الغربيين لن تنجح في إبعادهم عن هداية هذا الدين، لأنه دين يخاطب العقل، ويلبي كل حاجات الإنسان ويتجاوب مع الفطرة.. إنه دين عظيم وقد جندت نفسي للدفاع عنه عن قناعة وإيمان كامل برسالته، ولن أتخلى عن ذلك إنصافاً لهذا الدين وعملاً بمبدأ «الكلمة أمانة ومسئولية».

جاء هذا في حوار صحفي نشرته صحيفة «الخليج» في عددها رقم ٦٢٢٩.

قمح هندي فاسد.. للمغرب

■ الدار البيضاء: أكد مصدر رسمي مغربي أن السلطات المغربية قررت إتلاف شحنتين من القمح الهندي، يبلغ وزنهما ٤٥ ألف طن، بعد أن تبين فسادهما وعدم صلاحيتهما للاستهلاك الآدمي وخطورتهما على زراعة القمح بالمغرب بسبب إصابتهما بفطر يمكن أن يخلف أضراراً جسيمة في الزراعة إذا ما سمح بإدخالهما إلى المغرب، كما نص القرار على إتلاف ا لشحنتين على حساب المستوردين.

حياة آخر الأنبياء شريط كاسيت ليوسف إسلام

■ لندن: المطرب الشهير الذي عرفته محافل الصخب والموسيقى والغناء خلال الستينات وحتى منتصف السبعينات، والذي كان يعرف باسم كات استيفنز قبل أن ينير الله بصيرته ويهديه إلى الإسلام منذ أكثر من عشرين عاماً، أعلن في مؤتمر صحفي عقده في أحد أشهر محال لندن، عن إصدار ألبوم جديد، يشدو فيه بصوته بلا موسيقى ولا صخب، إنما بنشوة إيمانية يحكي فيها قصة حياة آخر الأنبياء، لتعريف أهل الغرب بما خفي عنهم من الإسلام، رداً على زندقة سلمان رشدي.

خواطر

التقليد الممقوت

التقليد دائماً عقيدة الضعفاء ا لذين يعجزون عن الابتكار والإبداع و إعمال العقل في شئـون الحياة، فيتجهون إلى تقليد الآخـرين تقليداً قد يكـو ن أعمى، وقد يكون مستنيراً حسب الأمور التي يتم فيها.

وأخطر أنـواع التقليد هو ذلـك النوع الذي يُعطل فيـه العقل تعطيلاً تـاماً دون التفكير فيما يتم التقليد فيه، وهذا النوع من التقليد هو الذي عارضت به الأمم السـابقة رسالات السماء وكـانت حجتهم الـوحيدة أنهم وجدوا آبـاءهم كذلك يفعلو ن، فيقول تعالى معبراً عن هذا الموقف.

﴿قالوا نعبـد أصناماً فنظل لها عـاكفين، قال هل يسمعونكـم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون، قالـوا بل وجدنا آباءنا كـذلك يفعلون﴾ - «الشعراء / ٧٢ ، ٧٤!.

وفي آيـة ثانيـة: ﴿بل قـالـوا إنا وجـدنا آبـاءنـا على أمة و إنـا على آثارهـم مهتدون﴾ - «الزخرف / ٢٢».

وقد سفه الحق سبحانـه تقليدهم الأعمى لآبائهم مبيناً ان آبـاءهم كانوا لا يعقلون شيئا ولا يعلمون ولا يهتدون.

وهذا النوع مـن التقليد الممقوت وقعت فيه الأمة الإسـلامية في هذا العصر، ولم يكن تقليدهـا تقليداً تاريخياً لـلآباء والأجداد ولكنه تقليـد جغرافي حيث وجهت أنظارها إلى الـدول الأوروبية التي كانت تحتل أرضهـا فيما سبق ومن موقع الانبهـار بالأقوى اتجهت إلى تقليـد هذه الدول ليس فيما ينفـع من علم وتكنولوجيـا و إنتاج وعمل ولكن فيما يضر مـن عادات وتقاليد وسلـوكيات وصاحب هذا التقليـد تعطيل العقل المسلم الذي عجز عـن الاجتهاد والابتكار والإبداع بعـد أن أخذ التقليد كـل طاقـات المسلمين، وهنا وقعت الأمـة في هوة التخلف والتبعية التي لا مخرج فيها إلا بتحرير العقل المسلم من قيود التقليد و إعادة تشغيله من جديد.

أحمد أبو زيد

في هـــذا الـعـــــدد

شركـة أبـوظبي للطباعة والنشر



لقطة من مدينة أبوظبي